

علي المعلم

الحسين عليه السلام سر

في موكب الخالدين



محسن علي المعلم

العلماء
الحسين
عليه السلام
سيرة
مركز تحقيق التراث
سوري

في موكب الخالدين

دار الفنون
للطباعة والنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العسین ذکری العیاء

ذکری الحیاء بکل عام نطلع
وبأفق مجدک سرها المستودع
یتمی إلیک نشوؤها وبقاؤها
إذ أنت واهب روحها والمنبع
أخلصت ذاتک للمبادئ طیعا
فإذا البریة فی جلالک خضع
تمفوا إلیک أعاجبا وأعربا
سیان جاحلهم ومن یتشیع
قد صاغک الباری بعین عیاء
والله یحکم ما یشاء ویدع
أكبرت سرک یا عظیم فإنه
أعلى من الکن العظیم وأرفع

یا حیره الفکر الحصیف لعشر
ثقل الرسالة والإمامة ضیعوا
وعهود حق وائتمان ودائع
خانوا العهود وبعثروا ما استودعوا
وتعیفوا نعبا لآل محمد

واستبدلوا طرْقاً بهِ واستتقَعوا
وتنكَبُوا جَدّاً فتَاهُوا ضِلَّةً
كيفَ النجاةُ بغيرِ نورٍ يسطَعُ
أسفاهُ دينُ اللهِ يغدُو لعبَةً
وبكلِّ كيفٍ يُستدارُ ويوضَعُ
أَيكونُ نبراسَ الفضائلِ والتقى
والعدلِ من هو للردائلِ مجمعُ؟!

يا معقلَ الإسلامِ إنك عصمةُ الدينِ
القائمِ وذخيره والمفزعُ
يشكوا إليك الدينَ ضيعةً حقّه
وتوسّعَ الخُرقِ الذي لا يُرَقَعُ
فأتيتَ قادمٌ فكرَ جهلٍ هابطِ
وأخذتَ تبني فكرَ حقٍّ يرفعُ
وطويتَ من يدعِ الجهالةَ زئفها
ونشرتَ عدلَ اللهِ هدياً يمرُّ
وأعدتَ للأجيالِ صوتَ محمدِ
بالحقِّ إلا أفهم لم يسمعوا

يا غرْبَةَ الإسلامِ قادهُمُ العمى
فتحزَّبوا ضدَّ الحسينِ وأجمَعوا

وَتَتَّبِعُوا ثِقْلًا لَأَلِ مُحَمَّدٍ
فَتَكْفًا وَتَنَكُّيلاً وَلَمْ يَتَوَرَّعُوا
بَلْ صَوَّبُوا نَحْوَ الْحُسَيْنِ سَيُوفَهُمْ
وَرَمَّاحَهُمْ لَلَّهِ خَطْبٌ أَفْطَعُ
رَفَعُوا عَلَى رَأْسِ الْقَنَاةِ كَرِيمَتَهُ
وَبَخَّيْلِهِمْ جِثْمَانٌ قَدْسٍ وَزَعُوا
أَوْ مَا ذَرُّوا أَنَّ الْقَنَاةَ حَمَلَتْ كِتَابَ
اللَّهِ بِصَدْحِ الْعُلُومِ وَيَصْدَعُ
قُبُرُوا وَقَمَتَ عَلَى الزَّمَانِ مَخْلُوداً
لَكَ يَا حُسَيْنُ بِكُلِّ قَلْبٍ مُضْجَعُ
وَعَلِدَتِ لِلْأَجْيَالِ نَجْمٌ هِدَايَةٌ
وَبَقِيَّتُهَا حَقٌّ ثَابِتٌ لَا يُنْفَعُ
حَسْبِي فَلَيْتُكَ أَنْ أَقُولَ مُرَدُّدًا
(لِلَّهِ سِرٌّ فِي جَلَالِكَ مُوَدَّعُ)

-المؤلف-

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ
على محمدٍ وآله السادة المنتجبين. واللعنُ
الدائمُ على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

مقدمة الطبعة الثانية

وتحيط بشؤون الإمام الحسين عليه السلام الأسرار في كافة نشأته، بدءاً من انبثاق نوره من نور الله - جل جلاله.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١)

وسنخاً لنور جدّه المصطفى عليه السلام.

﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢)

«حسينٌ مني وأنا من حسين».

وأشرقت بنوره عوالم الملأ الأعلى فاهتدت بسناه ملائكة السماء، وكان جمال عرش ذي الجلال حيث أحلق به نوره، «خَلَقَكُمْ اللَّهُ أَنْوَارًا فَجَعَلَكُمْ بِعَرْشِهِ مُحَدِّقِينَ».

وفي رواية الإسراء: «وأما ابنك المخذول المقتول وابنك المغدور المقتول صبراً فإنهما مما أزيينُهما عرشي، ولهما من الكرامة سوى ذلك مما لا يحظر على قلب بشر، لما أصابهما من البلاء»^(٣).

وفي رواية ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا كان يوم القيامة زينُ عرش رب العالمين بكل زينة، ثم يُؤتى بمنبرين من نور طولهما مائة ميل، فيوضع أحدهما عن يمين العرش، والآخر عن يسار العرش، ثم يُؤتى بالحسن والحسين عليهما السلام فيقوم الحسن على أحدهما والحسين على الآخر، ويزينُ

(١) سورة النور الآية ٣٥.

(٢) سورة آل عمران الآية ٣٤.

(٣) كامل الزيارات / ٥٥٠.

الربُّ تبارك وتعالى بهما عرشه كما يزِينُ المرأةَ قرطاًها»^(١).

﴿﴾

وكما شرفت به السماوات العلى ومن فيها من الملأ الأعلى فقد
أشرقت الأرض بنور ربّها يوم ميلاده.

وقبل ذلك كربلاءه:

«قال: قال علي بن الحسين عليهما السلام:

اتَّخذ الله أرض كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يخلق الله أرض
الكعبة ويتخذها حرماً بأربعة وعشرين ألف عام، وإنه إذا زلزل الله تبارك
وتعالى الأرض وسيّرها رفعت كما هي بتربتها نورانية صافية، فجعلت في
أفضل روضة من رياض الجنة، وأفضل مسكن في الجنة، لا يسكنها إلا
النبيون والمرسلون - أو قال: أولو العزم من الرسل - وإنما لتزهر بين رياض
الجنة كما يزهر الكوكب الدرّي بين الكواكب لأهل الأرض، يغشى نورها
أبصار أهل الجنة جميعاً، وهي تنادي: أنا أرض الله المقدسة الطيبة المباركة
التي تضمّنت سيّد الشهداء وسيّد شباب أهل الجنة»^(٢).

وكيف لا و(الحسينُ مصباحُ الهدى وسفينةُ النجاة) وقد كتب ذلك
عن يمين عرش الله^(٣).

وعاد بيت الحسين السبط مدار الأفلاك ومهبط الأملاك، فوج يهبط

(١) بحار الأنوار ٤٣/٢٦١-٢٦٢.

(٢) كامل الزيارات / ٤٥١.

(٣) وروى الشيخ الصدوق عن الحسين بن علي عليهما السلام قال: دخلت على رسول الله
صلى الله عليه وآله وعنده أبي بن كعب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: مرحباً يا أبا عبد الله، يا زين
السماوات والأرضين، فقال له أبي: وكيف يكون يا رسول الله زين السماوات
والأرض أحد غيرك؟ فقال: يا أبي والذي بعثني بالحق نبياً إن الحسين بن علي في
السماء أكبر منه في الأرض، فإنه لمكتوب على يمين عرش الله: مصباح هدى
وسفينة نجاة. نفثة المصدور (ملحق بنفس المهموم) / ٥٥٥-٥٥٦ عن (عيون
أخبار الرضا) ٦٠/١.

ومعدن الأسرار لا ينضب، ففي كل طرف كثر خفي، وفي كل شأن
أبعاد عميقة لا تدرك لها نهاية.

ملائكة الله أنصاره وزواره وبكاؤه:

«عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن أربعة آلاف ملك
هبطوا يريدون القتال مع الحسين بن علي عليهما السلام لم يؤذن لهم في القتال،
فرجعوا في الاستيذان، فهبطوا وقد قتل الحسين عليه السلام، فهم عند قبره شعث
غبر، يبكونه إلى يوم القيامة، رئيسهم ملك يُقال له: منصور»^(١).

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: وكلّ الله تعالى بالحسين عليه السلام
سبعين ألف ملك يصلون عليه كل يوم، شعثاً غبراً، منذ يوم قتل إلى ما شاء
الله - يعني بذلك قيام القائم عليه السلام»^(٢).

وأنبياء الله ورسله:

وعن أبي عبد الله عليه السلام: قبر الحسين بن علي عليهما السلام روضة من رياض
الجنة، وفيه معراج الملائكة إلى السماء، وليس من ملك مقرب ولا نبي
مرسل إلا وهو يسأل الله أن يزوره، ففوج يهبط وفوج يصعد»^(٣).

وعن علي بن الحسين عليهما السلام: من أحب أن يضافحه مائة ألف نبي
وأربعة وعشرون ألف نبي فليزر قبر أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام في
النصف من شعبان، فإن أرواح النبيين عليهم السلام يستأذنون الله في زيارته، فيؤذن
لهم، منهم خمسة أولو العزم من الرسل، إلخ»^(٤).

والجنّ بكأوه ونواحه:

عن أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله قالت: ما سمعت نوح الجنّ منذ قبض
الله نبيّه إلا الليلة، ولا أراي إلا وقد أصبت بابني الحسين، قالت: وجاءت

(١) كامل الزيارات / ١٧١-١٧٢.

(٢) كامل الزيارات / ١٧٣.

(٣) كامل الزيارات / ٢٢٢.

(٤) كامل الزيارات / ٣٣٤.

الجنية منهم وهي تقول:

أيا عيناى^(١) فأنهملأ بجهدٍ فمن يبكي على الشهداءِ بعدي
على رهطٍ تقودهم المنايا إلى متجبرٍ من نسلِ عبيد^(٢)

ونوح الجنّ طويل، وقد أورد ابن قولويه -رضوان الله عليه- في الباب (٢٩) ص ١٨٩-١٩٧ من (كامل الزيارات) روايات كثيرة في ذلك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ويتجلّى السرُّ الأعظم في النشأة الآخرة:

ففي عرصات المحشر، ومواقف العرض الأكبر، ومحكمة العدل الإلهية العظمى، وكافة من خلق الله موقوفون، يتجلّى نصر الله لوليّه وناصر دينه المضحيّ بنفسه ونفيسه في سبيله، ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(٣).
أجل، وإنه لموقف جليل، فيقام مأتمه، وترفع إلى الحكم العدل ظلامته، ويُستوفى له حقه.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فينادي مناد: غَضُّوا أَبْصَارَكُمْ وَنَكِّسُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى تَجُوزَ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ عليها السلام الصراط.

قال: فتغضُّ الخلائق أبصارهم، فتأتي فاطمة عليها السلام على نجيب من نُجُوبِ الْجَنَّةِ، يشيعها سبعون ألف ملك، فتقف موقفاً شريفاً من مواقف القيامة، ثم تنزل عن نجيبها، فتأخذ قميص الحسين بن علي عليهما السلام بيدها مضمخاً بدمه وتقول: يَا رَبُّ هَذَا قَمِيصٌ وَلَدِي، وَقَدْ عَلِمْتَ مَا صُنِعَ بِهِ،

(١) كذا وردت في المصدر.

(٢) كامل الزيارات / ١٨٩. وقد ذكر محقق الكتاب تخريج الحديث عن الصدوق في

(الأمالي)، وابن شهر آشوب في (مناقب آل أبي طالب)، و(تاريخ ابن عساکر)،

و(خصائص النسائي)، و(مجمع الزوائد)، و(تذكرة الخواص).

(٣) سورة الآية غافر ٥١.

فيأتيها النداء من قبل الله ﷻ: يا فاطمة، لك عندي الرضا، فتقول: يا رب انتصر لي من قاتله، فيأمر الله تعالى عنقا من النار فتخرج من جهنم فتلتقط قتلة الحسين بن علي رضي الله عنه كما يلتقط الطير الحب، ثم يعود العنق بهم إلى النار فيُعذبون فيها بأنواع العذاب، ثم تركب فاطمة رضي الله عنها حتى تدخل الجنة ومعها الملائكة المشيعون لها، وذريتها بين يديها، وأولياؤهم من الناس عن يمينها وشمالها^(١).

وعن الرضا عن آبائه رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: تحشر ابنتي فاطمة رضي الله عنها يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بالدماء، تتعلق بقائمة من قوائم العرش، تقول: يا عدل، احكم بيني وبين قاتل ولدي، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: ويحكم [الله] لابنتي ورب الكعبة^(٢).

وفي رواية أبي خير، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يمثل لفاطمة رضي الله عنها رأس الحسين رضي الله عنه متشحطاً بدمه، فتصيح: وا ولداه! وا ثمرة فؤاداه! فتصعق الملائكة لصيحة فاطمة رضي الله عنها، وينادي أهل القيامة: قتل الله قاتل ولدك يا فاطمة^(٣).

وفي الباب الثامن (تظلمها صلوات الله عليها في القيامة) روايات أخرى، فراجع (بحار الأنوار) ٤٣/٢١٩-٢٢٧.

﴿﴾

كرامته على الله وبركته على أوليائه:

أ- "وما من عبد يُحشر إلا وعينه باكية إلا الباكين^(٤) على جدي الحسين رضي الله عنه فإنه يُحشر وعينه قريرة، والبشارة تلقاه، والسرور بين علي وجهه، والخلق في الفزع وهم آمنون، والخلق يُعرضون وهم حذات الحسين رضي الله عنه تحت العرش لا يخافون سوء الحساب، يُقال لهم: ادخلوا الجنة، فيأبون

(١) بحار الأنوار ٤٣/٢٢٤.

(٢) بحار الأنوار ٤٣/٢٢٠.

(٣) بحار الأنوار ٤٣/٢٢٣.

(٤) كذا وردت في المصدر.

ويختارون مجلسه وحديثه، وإن الحور لترسل إليهم: إنا قد اشتقنا لكم، مع الولدان المخلدين، فما يرفعون رؤوسهم إليهم لما يرون من في مجلسهم من السرور والكرامة، إلخ^(١).

ب- (من حديث كرامة الله لزوار الحسين عليه السلام):

قال: قلت: هذه والله الكرامة، قال لي: يا مفضل! أزيدك؟ قلت: نعم سيدي، قال: كأني بسرير من نور قد وُضِع، وقد ضُربت عليه قبة من ياقوتة حمراء مكللة بالجواهر، وكأني بالحسين عليه السلام جالس على ذلك السرير، وحوله تسعون ألف قبة خضراء، وكأني بالمؤمنين يزورونه ويسلمون عليه، فيقول الله تعالى لهم: أوليائي سلوني، فطال ما أوذيتم وذللتهم واضطهدتكم، فهذا يوم لا تسألوني حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا قضيتها لكم، فيكون أكلهم وشربهم في الجنة، فهذه والله الكرامة التي لا انقضاء لها ولا يدرك منتهاها^(٢).



وحق للجنة الزهو والتبختر:

عن أبي بصير - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الحسن والحسين - رضي الله عنهما - نفا العرش، وإن الجنة قالت: يا رب أسكنني الضعفاء والمساكين، فقال لها الله تعالى: ألا ترضين أنني زينت أركانك بالحسن والحسين؟ قال: فماست كما تميس العروس فرحاً^(٣).

وبعد .. فهذه شذرة من معدن فياض، وقطرة من بحر موج، تنمان عن مكن ذلك السر الإلهي المتمثل في نادرة الوجود وعنوان الخلود، شهيد هذه الأمة وسيد شهدائها.

عدتُ إليه لأجدد بما كثر عن عهدها، فقرأت ما حبرته براعة الأدباء، ورشح من قرائح الشعراء، فألفيتهم كمن يلتبس من النجم دنواً ومن

(١) كامل الزيارات / ١٦٨، من رواية طويلة.

(٢) كامل الزيارات / ٢٥٩.

(٣) بحار الأنوار / ٤٣ / ٢٧٥-٢٧٦.

الشمس اقتراباً، والحسين العظيم أرفع كعباً وأبعد منالاً، ووجدتني مؤمناً موقناً أن لا سبيل إلينا إلا بالاعتراف بالعجز عن التعريف والتوصيف، ورأيتني أقوى اقتناعاً بما ذكرت في مقدمة كتابي (علي إمام الدين والدولة) أن المنهج الحق في التماس التعريف بالصفوة المنتقاة والخيرة المنتجبة، ممن اصطفى وانتقى واختار واجتبي، فخلقهم كما شاء، وأفاض عليهم من أطفاه ومواهبه وكمالاته كما أراد لهم ومنهم، فهم - صلوات الله على أرواحهم الطيبة - خزان علمه، ومستودع سره، ومظهر قدرته وسلطانه، وسفراؤه بين عباده، وحججه على بريته، هم فتح الله وهم يختم.

«الحمد لله العلي العظيم، السلام عليك أيها العبد الصالح الزكي، أودعك شهادة مني لك، تقربني إليك في يوم شفاعتك، أشهد أنك قتلت ولم تمت، بل برجاء حياتك حييت قلوب شيعتك، وبضياء نورك اهتدى الطالبون إليك، وأشهد أنك نور الله الذي لم يطفأ ولا يطفأ أبداً، وأنت وجه الله الذي لم يهلك ولا يهلك أبداً»^(١)

وفي زيارة أخرى:

«السلام مني إليك والتحية، مع عظيم الرزية، كنت نوراً في الأصلاب الشاخنة، ونوراً في ظلمات الأرض، ونوراً في الهواء، ونوراً في السموات العلى، كنت فيها نوراً سلطعاً لا يطفى، وأنت النطق بالهدى»^(٢).

ورضي الله عن الشيخ الصالح ابن العرندس، كفاء ما أبدع في رائعته:

إمام الهدى سبط النبوة والذ الأئمة رب النهي مولى له الأمر	إمام أبوه المرتضى علم الهدى
وصي رسول الله والصنن والصنهر	إمام بكتته الإنس والجن والسما
ووحش الفلا والطيرو والبر والبحر	له القبة البيضاء بالطف لم تزل
تطوفها طوعاً ملامكة غر	وفيه رسول الله قال وقوله
صحيح صريح ليس في ذلكم نكر	

(١) مفاتيح الجنان / ٤٤٣، (من زيارة منتصف شعبان).

(٢) كمل الزيارات / ٤٠٣.

حُبِّي بثلاثٍ ما أحاطَ بِمِثْلِهَا
لَهُ تُرْبَةٌ فِيهَا الشِّفَاءُ وَقُبَّةٌ
وَذُرِّيَّةٌ ذُرِّيَّةٌ مِنْهُ تِسْعَةٌ
إِلَى أَنْ يَقُولَ:

مَهَابِطُ وَحْيِ اللَّهِ خُزَّانُ عِلْمِهِ
وَأَسْمَاؤُهُمْ مَكْتُوبَةٌ فَوْقَ عَرْشِهِ
وَلَوْلَاهُمْ لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ آدَمًا
وَلَا سَطَّحَتِ أَرْضٌ وَلَا رُفِعَتِ سَمَا
وَنُوحٌ بِهِ فِي الْفُلِّكَ لَمَّا دَعَا نَجَا
وَلَوْلَاهُمْ نَارُ الْخَلِيلِ لَمَّا غَدَّتْ
وَلَوْلَاهُمْ يَعْقُوبُ مَا زَالَ حَزْنُهُ
وَلَا لِدَاوُودَ الْحَدِيدُ بِسِرِّهِمْ
وَلَمَّا سَلِمَانَ الْبَسَاطُ بِهِ سَرَى
وَسُخَّرَتِ الرِّيحُ الرُّخَاءُ بِأَمْرِهِ
وَهُمْ سِرُّ مُوسَى وَالْعَصَا عِنْدَمَا عَصَا
وَلَوْلَاهُمْ مَا كَانَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ
سَرَى سِرُّهُمْ فِي الْكَلْبَاتِ وَفَضْلُهُمْ

وَلِيٍّ فَمَنْ زَيْدٌ هُنَاكَ وَمَنْ عَمْرُو؟
يُجَابُ بِمَا الدَّاعِي إِذَا مَسَّهُ الضَّرُّ
أُمَّةٌ حَقٌّ لَا ثَمَانٌ وَلَا عَشْرٌ

مِيَامِينٌ فِي آيَاتِهِمْ نَزَلَ الذِّكْرُ
وَمَكْنُونَةٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَ الذَّرُّ
وَلَا كَانَ زَيْدٌ فِي الْأَنَامِ وَلَا عَمْرُو
وَلَا طَلَعَتِ شَمْسٌ وَلَا أَشْرَقَ الْبَدْرُ
وَغِيضٌ بِهِ طُوفَانُهُ وَقَضِي الْأَمْرُ
سَلَامًا وَبِرْدًا وَانطَفَى ذَلِكَ الْجَمْرُ
وَلَا كَانَ عَنْ أَبُوبَ يَنْكَشِفُ الضَّرُّ
فَقَلَّدَ فِي سَرْدٍ يَحِيرُ بِهِ الْفِكْرُ
أَسِيلَتٌ لَهُ عَيْنٌ يَفِيضُ لَهُ الْقَطْرُ
فَغَدَوْتُهَا شَهْرٌ وَرَوَّحْتُهَا شَهْرٌ
أَوَامِرُهُ فَرَعُونَ وَالتَّقْفَ السَّحْرُ
لِعَازَرَ مِنْ طَيِّ اللَّحُودِ لَهُ نَشْرُ
وَكَلُّ نَبِيٍّ فِيهِ مِنْ سِرِّهِمْ سِرٌّ^(١)

ورضي الله عن السيد صالح القزويني النجفي حيث قال وأجاد فيما

أفاد:

كرسيُّ والسبعُ العُلَى تَشَعُّشَعُ
مَسْتَبْرَأٌ أَعْلَمْتُ مَنْ بِكَ مُودَعٌ

يا كوكبَ العرشِ الذي مِن نوره الـ
طَفَّ بِِي عَلَى أَرْضِ الطُّفُوفِ وَقُلْ لَهَا

(١) الغدير ٧/١٥، ١٨.

فيك الإمام أبو الأئمة والذي هو للفضائل والمناقب مجمع
 مولى بترتبته الشفاء وتحت قبته الدعاء من كل داع يُسمع
 فيك الذي فيه النبي موكل^(١) والطهر فاطم والبطين الأئزغ
 فيك الذي أشجى البتول ونجلها وله النبي وصنوه متفجع
 من كان في حجر الإمامة بالهدى ويرثو ومن ندى النبوة يرضع
 فحيلة أصحاب الكساء حيثه ويوم مصرعه جميعاً صرعوا
 وبفقه الفرقان مفقود وفي تضييعه الدين الحنيف مضيع
 وله صفات الله أسماء ومن نور النبي له عناصر أربع
 بل فيك آيات الإله وذكره ومنار أحكام الهدى والمطلع
 بل فيك علم اللوح والقلم الذي يحو ويثبت ما يضر وينفع
 فافخر فإنك للكواكب مطلع وإعتا فإنك للملائك مجمع^(٢)

وبعد .. فالحسين تله الأسرار، وتكتنفه في نشأته وأطوار حياته في
 السماوات العلى والملا الأعلى وفي الحياة الأولى، وفي الآخرة عند الله أعظم
 وأسمى.

فرفع ذكره، وهو محور الأمر، وذاته سر السر، أفنى وجوده لله، فكافأه
 مولاه وتوجه وسام الخلود.

حسبي فديتك أن أقول مُردداً

(لله سر في جلالك مُودع)

فسلام على الحسين سيّداً في الشهداء، وسلام على الحسين في
 الخالدين.

ليلة القدر المباركة ١٤٢٧ هـ

(١) كذا وردت في المصدر.

(٢) الدر النضيد / ٤٧٧-٤٧٩.

مقدمة المؤلف

في سجل الحياة أحداث وقضايا كبيرة ومميزة، ويسمو بعضها فيكتب لها الخلود.

في سجل الحياة رجال وأبطال يرتفعون ويرتقون، وينالون وسام الخلود.

وهكذا في سجل الفكر والإبداع، فالهجرة، ومعركة خيبر، وبدر، وفتح مكة، ويوم الغدير، وبطل التوحيد إبراهيم الخليل، وخاتم الأنبياء محمد، وسيّد الأوصياء عليّ، وسيّدة النساء فاطمة، والقرآن الحكيم، ونهج البلاغة المحكم.

قضايا.... وأبطال... وفكرٌ ثرّمق مستقلة فتوسم بوسام الشموخ والخلود.

والحسين وكربلاء على هذا السنن، وفي القمة من هذا السلم. وإذا كانت جلائل الأعمال والأبطال ينبعث مجدها وتمجيدها، وخلودها وتخليدها، بعد أن تبرز وتأخذ مداها، وتؤثر أثرها، فالحسين وكربلاء طبعاً بالخلود قبل أن يُخطأ في صفحة الوجود، فالحسين وكربلاء عند بارئه، ومؤهله لإمامة دينه ونصرته، ولدى الملأ الأعلى، وعند الرسل الكرام، والأنبياء العظام، على لسانهم، وفي كتبهم، لهما الوجود المقدس والمعنى المميز.

والحسين وكربلاؤه لدى جدّه خاتم أنبياء الله ورسله لهما الحفاوة والتجلة الخاصة.

فمما يقوله فيه: "حسين منّي وأنا من حسين".

وأما عن تربته: فيأتيه أمين الله جبرئيل بشيء منها فيشمه فتغرورق عيناه وتفيضان دموعاً، ويودعها لدى أمّ المؤمنين أمّ سلمة دليلاً على شهادته في سبيل الله ودينه حين تفيض دماً.

أجل.. كيف لتراب أن يفيض نجيعاً أحمر لو لم يكن مقدساً وحيّاً منذ
أن خلق الله الأرض؟!

نعم.. إنه شعار الخلود وعنوان المجد الإلهي الحسيني، وشاء الله الحكيم
لهذا الخلود أن يبقى - كما هو - خالداً، لا بل يزداد قوةً وشموعاً.

فتتعاقب الأجيال مقتفيةً تقديس الله وأوليائه في التمجيد والتخليد،
فإذا أرباب الفكر، والقلم، والشعر، تحلل وتعلل وتكتب وتخلق في نهضة،
مهما اختلفت أفكارها، وتباينت آراؤها، ومذاهبها، إلا أنها والدنيا معها
تتف بالحسين وكربلاء الحسين.

ولقد عني الشعراء بالتغني بالخلود الحسيني، فحلّقوا في أجوائه،
وحاموا حول سمائه.

يقول شاعر الرثاء الحسيني الكعبي:

يفنى الزمانُ وفيك الحزنُ متصلُ

يباق على سرمدِ الأيامِ منتصبُ

لأن رزءك في الأحشا كمجسّدك

في الأحياء لم تُفنيه الأعوامُ والحقبُ

ويقول الشيخ محمد جواد الغبان:

هكذا أدرك الحسينُ الخلودا

هكذا تنطوي القرونُ ويبقى

ويقول أحد علماء الدروز:

كذب الموتُ فالحسينُ مخلّدُ

كُلّما أخلقَ الزمانُ تجدّدُ

ويقول خطيب المنبر الحسيني الشيخ الوائلي:

تمجّد قوّم بالخلودِ وإني

رأيتُ بمعناك الخلودَ مخلّدا

حسينٌ وربُّ اسمٍ إذا ما لفظتُهُ
يرنُّ بسمع الدهرِ مهما ترددا
ورعيًا ليوم كَلَمَّا طالَ عهدُهُ
أراه بما أعطى يعودُ كما أبدا
ويقول السيد عباس شبر:

للمصلحين قواميسٌ مخلدةٌ في الأرضِ واسمُك عنوانُ القواميسِ
وقلت:

وبذلت الحياةَ لله طوعاً فحبك الخلودَ منه وساماً
أجل....

وجدتني مجنوناً نحو الحسين، ورأيتني مبهوراً متحيراً بعظمة الحسين.
وكان في هذا ما يبعث على التراجع، ولكن تلكم الجاذبية أقوى
وأشدُّ، فإذا بي أبحرُ في القراءة والكتابة عنه.
وسوف يقف قارئ الكرم على ما قرأتُ ورأيتُ وعالجتُ في هذا
المجال الأرحب، والأفق الأوسع، والعالم الأكبر من قدراتي المحدودة.
أمل أن أراه مؤيداً ناصرًا، أو ناقدًا مؤازراً، وحسبي أنني استرشدتُ
بمصباح الهداية وركبتُ في سفينة النجاة.
«فالحسينُ مصباحُ الهدى وسفينةُ النجاة».

ولا يفوتني أن أذكر وأشكر الأيادي البيضاء، والعناية والتوجيه، من
عزيزي سماحة العلامة الجليل الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي، مازال
يتبع ما يُولي بدأ بيد، فقد راجع ووجه وأرشد وقيّم وقدم، ولا أراي قادراً
على مكافاته على تفضله وإحسانه، وأكل ذلك إلى من شرفتُ قلمي
وفكري في التأمل والكتابة في قضيتته، إلى عطاء الحسين (صلوات الله ورحمته
على روحه الطيبة) فإنه من عطاء الله الكريم الذي لا ينفد ولا ينقطع.

وحمداً لله إذ عشقت قلوبنا هذا الجمال، وقدست أفكارنا هذا الجلال،
ونستعين بالله على سلوك ذلك المنهج، وتلك الحياة التي خط درهما سيّد
الشهداء عليه السلام وصلى الله على جدّه المصطفى، وأبيه المرتضى، وأمّه الزهراء،
وأخيه المجتبي، وأخته الحوراء، وعلى ذريته الأئمة الهداة الميامين.



مركز بحوث كميوتير علوم إرسوى

تقديم: الدكتور عبد الهادي الفضلي؛

لا إخال أن من يرى أو يقرأ هذا الكم المتدفق مما قيل ويقال من الشعر في رثاء الإمام الحسين عليه السلام حتى لم يؤثر عن واقعة إسلامية قيل فيها من الشعر بالكم الذي قيل في واقعة كربلاء، وما كتب ويكتب من البحوث والدراسات عن نهضته ومعظيها، وما أقيم ويقام من بناء، وما عقد ويعقد من مآتم على مد هذه المديات المتطولة لإحياء ذكرى أمجاده وبطولاته، لا يدرك سر الخلود في ذكره الفذة ونهضته الفريدة.

وقُدِّست كلمة شعر قالها شاعر معاصر في عظمة هذا السر:

فيا أيها الوثرُ في الخالدين فـذا إلى الآن لم يُشفع

وما عظمة سر هذا الخلود إلا من عظمة سر العلاقة بين الحسين عبداً والباري تعالى معبوداً.

ولا أعظم من أن ينكر الإمام ذاته الشريفة في حبه لله تعالى، ثم يضحى بها فداء لدينه، ومن بعدُ يقلعها قرباناً إليه عليه السلام.

ولعل أروع ما يكشف عن سر هذا الخلود وقدسيتها ذلكم القربان أن ترفع السيدة زينب عليها السلام أشلاء الجسد الطاهر يوم كربلاء بكلتا يديها الكرمتين، وترمق السماء بطرف خاشع لله تقديساً وإجلالاً، وهي تقول قولتها المعروفة:

(اللهم تقبل منا هذا القربان)

(اللهم تقبل منا هذا القربان)

(اللهم تقبل منا هذا القربان)

ومن عظمة هذا السر أن لا يمر على استشهاد الإمام عليه السلام غير أيام معدودة فتتالي معظياته الخيرة، ويكون أكبر معطى أن تصبح تضحية الإمام وآله وأنصاره لجيله وللأجيال من بعده الرمز الأسمى للفداء في سبيل الحق، وأن تصير المثل الأعلى الذي يضرب لنكران الذات من أجل العقيدة.

وتركت للأجيال حين يلزها

عنت السرى ويضيق فيها المهربُ

جثث الضحايا من بنيك تريحهمُ

أن الحقوق بمثل ذلك تُطلبُ

وسيقى هذا السر ينبوع خير لا ينضب، ترده الأقلام الحرة الشريفة
وتصدر عنه بالمفيد الجديد.

ومن ذلك: هذا السفر القيم الذي بين يدي القارئ الكريم، والذي
حاول فيه مؤلفه الجليل أن يكشف عن جوانب من هذا السر الحسيني
الخالد، فيرسم منها في ضوء ما قام به من تحليل وتعليل، اللوحة الفنية ذات
الظلال الساحرة، لتفيد الأمة المسلمة من عطاء سيرة وشخصية الإمام
الحسين عليه السلام وعبرة وعظة يومه يوم كربلاء الخالد، فوفق إلى شيء كثير من
هذا، فقد استطاع، وبجهد الباحث الصبور ونظرة العالم الجاد، أن يجمع من
خير هذا السر الخالد الكثير وينظمه في عقد كتابه هذا ملماً بأطرافه وواصلًا
إلى نتائجه بوعي وجد وموضوعية.

غير شيء لمستة في بحثه موضوع الإمامة قد يقال فيه إنه من فعل
العطفة، وهو حدة التعبير في تعليقه على بعض المواطن من بحثه.

وأرجعُ هذا - من خلال فهمي لواقع الأحداث الطائفية المعاصرة - إلى
رد الفعل.

فأي شيعة يرى ما تفرزه المطابع من مختلف البلدان، وتعرضه
المكتبات في أبرز واجهات العرض من كتب تجاوزت العشرات، لا تحمل
بين طياتها إلا تكفير الشيعة بغير برهان من كتاب أو سنة، إلا ويكون لديه
شيء من رد الفعل.

ولا أدري ما ذنب الشيعة، والأدلة من الكتاب والسنة عندهم متوافرة
في إلزامهم بحب أهل البيت عليهم السلام واتباعهم، وهي أمثال: آية التطهير وآية
المودة وآية التصديق وآية التبليغ، إلى غيرها من عشرات الآيات، وأمثال:

حديث الدار وحديث الغدير وحديث الخميس وحديث الثقلين وحديث السفينة وحديث الأمان وحديث باب حطة وحديث الأئمة من قريش، إلى غيرها من عشرات الأحاديث، وكلها متواترة.

وما ذنبهم وهم يؤمنون بإسلامية المذاهب الأخرى وليس عدوهم عنهم لاعتقاد أو شك بعدم اجتهادهم، وإنما لأن الأدلة التي أشرت إليها وأمثالها فرضت عليهم حب أهل البيت فرضاً، وألزمتهم باتباعهم إلزاماً.

وكل مسلم يعلم أنه لا يجوز التدين لله تعالى بأية عقيدة، ولا التعبد له بأي حكم، إلا بعد أن تقوم الحجة بالبرهان القطع على شرعية ومشروعية الاعتقاد والعمل بهما.

هذا هو الذي وضعنا في هذا الموضوع الشريف من اعتناق مذهب أهل البيت والتمذهب به.

وليت هؤلاء الذين ملؤوا الساحة بالضجة المفتعلة ضد الشيعة دعوا وعملوا - كما دعا الشيعة وعملوا - إلى انتهاج الدراسات الموضوعية المقارنة والنقد العلمي البناء، لنلتقي جميعاً على كلمة سواء.

ولعل من المهم أن أشير - هنا - إلى شيء من عمل الشيعة في هذا المجال، فأول من راد دراسة أصول الفقه دراسة مقارنة أستاذنا الحجة الكبير السيد محمد تقي الحكيم، عميد كلية الفقه الأسبق في كتابه (الأصول العلمية للفقه المقارن)، وكان المقرر الدراسي للمادة في كلية الفقه. وتابعه في هذا تلامذته الذين تخرجوا في كلية الفقه، أمثال:

- الدكتور الشيخ أحمد الوائلي في كتابه (أحكام السجون في الشريعة والقانون) و(من فقه الجنس في قنواته المذهبية).

- الدكتور السيد مصطفى جمال الدين في كتابه (القياس: حقيقته وحجيته).

- الدكتور السيد محمد بحر العلوم في كتابه (الاجتهاد: أصوله وأحكامه) و(عيوب الإرادة في الشريعة الإسلامية).

- الدكتور الشيخ محمود المظفر في كتابيه (إحياء الأراضي الموات) و(الثروة المعدنية وحقوق الدولة والفرد فيها).

- الدكتور السيد عبد الهادي الحكيم في كتابيه (بيع المعطاة) و(عقد الفضولي في الفقه الإسلامي).

وغيرهم، وهم يشكلون مدرسة عملية ينبغي أن يطلق عليها -و بحق- مدرسة الفقه المقارن النجفية.

إننا بهذا اللون من النشاط الفكري نستطيع أن نخدم المبدأ ونستطيع أن نخدم الأمة، فنرتفع بها إلى مستوى الاعتصام الذي أمرها الله تعالى به ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(١)، لا باختلاق الأبطال لتعميق هوة الفرقة، فنخدم بذلك من يتربصون بالإسلام الدوائر، ويريدون بالمسلمين الكيد، ولكن الأمر -ومن غير شك- يدخل في إطار كلمة الإمام الشيخ محمد عبده رحمته: "لعن الله ساسي ويسوس وسائس ومسوس والسياسة وما اشتق منها فإنها ما دخلت شيئاً إلا أفسدته".

إن من يرى ما ذكرت لا بد من أن يكون لديه ردة فعل، والحمد لله أن برزت على قلم المؤلف الجليل بشيء قليل من حدة التعبير، وإلا لو كنا مثل أولئك لكلنا الصاع لهم صاعين، لكنه تعليم الإمام الصادق عليه السلام أن نتحلى بالخلق الرفيع حتى يقال: رحم الله جعفر بن محمد فقد أدب شيعته بالخلق القرآني ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَتُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللُّغُومِ مَرُّوا كِرَامًا﴾^(٢).

هذه ملاحظة قد تؤخذ على المؤلف الكريم، وقد لا تؤخذ عليه، لأن لها ما يبررها مما أشرت إليه.

وإلى جانبها شيء مهم يؤخذ للمؤلف لا عليه، ويسجل له في تاريخ

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٦٣، ٧٢.

أعماله المفيدة، وهو المنهج الذي كنت أود أن ننهجه دائماً وأن نركز عليه، لأنه يرتفع بنا إلى مستوى الاعتراف بذاتنا، والاعتداد بشخصيتنا، وهو اعتماد المصادر الشيعية، الاعتماد الذي ألقى به المؤلف (حفظه الله) ما سميت به (عقدة الغير)، تلك العقدة التي جعلتنا نقيم وزناً لمصادر غير شيعية قد لا يأتي في موضعه، وبخاصة بعد أن ثبت لنا أن فيها من الأخطاء والمفارقات مما لا يمكن إسدال الستار عليه.

فمتى سرنا ودليلنا في المسرى أن نعرف الرجال بالحق، لا أن نعرف الحق بالرجال، فسرى أن لا كتاب معصوماً إلا كتاب الله تعالى، فإنه وحده الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ويكفيني هنا أن أعطي شاهداً واحداً على هذا:

جاء في بعض الرسائل لبعض العلماء من إخواننا أهل السنة - وهو يعد على الشيعة مخالفاً للفقهاء الشرعية كما يرى - : "ومنها: (أي من المخالفات) قولهم: إن الحسن بن علي لم يعقب، وإن عقبه انقرض، وإنه لم يبق من نسله الذكور أحد.

وهذا القول شائع فيهم، وهم مجمعون عليه، ولا يحتاج إلى إثباته".

أرأيت كيف يرسل هذا العالم هذه القضية إرسال المسلمات وكيف يضعها موضع البديهيات التي لا تحتاج إلى دليل لإثباتها والبرهنة عليها؟ وكأنه لا يعرف أي شي عن الكتب غير القليلة التي ألفت في أنساب العلويين، وفيها البيانات الوافية والبيانات الشافية عن ذرية الإمام الحسن عليه السلام من قبائل وأفراد.

وكانه لا يعرف أي شي عن الكتب الكثيرة التي ألفت في أعلام الشيعة وفيهم الجمل الغفير من ذرية الإمام الحسن عليه السلام.

ومن الأسر العلمية الحسينية المشهورة والموجودة الآن والتي تتشرف في انتسابها إلى الإمام الحسن عليه السلام.

١ - آل طلوس في الحلة.

- ٢- آل بحر العلوم في النجف.
 - ٣- آل الحكيم في النجف.
 - ٤- آل عطيفة في الكاظمية وبغداد.
 - ٥- آل الحيدري في الكاظمية وبغداد.
 - ٦- آل العطار في النجف وبغداد.
 - ٧- آل الطباطبائي القمي في كربلاء ومشهد وقم.
 - ٨- آل فضل الله في لبنان.
- وغيرهم.

ألا يعني هذا أن العالم المذكور أراد أن يسجل - هنا - على الشيعة ما يراه مخالفة فلم يجد فلجأ إلى مثل هذه المقولة المريضة.

وتحضرني الآن طريفة مماثلة رأيت سردها باختصار ليعرف قيمة ما يقال:

حدث مرة خصومة بين المسلمين واليهود في قرية الكفل الواقعة قريباً من مدينة بابل الأثرية في العراق في شأن مسجد إلى جانب مشهد النبي ذي الكفل، حيث ادعى اليهود نفي مسجديته، فترافعا إلى المحكمة المختصة ببغداد، وقررت المحكمة ثبوت مسجدية المبنى إذا كان فيه ما يدل على المسجدية كالمحراب والمنارة، ومن الاتفاق أن المبنى المذكور كانت فيه منارة كبيرة وطويلة، فأرسلت المحكمة من قبلها لجنة لاستجلاء حقيقة الأمر، ولكن رشيت اللجنة من قبل اليهود، وعندما وصلت إلى الكفل جعلت المنارة خلف ظهور أفرادها، وكتبت: وصلنا إلى المبنى المسمى إليه واستجلينا حقيقة الأمر بوقوفنا في فناء المسجد، فلم نر أمامنا ما يدل على مسجديته وهي المنارة التي ادعى وجودها المسلمون من أبناء القرية.

هكذا يغطي على الحقيقة ولو بأمثال هذه الغرايبيل ذات الثقوب الواسعة.

إنها قصة طريفة وظريفة ولها دلالتها هنا.

وفي مدوناتنا وموسوعاتنا ما هو بالمستوى المطلوب علمياً وفنياً،
وذلك مثل:

- ١- الشافي، للشريف المرتضى.
 - ٢- تلخيص الشافي، للشيخ الطوسي.
 - ٣- الألفين، للعلامة الحلبي.
 - ٤- بحار الأنوار، للشيخ المجلسي.
 - ٥- إحقاق الحق، للسيد التستري.
 - ٦- عبقات الأنوار، للسيد الهندي.
 - ٧- الغدير، للشيخ الأميني.
 - ٨- دلائل الصدق، للشيخ المظفر.
 - ٩- المراجعات، للسيد شرف الدين.
 - ١٠- فضائل الخمسة، للسيد الفيروزآبادي.
 - ١١- معالم المدرستين، للسيد العسكري.
 - ١٢- الذريعة للشيخ الطهراني.
 - ١٣- الملحمة الحسينية، للشيخ المطهري.
 - ١٤- ملحمة أهل البيت، للشيخ الفرطوسي.
- وغيرها.

فإنها لمؤلفين ثقات أثبات اعتمدوا في دراساتهم المنهج العلمي فالتزموا
الأصالة في الرأي، والعمق في البحث، والموضوعية في المعالجة والنقد.
وأن يعلم الباحث وثاقة المؤلف ويؤمن بما شرط أساسي في الاعتماد
عليه، وبخاصة في مجال الدراسات العقيدية، والتاريخية التي ترتبط بالعقيدة من
جانب أو آخر.

ولسنا بهذا نريد أن نعطي العصمة لهذه المؤلفات، فإننا لا نعتقد

بذلك، وهي عندنا تخضع في محتوياتها للنقد العلمي، فيقبل منها ما يقبل، ويرفض منها ما يرفض، وإنما نريد بهذا أن نضعها في موضعها المطلوب، وهو الاعتماد عليها مصادر إسلامية موثوقة كلاً في مجاله، فنقتلع هذا من نفوس البعض عقدة الغير التي غررت بالغير من جانب، وقللت من اعتمادنا على ذاتنا من جانب آخر.

وشيء آخر يسجل له أيضاً، هو دخوله إلى صميم موضوعه عن طريق التمهيد التاريخي باستعراضه الحوادث التاريخية التي مهدت لأن تقع مأساة كربلاء، وتعقيبه بتبيان العوامل التاريخية والعقيدية التي ساعدت أن تحقق وقعة كربلاء أهدافها في الواقع الاجتماعي. وقد وفق في هذا منهجاً ومادة.

ومن أهم هذا ما نشاهده الآن من انتشار التشيع، واتساع رقعته الجغرافية، مع ما يلقاه من محاصرة ومحاربة الأموية المعاصرة له، ومع ما يمضي به بين الحين والآخر من هجوم الإمبريالية العلمانية العالمية عليه من طرق مباشرة وغير مباشرة.

وأخيراً تطرق (حفظه الله) وبالنقد لبعض الأعمال التي ترتبط بموضوعه من الواقع الاجتماعي المعاصر بغية استبعاد ما لا يلتقي وطبيعته في تحقيق أهدافه. فتناول موضوع المنبر الحسيني وأرخ مسيرته، وألقى بعض الأضواء الكاشفة على جوانب منه فقيمه على هديها تقييماً عادلاً، وأرخص بعض الظلال الخفيفة على جوانب أخرى بغية التنبيه على ما فيها من مفارقات قد تتعارض وطبيعة رسالة المنبر فلا ترتفع إلى مستوى قدسياتها وأهميتها، فعرض ونقد واقترح، وكان في كل هذا الرائد الذي لا يكذب أهله.

وما نسي أن ينصف المرأة ومشاركتها في بطولات المعركة وبطولات الخطابة بعد المعركة، ومن بعد هذا مواكبتها لمسيرة المنبر، وبهذا دلت أن المرأة هي الأخرى سارت مع الرجل في هذا الموكب العظيم موكب الإمام الحسين في طريق الخلود.

فجزاه الله جزاء العاملين في سبيله، وأسبغ عليه من نعمه في العلم
والعافية ليعطي المزيد من مثل هذا، إنه تعالى ولي التوفيق وهو الغاية.



مركز بحوث الحاسوب والعلوم



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

إشراقه:

يلمع بين عظماء التاريخ أبطال يفرضون وجودهم ويأسرون العقول بجذها للتفكير فيهم، والنماذج الممتازة أصناف شتى، فيشدك إلى البعض سلوك مميز كان يحياه هذا العظيم، ويسترعي انتباهك شريحة أخرى تعيش مثالية نادرة، وقد يستولي على مجامع تفكيرك فئة نادرة لا بهذا ولا بذاك.

وأسمى من ذلك وأجل أن يأسر الجميع بكل خلاله وخصاله، بأقواله وأفعاله، بمبادئه وأهدافه، ومناهجه وغاياته، وإحرازه قصب السبق في ميادين الفضيلة، ومقاييس السمو والنبيل والشرف، وكل ما يتنافس فيه العقلاء ويسعى لنيله النبلاء، لشريف غرضه وكرامة موضعه وخيره العميم ونفعه الجسيم.

والمع نجم برز في سماء العالم، وأشرف صورة عرفها التاريخ، وأصفى أنموذج جاد به الدهر، وأجلى سبيكة وقع عليها النظر، الذي هيمن على قلب كل من عاصره، وأسر كل من قرأ سفر خلوده، وبعث الروح في كيان كل من ينشد عزاً وكرامة وحياة، ذلكم هو فخر بني آدم (الحسين بن علي)، مجمع الفضائل، مركز الكمالات، موطن الشرف، الذي برهن بما أحدثه من دوي وحركة وتغيير في مجرى التاريخ وقلب الموازين السائدة وملك العقول الشاردة، برهن على عظيم ما اشتمل عليه في قلبه الكبير، ودلل على دخائل نفسه الشريفة وما يحمله في وجوده وما جلت حياته وختم به دنياه من أسرار حيرت العقول والألباب.

وتمثل هذه المثل بقي الحسين خالداً يفرض ذاته على أوليائه وأعدائه منارة للحق ينادي بها كل عاشق للكرامة وكل حر غيور، ومشعل هداية يستنير بها كل مسترشد إلى طريق الحق والنور.

ولأنه اشتمل على مقومات الخلود وملك سر البقاء نراه غضاً جديداً، كلما تمادى الزمن كشف عنه جديداً وأبان للأمم كنزاً مفقوداً.

أحسين فيما أنت قد حملته أشغلت فكر العالمين جميعاً

ولم يكن من قتله وشهادته بأشجع صورة مارسها الحقد والجهل ما
يمحو ذكره ويعفي أثره.

كَذِبَ الْمَوْتُ فَالْحُسَيْنُ مُخَلَّدٌ كُلَّمَا أَخْلَقَ الزَّمَانُ تُجَسَّدُ

ترابط الحوادث:

الوقائع التاريخية مترابطة الحلقات، مشدودة العرى، يلتقي أولها
بآخرها، وكلا الطرفين بما يوصل بينهما، وقد قيل: النتائج تتبع المقدمات.
ونظرة عابرة على سير الحوادث ودراسة أسباب نشوئها تكشف مدى
هذا التماسك.

وهذا النمط من الاتصال قائم أو ينبغي أن يقوم بين كل مركب من
أجزاء، فتركيبه الإنسان الذاتية والعوارض الطارئة عليها مترابطتان، وإن
خللاً في عضو منه لكفيل بشل حركته، وتعطيله، وتبديل فعله وانفعاله.
وهكذا وحدة المجتمع، فالتكافل المطلوب فيه ينحل بأذن صدع
يعرض عليه، وما ذاك إلا أن المجذبا يجمع هاتيك الأطراف.

وهذه الرؤية القائمة يقف عليها التأمل فيما يعيشه ويعاصره من
أحداث، ويطلع عليها من سبر أحوال الشعوب في حرهم وسلمهم وفي
الأسباب المؤدية إلى التمايز بينهم وما ينجم عن ذلك من محاسن أو مساوئ.
وهنا يأتي دور الباحثين والمحللين التاريخيين والسياسيين والاجتماعيين
وكل ذوي اختصاص لدراسة العوامل الممهدة والمهيأة، وما يصل منها إلى
مرحلة الفعل والوقوع.

وملحمة الطف العظيمة بكل أبعادها من أعظم ما حفل به تاريخ
الامة الإسلامية، فلها ثقلها الكبير، وحجمها الضخم، وهي لم تظهر على
الساحة مباغثة ودون مقدمات،

ولم تتبع فجأة دونها بواعث ومحركات، بل سبقتها أسباب وأحداث،
تخللتها قضايا وشؤون وخطوب وشجون يأخذ بعضها بأعناق بعض

واللاحق بالسابق، أدت بالتالي إلى هذه الوثبة العالية والتضحية الفذة والمجزرة الدامية.

وهنا يلح الموقف المخرج في هذا المعترك باستنباط الدواعي وقراءة التاريخ لتحديد العوامل المؤثرة تسبيباً ومباشرة في قيام ذلك الحدث العظيم.

اليوم الأول مجرى التحول:

ومن الطبيعي جداً أن تتمثل السنخية والتجانس بين المقدمات والنتائج في قضايا الخير والشر، قرر ذلك الدين وكشف عنه العلم وأثبتته الاعتبار.

والقضية الدينية أو التاريخية أو المسألة الاجتماعية تجري طبق ذلك القانون ووفقه.

وقيام الحسين عليه السلام قضية من الدين في الصميم، فلا غرو أن لو كانت بواعثها دينية - في ظاهر الحال -

نعم، قد يصعب القبول والافتناع بأن البواعث لمجزرة الطف وأن يوم الحسين كان نتيجة ليوم تحول مجرى الإمامة عن خط الرسالة، فانقطع ذلك الامتداد المراد، وانفصمت تلك العرى الوثيقة التماسك.

ولكن شرعة الحق تقضي عدلاً، وساحة قدس الإنصاف تحكم فصلاً، بأن الحق أحق أن يتبع، وأن الحق لا يعرف بالرجال بل تعرف الرجال بالحق.

إذن: فيجب التجرد عن الأهواء، ويجب الاستعداد المسبق لقبول النتائج إذا تمخض عنها البحث، سواء وافقت هوى في الفؤاد أو خالفت.

وأما إعلان الحكم مسبقاً، والتعصب له، والاستماتة دونه قبل قراءة الأسباب والعوامل ودراستها، فذلك ظلم وحيف، يأباه الضمير والوجدان، وتقييم الحقائق.

فجلال العلم والحق يفرض نفسه في الموقف، ويشق طريقه، ليتمكن في العقول كما يقتضيه واقع الحق والصدق، وقد قيل: الحقيقة بنت البحث.

والحق يقال: إن هذه مسألة شائكة معقدة، والخوض فيها مطلب صعب، ودربه وعمر، محفوف بالمخاطر، يخشى فيه الانزلاق وراء العواطف، والخلود إلى الرواسب، ووراثه الآباء، وقبول ما كان كما كان - وكأنه حقيقة ثابتة، لا تقبل جدلاً، ولا تحتمل شكاً - دوناً مراجعة، أو مطالعة، أو اقتناع. وقد عاد قبول النتائج الحققة المرة بعد غاية، وأنأى منالاً حتى كاد يلحق بالمستحيلات، ولا سيما إذا تفرع عنها مسائل دخلت في مباحث الاعتقاد والدراسات الدينية والتاريخية والاجتماعية وأسس عليها بناء وبناء. وبعد.....

فلعمر الحق، إني لفي حيرة من أمري، هل أقدم أم أحجم، فالموضوع قد أشبع بحثاً - حتى التخمة - وتعددت فيه الدراسات، بمختلف الأساليب، والمستويات العلمية، والفلسفية، والروائية، والاحتجاجية.

والمكتبة الشيعية تزخر بالعلم الجرم، والأدب الفياض في عموم المسائل المطروحة على بساط البحث قديماً وحديثاً وهي وإن اختلفت في منهجيتها في البسط والعرض، بمقتضى اختلاف أنحاء التفكير، والثقافات، وطرق التفهيم، وأساليب المنظرة، والجدل، إلا أنها تتحد في الغاية والمقصد.

ولئلا يخلو البحث عن هذه المسألة (الأم) فسأعرض أبرز فصولها ومرتكزاتها، حتى نرى كيف سببت هذه المحنة والفتنة نشوب تلك المأساة العظمية والفاجرة الكبرى، مؤكداً على ما لا يحتاج في واقعه إلى تأكيد إلا وهو: إننا نسير في درب طويل شاق نبتغي غرضاً وننشد ضالة وكنزاً خفياً نتحمل من أجله الصعاب كي نغنم بكشفه وننعم بالانتفاع به.

الباب الأول

الفصل الأول: حديث الإمامة

الفصل الثاني: مواكبة التاريخ الأسود والواقع المر

الفصل الثالث: عودة الحق إلى أهله

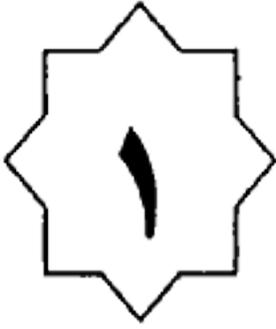
الفصل الرابع: الأمل الباقي الإمام الحسن المجتبي عليه السلام

الفصل الخامس: عصر الحسين عليه السلام

الفصل السادس: نتائج وأثار لمدرستي الإمامة



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مركز تفتيش كليات العلوم
بجامعة الإمام
محمد بن سعود



مركز تفتيش كليات العلوم بـ
جامعة الإمام محمد بن سعود

تعريفها

مقدمة جامعة نافعة

مدرستان في الإمامة



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

١- تعريفها :

الإمامة: رياسة عامة ونيابة عن النبي الأعظم ﷺ في أمور الدين والدنيا^(١).

٢- مقدمة جامعة نافعة :

أولاً: الإمامة لطف:

إذا أصاخ المتأمل، وأجال تفكيره فيما وجه نحوه من تعاليم الله سبحانه، في مختلف مجالات التشريعات، ومتعدد الإلزامات، وشتى نواحي الأوامر والنواهي، والأفكار والسلوك، وأسلوب التعامل في الحياة ومع الحياة، ثم أحصى ذلك -وأتى له الإحصاء والاستقصاء- فإنه يرى من الأرقام ما لا يقوى على قراءته، ويشعر بما يجهد فكره، ويثقل كاهله، من عبء التكليف، ووفرهما، وسعة نواحيها. فلو ألقى في لجج هذه الأمواج المتلاطمة، ذات القعر العميق، والساحل البعيد، فهل يقوى على الخلاص، ويحظى بالنجاة، وهو وحده حيران، لا يدري كيف يراد به، ولا ما هو صانع؟

أما لو اطمأنت نفسه إلى من ينقذه، ويأخذ بيده - وهو متمكن من القيام بذلك - قدبر عليه، فبين له معالم الدين، ومصالح الشرع، ومفاسد المخالفة، وشقاءها، وسعادة الامتثال، دنياً وآخرة، فإن ذلك مما يبعث ويقوي العزيمة على الانقياد، والنهوض بتلكم التكاليف.

وهذا هو معنى اللطف: مقرب العباد من العبادة والطاعة ومبعدهم من المخالفة والمعصية بلا إجبار أو إكراه^(٢).

(١) هذا التعريف شائع ذائع في كتب الإمامة، لاحظ: النافع يوم الحشر في شرح

الباب الحادي عشر، الأصل للعلامة الحلبي والشرح للفاضل المقداد، ص ٦٩.

(٢) اقرأ عن اللطف عامة كتب الإمامية في الإمامة وللتمثيل لا الحصر: الشافي في

إذن فهو مرتبة سامقة، ورتبة سامية يحظى بها المكلف، ويتولى الاضطلاع بها من يحسن القيام عليها، وفي ذلك عون ودفع للعبد للقرب من الرب.

وإذا كان الكافل لهذا الأمر من يعلم الله جدارته وأهليته - كما يأتي شرح ذلك - فذلك أدعى وأرجى للعوائد والفوائد.

وأحسب أن لا حاجة لإقامة أمثلة وشواهد على هذه الحقيقة، فدنيا الناس تشهد بأن المدرسة والمعمل والأسرة والعشيرة والقربة والمجتمع الكبير ونظام مجتمعات الحياة وأعمالها لا تصلح إلا بوجود مصلح فيها، يوجه ويرشد ويجمع الشمل ويلم الشعث ويدير ويدبر.

وصدق الإمام علي بن الحسين عليهما السلام في حكمته العظيمة:

”ضلّ من ليس له حكيم يرشده“^(١).

والشاعر في مقولته:

لا يصلحُ الناسُ فوضى لا سُرّة لهم ولا سُرّة إذا جهّأهم سادوا
وهذا الدليل الوجداني ثابت حقاً مطلقاً سواء كان للبشرية دين
يتعبدون به أو لم يكن، فالحكمة المتعينة مقتضية لذلك.

قال السيد الشريف المرتضى:

والذي يدل على ذلك أنا وجدنا أن الناس متى خلوا من الرؤساء ومن
يفزعون إليه في تدبيرهم وسياستهم اضطربت أحوالهم، وتكدرت عيشتهم

الإمامة ج ١ ص ٤٧، والاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد ص ٢٩٧، والألفين في

إمامة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام ص ٥، وعقائد الإمامية ص ٦٥.

واقراً بحثاً مستفيضاً عن اللطف وتقسيمه إلى: المحصل والمقرب والمناقشة في ذلك في

(الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل) للعلامة الكبير الشيخ جعفر

السبحاني ج ٢ ص ٤٧... إلخ.

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٩٩، وحياة الإمام زين العابدين للقرشي ج ٢

ص ١٠١ عن الإنحاف بحب الأشراف ص ٧٥.

وفشا فيهم فعل القبيح، وظهر منهم الظلم والبغي، وأنهم متى كان لهم رئيس أو رؤساء يرجعون إليهم في أمورهم، كانوا إلى الصلاح أقرب ومن الفساد أبعد، وهذا أمر يعم كل قبيلة وبلدة وكل زمان وحال، فقد ثبت أن وجود الرؤساء لطف بحسب ما نذهب إليه^(١).

ثانياً: القرآن والحديث:

القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، دعامتان عظيمتان وقاعدتان أساسيتان يقوم عليهما نظام الدين، ودستور التشريع، بما بين الله أحكامه، وشرع حلاله وحرامه.

فتولى الرسول الأعظم ﷺ إرشاد البشر بتعاليم الله، من كتاب الله، فعاش قومه، ومن بعث إليه -وقد بعث إلى الناس جميعاً- ومن وصلته دعوته بالقرآن، فكان القرآن يمد لهم أطراف الليل وأثناء النهار بتوجيهاته في كل ما يتعلق بمبدئهم ومعادهم ومعاشهم، فطهرهم من الشرك بتوحيد الله، وهذبهم بالخضوع إليه وحده (جل وعلا)، ونهذ الأصنام، وكل ند يدعى من دون الله، وحكى لهم قصص الماضين، وأحوالهم من ملوك ومملوكين، ورغبتهم في عمل الصالحات للحصول على جنته، وأرهبهم من فعل الطالحات للوقاية من ناره، فعاد وحي السماء غذاءً وروحاً ودرس حياة، رسم لهم أصول اعتقادهم وعبادتهم ومسائل أخلاقهم ومعاشراتهم.

وكذلك كانت السنة النبوية الشريفة عضد القرآن، تشرح ما أهم، وتفصل ما أجمل، يسير بهم حاملها -وهو البشير النذير- سيراً سجعاً فيسن لهم ما به صلاحهم، ويشرح ما فيه فلاحهم، ويقوم فيهم بما فيه نجاحهم، فكان مناراً هادياً ومقتدى راعياً، يقف على الصحيح من القول والعمل فيقره، وجماع القول فإنه ﷺ قرآن نطق، وترجمان القرآن الصامت الذي فيه تبيان كل شيء، والمستقرئ لسيرته وسريرته ومخايل نفسه الشريفة يبهره هذا الوجود المحمدي المبارك، وهذه الرحمة المهداة، فيستيقن أن الفيض

الإلهي العميم قد شرع للأمة طرق الخير فبصرهم من العماية وهداهم من الغواية، ولم يدع مجالاً فيه سعادتهم إلا وفتحها، ولا باباً ينفذ منه الشر إلا أحكم إغلاقه.

وكان النسخة الفريدة في عالم الخلق وممثل الحق (جلّ وعلا) بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، يعنيه أمرهم وتممه شؤونهم. فنعم العضد والساعد، والموازر الناصر لكتاب الله ودينه، أحياهما بقوله وفعاله وجميل خلالته وخصاله عليه السلام.
إذن فلا غرو لو لحظنا اتحاد الأهداف وتوافق الغايات فيما ينحو إليه القرآن العظيم والرسول الكريم.

ولسنا في مجال استعراض التوافق بين كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام، وإنما الهدف إثبات الانسجام والتطابق التام، فيما نحن بصدده من موضوع (الإمامة)، والبرهنة على أن المسألة ركزت غاية التركيز، كتاباً وسنة، واستوعبت عموم قضية الخلافة والزعامة والولاية والإمامة من قبل الله بعد رحلة رسول الله عليه السلام، حتى نلمس الأمر بأيدينا حقيقة جلية، ونشاهد كيف أن القرآن ينزل في الحادثة ويترجمها النبي قولاً وممارسة عملية، ويصبح بالتالي القرآن والحديث يتحدثان عن موضوع واحد، هذا من الله وهذا من رسوله - وكلاهما منه عليه السلام - فالأمر له وحده لا شريك له، ولا وزير، وإنما دور النبي الإنذار والهداية والتبليغ والبيان، والائتمان على الوحي، وأعظمهما رتبة، وأكرمهما منزلة، لا يليق لها إلا من اصطفاه الله، واختاره لأجلها.

وعلي علينا واجب الإكبار والتعظيم والإجلال لهذين النبيين
والمصدرين أمرين مهمين:

الأول: إثبات المدعى بهما، باستقراء جمل القرآن وآياته وبيناته، واستنطاق ما صح من حديث النبي وكلماته.

الثاني: الإذعان والخضوع والتسليم والخشوع لما نزل من عند الله وما جاء عن رسول الله عليه السلام ولا إخال مسلماً يترفع عن قبول حقائق التنزيل أو يتعالى عن محكم التأويل، فالانقياد ركيزة الإيمان الأولى، ولقد قال الله سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا

يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿١﴾.

أجل الله هو الحاكم المطلق المهيمن العزيز الجبار المتكبر، ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ (١).

والكل في تصرفه وتحت قبضته ونفوذ سلطانه ومجرى تدبيره تكوينا وتشريعاً، ولا يسوغ التبعيض في قبول الحكم فنكون ممن ﴿تُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَتُكْفِرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (٢).

ثم جعل الله الولاية العامة والسلطة المطلقة التامة لحبيبه ومصطفاه ورسوله ومجتباه محمد ﷺ، فأعطاه بذلك الصلاحية الشاملة والأولوية الكاملة، ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ (٣)، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (٤).

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (٥). وهو أولاً وأخيراً الواسطة بين الحق والخلق، والسلسلة المتصلة بين الأرض والسماء، كملت فيه خير الخصال، فاختره الله سفيراً عنه لعموم العباد، معرفاً لهم بما يجب عليهم وهم لا يعرفون شيئاً من المعارف إلا من طريقه.

وهذه حياة الأمة المسلمة شاهد صدق على ذلك، فالثقافة والمعرفة والعلم والدين والأخلاق والسلوك عنه تؤخذ وإليه ترجع، لا رأي لأحد من أتباعه، ومن استناروا بهديه، وفقهوا بفضل علمه وبركة توجيهه قبال حكمه وأمره ونهيه، بل ليس ذلك بالإمكان، فالكل ليس شيئاً لولا معارفه، ولم يزالوا يستمدون من عطائه وإغنائه، وهم بذلك لم يرتفعوا إلى سامي رتبته، وشريف منزلته، وأتى لهم ذلك، بل النسبة - إن صحت ثمت نسبة - محفوظة

(١) سورة النساء: آية ٦٥.

(٢) سورة الأنعام: آية ٥٧.

(٣) سورة النساء: آية ١٥.

(٤) سورة الأحزاب: آية ٦.

(٥) سورة الحشر: آية ٧.

(٦) سورة الأحزاب: آية ٢١.

بين كونه رسولاً نبياً، يأخذ عن الله لعباد الله، وبين كونهم أتباعاً يُرشدون، ويعلمون، ويوجهون، ويفهمون مهما سمت بهم تعليماته، ورفعت من مستواهم توجيهاته، وجليل الأمور وخطير القضايا وصغيرها وحقيرها في ذلك سواء.

وهنا نعود إلى ما كنا نغدو عليه ونروح من مسألة بحثنا. فما هذه الآيات التي وجهها الله لنبيه ناصراً فيها على أمر الإمامة؟ وهل أوضحها النبي لأمة؟ وكيف أظهرها؟ وهل صدرت منه ﷺ أحاديث في هذا المجال؟ وكيف كان أسلوبها؟ وما هي ردة الفعل تجاه ما أجراه بينهم؟ وبالتالي هل يبقى للأجيال المتعاقبة بعد صدع النبي بما أمر به من شك وشبهة؟

وأخيراً، ما هي الحقيقة التي يجب أن نؤمن بها؟ (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ).

تساؤلات وإثارات تختلج في نفسية وذهنية كل من التفت إلى هذا الأمر الجليل ورعاه، فيجب أن تعرض لها بكل موضوعية وإنصاف، رائدنا في ذلك طلب الحق، وتقييم المواقف بما تستحق، مجانبين كل هوى وعصبية، مواطنين أنفسنا على قبول الحق: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(١)، والحق أحق أن يتبع، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

٣ - مدرستان في الإمامة:

نحن الآن بين يدي مدرستين في الإمامة، تقوم إحداها على نفي النص والتعيين، والأخرى على إثباته وتركيزه. فلنتعرف إذن على رأي المدرستين.

رأي المدرسة الأولى:

١- يقف المتتبع لما ألف وصنف في الإمامة والخلافة على مقولة تكاد تكون إجماعاً ألا وهي: أن لا نص من قبل الله ولا من رسوله ﷺ على أحد، عدا ما شذ من دعوى شرذمة منهم النص على أبي بكر استناداً إلى نقله في الصلاة من قبل النبي كما يقولون.

٢- إن ما يدعيه أرباب المدرسة الثانية (الإمامية) من نصوص قرآنيه مفسرة بأحاديث نبوية، أو أحاديث نبوية مستقلة لا تحكي عن تخصيص أمر الإمامة بعلي عليه السلام، وإن حملت إشادة وتمجيذاً وإكراماً وإعظاماً.

٣- عدم الأخذ بالمقاييس العقلية في إثبات الأولوية حتى مع الاعتراف

بها.

٤- دعوى الشورى والإجماع في إثبات أساس خلافة أبي بكر.

وكما أسلفت، فإن حجة المذهب مقدمة، ولكنني سأعرض هنا وبإيجاز

لمناقشة مجمل هذه الأمور الأربعة تحت كتيب *مكتبة كويتية*

١- أمّا دعوى البكرية فكما وصفت بأنها شرذمة، وقد تمحلت في

دعواها بما لا يوافقها فيه عامة أهل السنة، بل ترمى عندهم بالشنوذ، إذن فلا باعث لمحاكمتها^(١).

٢- وسنعرض لأراء المدرسة الثانية قريباً.

٣- وإن عدم أخذهم بالمقاييس التي يتفاضل بها العقلاء فرع من عدم

أخذهم الدليل العقلي في الإمامة، وإنما إنما تثبت بالسماع. ويبدو أن القوم

سدوا باب العقل هنا - وهو مجاله - وفتحوه على مصراعيه في الأحكام حتى

وصل الأمر إلى الاستحسان والمصالح المرسلة وسد النرائع، وأخشى أنهم

يخافون الإذعان لمقولة الإمامية إن قبلوا تلكم المقاييس، وسنأتي على ذكر

شيء من ذلك في موطنه إن شاء الله تعالى.

(١) راجع المواقف في علم الكلام ص ٤٠٠، والشافي في الإمامة لقراءة كلمات

القاضي عبد الجبار عن البكرية، ورد ذلك ج ٢ ص ١٠٧.

٤ - وأما الشورى والإجماع فهما بيت القصيد وغاية الغايات وعندهما تناخ الركائب.

وللقوم فيه آراء متباينة وكلمات متباعدة. فما هي مقومات الإجماع؟ هل هم المسلمون، أم أهل مكة والمدينة، أم أهل الحل والعقد أو يكتفى حتى بعدة معدودة؟

وهل يضر فيه سكوت الساكت، لا بل اعتراض المعترض وإظهاره الحججة وإصحاره بالمخالفة، ولا سيما إذا كان له شأن في الدين أو المجتمع أو فيهما معاً؟

فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وسيدة نساء العالمين فاطمة بنت رسول الله، والإمامان سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين، والعباس عم رسول الله وجملة بني هاشم، والزبير وكذا المجموعة الإثنا عشر من المهاجرين والأنصار ممن اعترضوا وأنكروا على أبي بكر فعله وجلوسه مجلس رسول الله، وهم: خالد بن سعيد بن العاص وكان من بني أمية، وسلمان، وأبو ذر، والمقداد، وعمار، وزبيدة الأسلمي، ومن الأنصار أبو الهيثم بن التيهان، وسهل وعثمان ابنا حنيف وخزيمة ذو الشهادتين، وأبي بن كعب، وأبو أيوب الأنصاري، وقد اشتهر رفض أبي سفيان واعتراضه.

ثم إن العاقل المنصف إذا استعرض التاريخ وقرأ كتبه يقف ولأول وهلة على الضجيج وما أثاره لفظ القوم من غبار يوم السقيفة، وكيف تم إحكام الأمر وكيف ترك جثمان الرسول الأعظم يشتغل به أهله الأقربون ويتولون أمره، وماذا جرى في مسرح الخلافة من اختلاف ومهاترات بين علية القوم ومشيخة الصحابة من سوء القول والتهديد بالقتل.

فهل بعد هذا يجرؤ منصف يحترم الرأي ويقدم الكلمة فينطق لسانه ويجري قلمه بدعوى الإجماع والشورى، وكأنها من الحقائق المسلمة^(١)؟

(١) اقرأ عن ذلك: المواقف في علم الكلام لعبد الرحمن الإيجي ص ٤٠١، والشافي في الإمامة، وتلخيصه، والاحتجاج للطبرسي، والإمامة والسياسة لابن قتيبة،

ورحم الله الشيخ المظفر، فقد عبّر عن هذا الإجماع بقوله: ولكن ما توقعوه من ذهابهم إلى حجية الإجماع - وهو إثبات شرعية بيعة أبي بكر - لم يحصل لهم، لأنه قد ثبت من طريق التواتر مخالفة علي عليه السلام وجماعة كبيرة من بني هاشم وباقي المسلمين، ولئن التجأ أكثرهم بعد ذلك إلى البيعة فإنه بقي منهم من لم يبايع حتى مات سعد بن عباد (قتيل الجن!).

وقال: والذي دفع أولئك القائلين بتلك المقالات أمور وقعت في تاريخ بيعة الخلفاء يطول شرحها أرادوا تصحيحها بالإجماع وقال: فتخصيص حجيته ببعض الأمة دون بعض بلا مخصص. نعم، المخصص هو الرغبة في إصلاح أصل المذهب والمحافظة عليه على كل حال^(١).

أقول: ولما لم يجلبوا فيما ادعوه من إجماعهم ما ينقع غلة، عمدوا إلى قبول ترشيح الاثنين لواحد، بل الواحد لمثله، بل إنما ثبت بالقهر والغلبة، وجعلوا الدليل عين المدعى ألا وهو: عقد عمر لأبي بكر وعقد أبي بكر لعمر وعقد عبد الرحمن بن عوف لعثمان^(٢).

أجل، ولقد كشف ذلك بأبلغ بيان وأحكم مقال الإمام علي (وهو المبطل بهذه الخنة) في كثير مما نقل عنه من خطبه وكلماته، فقال في (الششقية):

«لقد تقمصها ابن أبي قحافة وهو يعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي... حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى فلان بعده».

ثم تمثل بقول الأعشى:

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر
«فيا عجبا!! بينا هو يستقبلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته

ومعالم المدرستين للسيد مرتضى العسكري ج ١ ص ١٢٤ و ص ١٣١، وقد جرت من هؤلاء المعارضين محاورات ومناظرات.

(١) أصول الفقه ج ٢ ص ٩٢، ٩٣.

(٢) معالم المدرستين ج ١ ص ١٤٦... إلخ، فقد وفي البحث حقه وذيله بمصادره.

لشدّ ما تشطرا ضرعيها. حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أني أحدهم... إلخ»^(١).

وفي بعض روايات السقيفة أنه ~~الخطيب~~ قال لعمر بن الخطاب بعد يوم السقيفة: «أحلب حلباً لك شطره أشد له اليوم يرده عليك غدا»^(٢).

وبعد، فأمسك بالقلم عن الاسترسال، فالكتاب لم يؤلف في الخلافة حتى نفيض في المقال، وقد أشبعت هذه البحوث وبمختلف المستويات بما لا مزيد عليه.

رأي المدرسة الثانية (الإمامية)؛

١ - قيام النص الشرعي على إمامة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب متمثلاً في المصدرين الأساسيين:

في كتاب الله الكريم بما حفل به من آيات عديدة تنص على الإمامة وتخصيص الولاية بعلي وأهل البيت.

وفي الحديث النبوي الشريف الشارح للكتاب والمفسر له تارة، والمثبت ابتداءً أمر الخلافة والإمامة تارة أخرى.

٢ - اعتبار المقاييس العقلية وملاحظة الملكات والمؤهلات (هذا مع القول بأن وجوب الإمامة عقلي) خلافاً لقولهم بأنها واجبة شرعاً وخلافاً لمن نفى وجوبها.

وبعد وهذا العرض الموجز لرأي المدرستين، يتضح التمايز في النظر بنفي النص لدى مدرسة السنة، ودعوى ثبوته لدى مدرسة الشيعة.

وحيث أن النافي يوافق قوله الأصل - كما يقولون - فلنأخذ بالنظر إلى حجة المثبت، وبشوقها تذهب مقولة النافي هباءً، ويتم بذلك الإجابة على التساؤلات المثارة سابقاً.

(١) خطبة الشقشقية المشهورة التي جعلت القوم في (حيص بيص).

(٢) منهاج البراعة في شرح فحج البلاغة ج ٣ ص ٥٨.

فإلى قارئني الكريم نماذج من الأدلة والحجج حسبما تسمع به خطة البحث كفصل ذي ربط بموضوع الكتاب.

١ - آيات قرآنية كريمة:

الأولى: آية الإنذار.

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١)

فلقد أجمع المؤرخون على أن النبي ﷺ لما أمره الله أن ينذر الأقربين من عشيرته دعا علياً عليه السلام وقال له: إصنع طعاماً، واجعل عليه رجل شاة، واملاً لنا عساً من لبن، واجمع لي بني هاشم وعبد المطلب، حتى أكلهم، وأدعوهم إلى الإسلام، وأبلغهم ما أمرت به، ففعل علي عليه السلام ما أمر به، ودعاهم، وكانوا أربعين رجلاً، يزيدون رجلاً أو ينقصون، فيهم أعمامه أبو طالب، والحمزة، والعباس، وأبو لهب، وبنو عمومته، فأحضر لهم علي عليه السلام الطعام، فأكلوا وشبعوا.

وجاء عن علي أنه قال: لقد كان الرجل الواحد منهم يأكل جميع ما شبعوا كلهم منه، فلما فرغوا من الأكل وأراد النبي ﷺ أن يكلمهم، بادره أبو لهب عمه إلى الكلام، وقال: ما أشد ما سحركم صاحبكم، فتفرق القوم ولم يكلمهم النبي ﷺ، وكرر الدعوة، وصنع علي لهم الطعام، فلما أكلوا وشربوا، قال لهم النبي ﷺ: ما أعلم إنساناً في العرب جاء قومه بمثل ما جئتكم به، لقد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني ربي أن أدعوكم إليه، فأياكم يوازرنني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم من بعدي؟ فأحجم القوم غير علي عليه السلام، فقام وهو أحدثهم سناً، وأرمضهم عيناً، وأحمشهم ساقاً، وقال: أنا يا نبي الله، فأمره النبي بالجلوس، وكرر عليهم مقالته، فلم يستجب له أحد غير علي أيضاً.

ولما رأى النبي إحجامهم وإصرار علي عليه السلام أخذ برقبته وقال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون

(١) سورة الشعراء: آية ٢١٤.

ويقولون لأبي طالب: قد أمرك محمد أن تسمع لابنك وتطيع^(١).

”فهل يكلف عمل الطعام ودعاء القوم صغير غير مميز؟! وغر غير عاقل؟! وهل يؤتمن على سر النبوة طفل ابن خمس سنين أو ابن سبع سنين؟! وهل يُدعى في جملة الشيوخ والكهول إلا عاقل لبيب، وهل يضع رسول الله ﷺ يده في يده ويعطيه صفقة يمينه بالأخوة والوصية والخلافة إلا وهو أهل لذلك، بالغ حد التكليف، محتمل لولاية الله وعداوة أعدائه، وما بال هذا الطفل لم يأنس بأقرانه ولم يلصق بأشكاله ولم يُر مع الصبيان في ملاعبهم بعد إسلامه؟! وهو كأحدهم في طبقتهم، كبعضهم في معرفته، وكيف لم ينزع إليهم في ساعة من ساعاته؟! فيقال: دعاه بعض الصبا وخطر من خواطر الدنيا، وعملته الغرة والحدائثة على حضور لهوهم والدخول في حالهم، بل ما رأيناه إلا ماضياً على إسلامه، مصمماً على أمره، محققاً لقوله بفعله، قد صدق إسلامه بعفاه وزهده، ولصق برسول الله ﷺ من بين جميع من بحضرته، فهو أمينه وأليفه في دنياه وآخرته، وقد قهر شهوته وجاذب خواطره، صابراً على ذلك نفسه لما يرجو من فوز العاقبة وثواب الآخرة، وقد ذكر هو العظيم في كلامه وخطبه بدء حاله وافتتاح أمره، حيث أسلم لما دعا رسول الله ﷺ الشجرة، فأقبلت تخذ الأرض فقالت قريش: ساحر خفيف السحر، فقال علي العظيم: يا رسول الله أنا أول من يؤمن بك، آمنت بالله ورسوله وصدقتك فيما جئت به، وأنا أشهد أن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تصديقاً لنبوتك وبرهاناً على دعوتك.

فهل يكون إيمان قط أصح من هذا الإيمان وأوثق عقلة وأحكم مرة؟! ولكن حنق العثمانية وغيظهم وعصبية الجاحظ والمخرفه مما لا حيلة فيه^(٢).

(١) سيرة المصطفى للسيد هاشم معروف الحسيني ص ١٢٩.

(٢) الغدير للشيخ عبد الحسين الأميني ج ٢ ص ٢٨٧ (كلمة الإسكافي حول الحديث في كتابه: النقض على العثمانية) أقول وإن كان فيما ذكره الإسكافي شيء من النظر لا يخفى على ذوي البصائر.

الخلافة بين موقفين: قبول بعلي، ورفض لغيره:

لما عرض الرسول ﷺ الإسلام على بني عامر بن صعصعة قال له بحيرة بن فراس بن عبد الله بن سلمة: رأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ فقال له النبي ﷺ: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء، فقال له: أفنستهدف محورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا، لا حاجة لنا فيك^(١).

أقول: أوليس في قبوله بعلي (وهو غلام) لأن يلي الأمر من بعده ويكون وصياً وخليفة وإماماً، ورفضه لهذا المساوم وإيائه لترشيحه نفسه أو قومه، ووضوح النبي في مقولته بأنه ليس له من الأمر شيء، بل هو الله يضعه حيث يشاء ويرفعه عمّن يشاء، دليل وحجة على أن عقد الإمامة قد تم في أول مؤتمر عقده النبي الأعظم.

أجل... وضعه الله حيث شاء ورفعنا عمّن يشاء والله أعلم حيث يجعل رسالته.

إشارة وإشادة بموقف ناصر الإسلام الأول أبي طالب عليه السلام:

وما دمنا في رحاب يوم الدار أرى من الوفاء لشيخ الأبطال تسجيل موقفه المشرف في ذلك اليوم العظيم.

فقد قال لأبي لهب: يا عورة، والله لننصرته ثم لتعينته، يا بن أخي إذا أردت أن تدعو إلى ربك فأعلمنا حتى نخرج معك بالسلاح^(٢).

وأدع للمنصف الحر تقييم مثل هذه المواقف التي يبذل فيها شيخ قومه وسيدهم النصر والإعانة باللسان والسنان، ومن أجل ماذا؟ إذا أردت أن تدعو إلى ربك، وصدقت هذه العزيمة مشاهد قبل هذا اليوم وبعده قولاً وعملاً فلا غرو لو وصف بما هو أهله: ناصر الإسلام الأول وشاعره الأمثل. ولكن -ولعن الله لکن- يأبي القوم ويعز عليهم أن ينفرد أبو لهب

(١) سيرة المصطفى ص ٢٢٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٧.

بموقف الخزي والهوان والتشهير به في محكم القرآن حتى يشركوا معه أبا طالب، فيفسروا الآيات ويخترعوا الروايات في بقاءه على كفره، فيحرفوا بذلك الكلم عن مواضعه.

وتراهم كيف يكبرون شيخ بني أمية صخر بن حرب ومن نسل من الشجرة الملعونة في القرآن. نعم، إنما المقاييس الضائعة والموازن الخاسرة.
أبو لهب وأتباعه:

سجل التاريخ لأبي لهب موقفه المعادي لدعوة النبي وحمية أبي طالب يوم قال: سحركم محمد، خذوا على يدي صاحبكم قبل أن يأخذ على يدي غيركم، فإن منعموه قتلتم، وإن تركتموه ذللتكم^(١).
الأتباع الحاقدون:

لئن كان لأبي لهب واهمة عذر مزعوم حيث اقتنع بدنو ذهاب سؤدده وعزه وخروج الوجاهة من يده، فاعترض النبي في دعوته، واستمات في وأد أمره، فما عذر حملة الفكر والقلم المتأخرين عن مسرح تلکم الأحداث في إغماضهم عن الحق الصراح وسعيهم لتشويه الواقع وإثارة الزوابع لطمس الصورة المشرقة؟

فذاك أبو لهب يقول ما يقول ويفعل ما يفعل ويحكي ما يحكي أمره التاريخ الصحيح. وهذا الطبري (شيخ المؤرخين) يتلکأ في الجهر بالحقيقة، فيميل إلى الكناية، فيعمي القضية بعد أن صرح بها في تاريخه، فقد أوردها في تاريخه كاملة وأنقصها في تفسيره واكتفى بقوله: فأیکم يؤازرنی علی هذا الأمر علی أن يكون أخي وكذا وكذا، ثم قال: إن هذا أخي وكذا وكذا.

وهذا ابن كثير الشامي يقتفي أثر الطبري فيقتصر على ما أورده الطبري مبتورا في تفسيره. وهذا أحد كتاب العصر الحديث (محمد حسين هيكل) وما خرب به بيته بيده ووقف على سر خراب بيته المؤمنون وكشفوا

أن المال يلوي الأعناق ويأسر الفكر والقلم^(١).

وهذا من يوصف بشيخ الإسلام (ابن تيمية) وكعادته في إنكار الضروريات والبديهيات يعمل الفكر ويشغل القلم في محاولات التشكيك في السند والدلالة وأطراف الحديث للواقعة المذكورة، وقد بالغ في هذا النمط من إثارة الضجة حول المسلمات إلى حد الصلف^(٢).

أقول:

إن الذي أراه في تحليل مثل هذه المواقف:

١- إن البطل لا يعدم الأتباع والأنصار كما أن الحق لا يفقد الأشياع والمدافعين.

٢- لئن كان أبو هب قاوم النبي وأبا طالب حسداً فلقد آزر هؤلاء أبا هب وخذلوا إمام الحق علي بن أبي طالب، ولكن حبل الباطل قصير ولقد وضع الحق لذي عينين وفضح الصبح فحمة الدجى.

مركز تحقيق كتب أمير المؤمنين

النتيجة....

١- ولقد تجلّى الحق بأن هذا الحدث العظيم أول وظيفة دينية في مقام التشريع والتبليغ يقوم بها الهادي الأمين، وهي تعني في واقعها (استخلاف

(١) قد تعرض الكثير لخيانة هيكل وجنابته وتحريفه لكتابه في طبعته الثانية، تقرأ ذلك في كلمات السيد حسن الأمين، والشيخ محمد جواد مغنية، والسيد هاشم معروف وغيرهم، فالأمين أفاض القول في دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ج ١ ص ١١، والجواد في فلسفة التوحيد والولاية ص ١٣٢، ١٧٩، والمعروف في سيرة المصطفى ص ١٣١، ١٣٠.

(٢) الغدير ج ٢ ص ٢٧٨... إلخ، والصحيح من سيرة النبي الأعظم ج ٢ ص ١١... إلخ للسيد جعفر مرتضى، ولقد استوعبا البحث من جميع جهاته وأطرافه وأوردتا المصادر الجمة بما لا مزيد عليه، ومجلة الأضواء النجفية العدد الخامس السنة الثانية، فيما كتبه الشيخ عبد الهادي الفضلي ص ٢٩ والشيخ كاظم الحلفي ص ٤١... إلخ، وقد أشبع الشيخ الحلفي البحث وأفاض بالمصادر.

الإمام على الأمة).

٢- إن هذه القضية حين تمت لم يكن يومذاك أي خلاف طائفي أو نزاع مذهبي ولا سنة ولا شيعة.

٣- أراد النبي ﷺ أن يعلن ومنذ البداية أن الإمامة يجب طرحها الآن حتى يكون الخليفة بعد الرسول معيناً معلوماً فيؤمن من يؤمن ويسلم من يصدق بالنبي على الإيمان بتوحيد الله سبحانه ونبوة رسوله وإمامة علي ووصايته بعد النبي (عليهما وآلهما السلام)^(١).

الثانية: آيات الغدير:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾^(٢).

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾^(٣).

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴾^(٤).

وبعد...

فهذه الآيات الثلاث تتحدث عن قصة كبيرة وحدث عظيم واتسمت بصيغة مؤكدة ولهجة شديدة وما ذاك إلا لأهمية الأمر وخطورته، وإذا كان للظروف والمناسبات وسائر الملابسات ما يكشف عن جوهر القضية - كما هو كذلك - فإن أجواء نزول هذه الآيات وأساليبها وما سبق ولحق تحكي عن جلاله موضوعها المتحدث عنه.

أجل.. المسألة هي الإمامة، والنبي الأعظم ﷺ قد دنا رحيله من الدنيا وهو الآن في حجة الوداع، ومائة ألف أو يزيدون قد نادى فيهم بالحج

(١) مرجع الخلاف إلى الخلافة للمؤلف ص ٥١.

(٢) سورة المائدة: آية ٦٧.

(٣) سورة المائدة: آية ٣.

(٤) سورة المعارج: آية ٢١.

فلبوا نداءه، وحجوا بحجه، وما هم قد آذنوا بافتراق، كل قافلة تتجه وجهتها وتؤم صوبها، والدعوة ثقيلة على كثير، ولا بد من الإسماع والتبليغ وتحميل المسؤولية وبثها وإيصالها حيث وصلت الدعوة الإسلامية، تنفيذاً للطف الله بعباده بإقامة من يقوم على أمر الدين ويحوطه بمثل ما قام به مؤسس النبي الرسول. وإذا استنطقنا المفردات والجمل على ضوء الظروف والملابسات وقفنا على سر هذا الاهتمام.

١ - ﴿بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ﴾، إذا فليس لك من الأمر شيء.
٢ - ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، فأمر هذا يعادل ترك تبليغه إبلاغ الرسالة العظيمة.

٣ - ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، خشية الرد لهذا الأمر المصيري، ووعد من الله وضمنان منه بالرعاية والحماية، ولا سيما إذا كان الناس الراضون كثيرين.

٤ - إعلان الرضا الإلهي بتنفيذ هذا المخطط العظيم وإعلان بأن الحلقة المفقودة ذات الأثر الأعظم قد تم ربطها بحلقات هذا الدين، إذا فقد كمل الدين وتمت النعم بتوظيف من يرعى المسيرة ويقوم بشأن الرسالة ويتلکم التشريعات الإلهية على مدى فترات الدعوة، وهذا الإكمال والإتمام اجتمع أمر الإسلام واكتملت مواده بأسرها.

٥ - ويعتلج في نفوس المرضى الحمقى الانقباض والتبرم من هذا الإجراء الحاسم وهو ما أشارت إليه الفقرة (والله يعصمك من الناس) فبعض يكتنم غيظه وحنقه وآخر يبوح لشاكلته وثالث يتحدى ويجاهر بالإعراض والاعتراض، ولا شيء أحسم لإثارة التشكيك والفضول وأدل على التأيد الإلهي من النصر الإلهي عاجلاً وبصورة قاطعة، فيعترض الأحمق ويقترح برهانا على صدق القضية، فيجاب على ما طلب، فتزل عليه حجارة من السماء يكون فيها حتفه وإحقاق الحق لأهله وإسكات من تحدته نفسه بشيء من ذلك.

وكأنه انتصار الله لحرماته وحرمات بيته الحرام يوم أريد به الهتك من

أصحاب الفيل حيث ﴿أُرْسِلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٦٠﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٦١﴾ فَجَعَلَهُم كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾.

وتتم تلکم المراسيم العظيمة بتتويج هذا الخليفة المنتخب من قبل الله وعلى يد رسوله بتاجين، تاج الكرامة والزعامة وتاج العمامة.

فقد قام عليه السلام خطيباً واستجوبهم أولاً عن الشهادة لله بأن لا إله إلا هو، وأن محمداً رسوله، وعن سائر المعتقدات كالجنة والنار والموت والبعث فأجابوا قائلين: بلى نشهد بذلك، فقال: اللهم اشهد ثم قال: «أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، وأردف مؤكداً:

وإني سأتلکم حين تردون علي الحوض عن الثقلين كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله تعالى إلى أن قال: وعترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا علي الحوض.

ثم توجه ثانياً بعمامة من عنده لعلي (صلى الله عليهما وأههما) وأعد له خيمة ووجه الأمة المجتمعمة لبايعته وتمنته.

قال ابن أرقم:

وكان أول من صافح النبي صلى الله عليه وآله وعلياً عليه السلام أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير ثم باقي المهاجرين والأنصار وباقي الناس، وأما تهنئة الشيخين فهي أشهر من أن تذكر^(١).

أقول: وهكذا يكون البدء والختام من يوم الدار إلى يوم الغدير تأكيداً وتأسيساً لتعيين الإمام وتشريع الإمامة، فتتمثل في بطلها الأول ورجلها الأمثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم). فلما كانت الإمامة امتداداً للنبوة وإبقاءً لمسيرتها لم تذكر عرضاً،

(١) اقرأ: (مرجع الخلاف إلى الخلافة) للمؤلف من ص ٥٤ إلى ص ٦٠. وقد أوردت المصادر العديدة وذكرت حادثة طريفة ومحاورة طريفة بين معاوية بن أبي سفيان ورجل من اليمن تتصل بآية ﴿سَأَل سَأَلٌ﴾.

بل أسست أركانها وشيد بنيانها منذ المرحلة الأولى للدعوة، فكانت أول بلاغ وإنذار وأهم امتثال لقوله سبحانه: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)، وقبل أي تشريع وسن أي قانون.

نعم، وأكدت خلال أيام الدعوة ومختلف ظروفها، سلماً وحرباً وشدة ورخاء، كل ذلك لغرض التأكيد والتثبيت وتمكين الأمر وتعميقه في النفوس، حتى جاءت الساعات الأخيرة فأعيد ما بدأ وأكد كرات ومرات، أعيد وينحو ميمز لافت مثير اغتناماً لهذه الفرصة التي لا تعود، فكان غدير خم بعظمته وجلاله.

وهكذا استمر إحكام الأمر المحكم وتثبيت الثابت مهما سنحت مناسبة أو عنت حادثة حتى لحظات الرسول ﷺ الأخيرة، وسأعرض لذلك قريباً إن شاء الله في أمرين مهمين مرتبطين:

المورد الأول: جيش أسامة وتنفيذه:

فلم يبق القائد الأعظم أحداً من وجوه المهاجرين والأنصار، كأبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسعد وأمّهم، إلا وقد عبأه بالجيش، وكان ذلك لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة للهجرة، وتكرر من القوم اعتراض وتقهر وإحجام، ومنه ﷺ تأكيد وحث وإلزام، وشق عليه تلكؤهم فكان يخرج إليهم معصب الرأس مدثراً بقطيفته محموراً ألماً ورجله لا تكاد تقله منزعجاً من تخاذلهم وتبطلتهم وطعنهم في إمرة أميرهم حتى قال ﷺ - فيما أورده الشهرستاني في المقدمة الرابعة من كتاب (الملل والنحل) -: "جهزوا جيش أسامة لعن الله من تخلف عنه".

وكان -بأبي وأمي- أراد أن تخلو منهم العاصمة فيصفو الأمر من بعده لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب على سكون وطمأنينة، فإذا رجعوا، وقد أبرم عهد الخلافة وأحكم لعلي عقدها، كانوا عن المنازعة والخلاف أبعد، لكنهم فطنوا إلى ما دبر ﷺ، فطعنوا في تأمير أسامة وتشاقلوا عن السير معه، فلم يبرحوا من الجرف حتى لحق النبي بربه، فهموا حينئذٍ بإلغاء البعث وحل اللواء تارة، ويعزل أسامة أخرى، ثم تخلف كثير منهم عن

الجيش وفي طليعتهم أبو بكر وعمر^(١).

المورد الثاني: حديث الدواة والكتف:

أخرج أصحاب الصحاح وسائر أهل المسانيد، وأرسله أهل السير والأخبار إرسال المسلمات: لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي ﷺ: هلم أكتب كتاباً لا تضلوا بعده، فقال عمر: إن النبي قد غلب عليه الوجد وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبي كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر. فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي قال لهم ﷺ: قوموا. قال عبد الله بن مسعود: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم^(٢).

أقول:

١ - وكلمة عمر التي تجراً ونجاسرهما ليحسم بها الموقف: «إنه ليهجر»، ولكن القوم تقديراً منهم لعمر أبدلوا نارة بـ «غلب عليه الوجد» ونارة كنا عنه بـ «قال رجل» وما إلى ذلك. ولست راغباً في الحديث المقرح للقلوب، وأكتفي بالإشارة إلى القلم المبدع والفكر الرصين والتتبع المحيط حتى يقف الباحث على تلكم المفارقات والسيئات ونوابي الكلمات التي لا يطهرها ماء البحر - كما عبر بعضهم^(٣).

٢ - عمر يستعيد الحدث المر مع حبر الأمة ابن عباس.

روى ابن عباس قال: دخلت على عمر في أول خلافته وقد ألقى له صاع من تمر على خصفة، فدعاني إلى الأكل فأكلت ثمرة واحدة، وأقبل

(١) بتصريف واختصار من النص والاجتهاد ص ٩٦ تحت عنوان: المورد (٤) سرية أسامة ابن زيد، وقد أورد المؤلف (أعلى الله برهانه) المصادر المعتمدة ومناقشة الشيخ البشري المذكورة في كتابه المراجعة.

(٢) المصدر السابق بتصريف وإيجاز ص ١٦٧، المورد (١٦): رزية يوم الخميس.

(٣) المصدر نفسه.

يأكل حتى أتى عليه، ثم شرب من جرّ كان عنده واستلقى على مرفقة له وطفق يحمد الله، يكرر ذلك، ثم قال: من أين جئت يا عبد الله؟ قلت: من المسجد، قال: كيف خلفت ابن عمك؟ فظننته يعني عبد الله بن جعفر فقلت: خلفته يلعب مع أترابه، قال: لم أعن ذلك إنما عنيت عظيمكم أهل البيت، قلت: خلفته يمتح بالغرب على نحيلات من فلان وهو يقرأ القرآن. قال: يا عبد الله عليك دماء البدن إن كتمتنيها، هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم، قال: أيزعم أن رسول الله ﷺ نص عليه؟ قلت: نعم، وأزيدك: سألت أبي عما يدعيه فقال: صدق، فقال عمر: لقد كان من رسول الله ﷺ في أمره ذرو من قول لا يثبت حجة ولا يقطع عذراً، ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام، لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها لانتفضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله ﷺ أني علمت ما في نفسه، فأمسك وأبى الله إلا إمضاء ما حتم.

وذكر هذا الخبر أحمد بن أبي ظاهر صاحب كتاب (تاريخ بغداد) في كتابه مسنداً^(١).

٢- ومن الحديث النبوي الشريف:

١- قال رسول الله ﷺ: «عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ».

وأعرض لقراءة هذا النص الشريف واستنتطق كلماته ضمن نقاط عدة (حسبما تسمح به خطة البحث).

١- صياغته اللافتة حيث جاءت بديعياً بما يقرأ طرداً وعكساً وبما يسمى: (مبالاً يستحيل بالانعكاس) وإن لم يكن في الحروف فهو في الكلمات.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٢ ص ٢٠، وأورد نحوه من ص ٧٨، ٧٩ ومن جملة: إن رسول الله ﷺ أراد أمراً وأراد الله غيره فنفذ مراد الله تعالى ولم ينفذ مراد رسوله، أو كل ما أراد رسول الله ﷺ كان، إنه أراد إسلام عمه ولم يرده الله فلم يسلم، ثم أشار إلى الحديث الذي نقلناه آنفاً.

٢- جلاله المعنى والمغزى في مثل هذا التركيب فـ "علي مع القرآن" يقتضي أثره ويتأدب بأداب ربه التي أودعها فيه، فهو بمعيتة دائماً، لا يشذ عنه ولا يخالفه ولا يجانبه، وقد عقله وأحاط بأسراره، ووقف على حقائقه ودقائقه، فهو يسير حيثما سار.

"والقرآن مع علي" فحيثما رأيت علياً فقد رأيت القرآن، تسمع علياً يتحدث ويحكم فتعلم بأن القرآن يقضي بذلك، فهو مصاحبه وهو مرآته وكل منهما وجه للآخر.

٣- ومقتضى المعية المطردة المنعكسة تشترك صفاتهما:

١- العلم:

فالقرآن فيه تبيان كل شيء. وعلي قد علمه رسول الله ألف باب، يفتح له من كل باب ألف باب، وقال عنه معلمه: أنا مدينة العلم وعلي باها فمن أراد المدينة فليأتها من باها.

٢- العصمة:

فالقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وعلي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار^(١).

٣- التحدي:

فقد نطق القرآن: ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^(٢)، ﴿أَمْ يَقُولُونَ افترأه قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾^(٣)، ﴿وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ

(١) راجع فيه وفي الأحاديث التي قبله: الغدير ج ٣/١٨٠، ج ٧/١٧٧، ج ٨/١٨٩، ج ١٠/٤٨، ٢٨٦ وبقيت الأحاديث التي أغنت شهرتها بل ونواترها عن إيراد مصادرها.

(٢) سورة الإسراء: آية ٨٨.

(٣) سورة هود: آية ١٣.

مَمَا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ ﴿١﴾.

وقال علي: "سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن طرق السماء".

"إن ههنا لعلماً جماً لو وجدت له حملة".

٤ - الهداية ووجوب الاتباع:

فالقُرآن يهدي للتي هي أقوم، كما قال الله، وقال رسول الله في علي: "يا عمار إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع علي، ودع الناس، إنه لن يدلك على ردى ولن يخرجك من هدى" (٢).

٥ - التركيز والتأكيد على انسجامهما:

فقد أفاض النبي الحديث عن الوصي في مختلف المجالات والمقارنات والتشبيهات، ومما عني به جعله عدلاً للقُرآن العظيم وتوأمهما للفرقان الحكيم في عدة مقامات منها:



أ - حديث الثقلين:

"إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله ﷻ وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما".

ب - حديث الغدير:

"وإني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين: كيف تخلفوني فيهما؟ الثقل الأكبر كتاب الله ﷻ إلى أن قال: وعترتي أهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا علي الحوض" (٣).

(١) سورة البقرة: آية ٢٣.

(٢) دلائل الصديق ج ٢ ص ٣٠٤ عن كثر العمال ص ١٥٥ ج ٦.

(٣) عبقات الأنوار ج ٢ في ما كتبه عن (حديث الثقلين).

وأود هنا أن أشير وأثير ما سبق أن ذكرته في بعض ما كتبت من إصراري وتعمدي للإرجاع إلى مصادرنا وعنري في ذلك توجيه عناية الباحثين المخلصين الغياري إلى دراسة الحقائق بموضوعية والتماس مقولة الخصوم من مصنفاتهم والوقوف

ج- في مرض موته عليه السلام:

«أيها الناس يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم: ألا إني مخلف فيكم كتاب ربي عليه السلام وعترتي أهل بيتي، ثم أخذ بيد علي عليه السلام فرفعها فقال: هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض فاسألوهما ما خلفت فيهما»^(١).

٤- بقاؤهما حتى تقوم الساعة:

وهذا مظهر آخر من مظاهر الانسجام والتوأمية بين القرآن والإمام وهو ملتقى الأحاديث المتصلة بهذه الجهة.

١- الإمامة في قريش، وعدتم اثنا عشر:

روى مسلم عن جابر بن سمرة أنه سمع النبي يقول: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»^(٢).

٢- ضرورة معرفة الأمة لإمامها:

فقد رووا كثيراً عن النبي عليه السلام هذا النص ونظائره:

«من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية».

«من مات ولا إمام له مات ميتة جاهلية».

«من مات وليس عليه إمام فميتته ميتة جاهلية»^(٣).

٣- أحاديث المهدي المنتظر:

قال رسول الله عليه السلام: «لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً، ثم يخرج من أهل بيتي من يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

على أمانتهم في النقل ودقتهم في الاستدلال والتنبيه إلى عدم العجلة والركون إلى من سلاحهم التكذيب، وأخص بالذكر مقروناً بالإجلال والإكبار عبقات الأنوار، والغدير وما جرى على فمجهما من كتبنا في الاعتقاد والإمامة والتاريخ.
(١) المصدر نفسه.

(٢) معالم المدرستين لسيد الباحثين العلامة العسكري ج ١ ص ٣٣٣.

(٣) الغدير ج ١٠ ص ٣٦٠ عن وفرة من مصادر القوم.

وعدواناً".

"المهدي من عترتي من ولد فاطمة".

"لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلاً من ولدي اسمه كاسمي، قال سلمان: من أي ولدك يا رسول الله؟ قال من ولدي هذا وضرب بيده على الحسين عليه السلام"^(١).

٣- اعتبار المقاييس وملاحظة الملكات.

ومن القضايا التي قياساتها معها أن يكون تفاضل العقلاء وتمايزهم منبعثاً من تفاوت ملكاتهم ومؤهلاتهم.

وقضية كالإمامة والخلافة وبما لها من شأن وخطر يجب فيها توفر تلكم المؤهلات في شخصية الناهض بأعبائها وشؤونها. فلا غرو إذن لو جعلناها من جملة الأدلة والمقومات وأكتفي هنا للاختصار - بإيراد حديث واحد فقط وإشارة وإحالة.

١- تقييم عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال ابن عباس: كنت عند عمر فتنفس نفساً ظننت أن أضلعه قد انفرجت فقلت: ما أخرج هذا النفس منك يا أمير المؤمنين إلا هم شديداً

(١) معالم المدرستين ج ١ ص ٣٢٨.

أقول وقد ألفت المسفورات ورقمت الزبير في موضوع الإمام المهدي عليه السلام من السنة والشيعية بما وصل إلى حد التواتر، وتناولت الدراسات كل ما يتصل بأمره، عجل الله فرجه وثبتنا على القول بإمامته وغيبته.

وكذلك في تعداد أئمة الدين فقد جرت المناظرات في ذلك ووقعوا في الاضطراب حول جميع اثني عشر إماماً من قريش وشغلت المسألة بالهم، أما الإمامية الاثنا عشرية فقد لصق بهم هذا الوصف الذي عاد لقباً وعلماً عليهم (الاثني عشرية)، والانطباق والاتفاق واضح بين العدد المبارك والأئمة المعدودين ابتداءً من والد الأئمة الإمام أمير المؤمنين والإمام الحسن والإمام الحسين ثم السلالة المباركة من سلالة الحسين، أولهم علي وآخرهم محمد بن الحسن الإمام المهدي (صلى الله وسلم على أرواحهم الطيبة).

قال: إي والله يا ابن عباس! إني فكرتُ فلم أدر فيمن أجعل هذا الأمر بعدي! ثم قال: لعلك ترى صاحبك لها أهلاً! قلت: وما يمنعك من ذلك مع جهاده وسابقته وقرابته وعلمه؟ قال: صدقت ولكنه امرؤ فيه دعابة، قلت: فأين أنت عن طلحة! قال: ذو البأو (العجب والفخر) وبإصبعه المقطوعة! قلت: فعبد الرحمن؟ قال: رجل ضعيف لو صار الأمر إليه لوضع خاتمه في يد امرأته. قلت: فالزبير؟ قال: شكس لقس (سيء الخلق) يلاطم في النقيع في صاع من بُر! قلت: فسعد بن أبي وقاص؟ قال: صاحب سلاح وقضب. قلت: فعثمان؟ قال: أوّه! ثلاثاً، والله لئن وليها ليحملن بني أبي معيط على رقاب الناس، ثم لتنهض العرب إليه.

ثم قال: يا ابن عباس، إنه لا يصلح لهذا الأمر إلا خفيف العقدة قليل الغرّة، لا تأخذه في الله لومة لائم، ثم يكون شديداً من غير عنف، ليناً من غير ضعف، سخياً من غير سرف، ممسكاً من غير وكف، قال ابن عباس: وكانت والله هي صفات عمر، قال: ثم أقبل عليّ بعد أن سكنت هُنيهة، وقال: أجرؤهم والله إن وليها أن يحملهم عليّ كتاب رهم وسنة نبيهم لصاحبك! أما إن ولي أمرهم حملهم عليّ المحجة البيضاء والصراط المستقيم^(١).

(١) شرح لهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٢ ص ٥١ وج ١ ص ١٨٥... إلخ تجد نحواً من ذلك، وكذلك ج ١٢ ص ٧٩ إلى ص ٩٠، وأقرأ عن ذلك الفلير ج ١٠ ص ١٢٦ وما قبلها وما بعدها (العشرة المبشرة بالجنة).



مواهب
البارئح
الأسويك
والواقف
المر

❁ هذا الفصل لماذا؟!

❁ امتداد أيدي القائمين على عموم

الشؤون الدينية والدنيوية

❁ إقصاء أهل البيت ومن والاهم

❁ أنماط من التفكير والاجتهادات

❁ نفسيات القوم وملكاتهم

❁ تأثير التربية على أوليائهم

❁ استشراف من استشرف للخلافة



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

١- هذا الفصل لماذا؟

الكتاب حول الإمام الحسين عليه السلام، والخلافة هي المسألة الأم التي تفرع منها وتمخض عنها قضايا وأحداث، وقضية الإمام الحسين لها تمام الارتباط بتلك المسألة.

واستيعاب البحث يفرض عرضاً أشمل، ومناقشات أوسع، ولذا فإنني أحس بمراجعة الموقف، ولزوم التضاد بين الإطناب والإيجاز، وسوف أختار الإيجاز ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

٢- امتداد أيدي القائلين على عموم الشؤون الدينية

والدنيوية:

لم تكن الفترة التي تمخضت عنها تشكيلات الخلافة مستقرة، ولم يكن القائمون على الأمر والنهي فيها بمستوى اللياقة، إذ ليس لهم من المؤهلات ما يسمح بذلك، والحاكم ولا سيما في مثل ذلك الظرف - تملي عليه الأحداث بسط نفوذه على كل شيء، من تدبير الأمر، وسياسة الجند، وتصريف المال، ومعالجة القضايا في مختلف جهاتها، وقبل هذا وذاك تثبيت الحكم، وإحكام الأمر طبق منهجه الخاص.

وقراءة تاريخ تلك الفترة، ومتابعة معالجة الأحداث فيها تحكي تحولاً خطيراً في التشريع، ومنهجية الحكم، وسياسة الأمة، هذا والأمة حديثة عهد بالدين الجديد، ولا تملك فرصة للتروي، كيف وهي تساق إلى مؤازرة الحكم القائم بسوط من حديد، وسأعرض جملة من الأحداث المتنوعة الأشكال المختلفة الصور:

١- إقصاء أهل البيت ومن والاهم:

وإنه لخطب جليل، له سلبياته التي لا تتلافى، إذ حجّبوا بذلك علمهم وحكمتهم وتربيتهم عن الأمة، وحجّبوا الأمة عن أن تأخذ مديهم

وفكرهم، وقد كانت الأمة بأمس الحاجة لمن يحافظ على تربية النبي ﷺ، وحسن تدبيره للمسلمين السابقين، ولمن هم حديثو عهد، ولمن يدخلون. أجل، قد أحدث ذلك فراغاً لا يملأ بعد إبعاد أبي الحسن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. «أنى زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطبين بأمور الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين، وما الذي نقموا من أبي الحسن؟ نقموا منه -والله- نكير سيفه، وقلعة مبالاته بحتفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله ﷻ، والله لو تكافوا عن زمام نبذه رسول الله إليه لاعتلقه، ولسارهم سيراً سجعاً، لا يكلم خشاشه، ولا يتعتع راكبه، ولأوردتهم منهلاً رويأ فضفاضاً، تطفح ضفتاه، ولا يترنق جانباه، ولأصدرهم بطاناً، ونصح لهم سرّاً وإعلاتاً، ولم يكن يحلى من الغنى بطائل، ولا يحظى من الدنيا بنائل، غير ري الناهل، وشبعة الكافل، ولبان لهم الزاهد من الراغب، والصادق من الكاذب، ولو أن أهل القرى آمنوا وانتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون، والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين... إلخ»^(١).

ب- أنماط من التفكير والاجتهادات:

لو استعرضنا أنماط التفكير والاجتهادات فترة الخلافة الثلاثية لوقفنا على ما لا يحصى كثرة وفي مختلف المجالات، بحيث لو عرض ما سجله التاريخ على فترات حكمهم لرأينا عجباً، بل ما هو أعجب من العجب وإليكم نماذج:

١- الاختلاف في كيفية الاستخلاف والتناقض في ذلك^(٢).

(١) مقطع من خطبة السيدة فاطمة بنت رسول الله ألقتها في حشد نساء المهاجرين والأنصار، (بلاغت النساء) ص ٢٩ وغيرها.

(٢) فلم يكن المقياس واحداً، ويبدو أن كل الاهتمام موجه إلى تصحيح خلافة الأول أولاً وبعده يتم الأمر بتصحيح كل خلافة آتية، لأنها متفرعة عما يدعى صحته،

- ٢- إثبات الطبقية في توزيع العطاء وفي كفاءات التناكح^(١).
 ٣- التخبط في الأحكام بما لا ضابط له^(٢).
 ٤- ابتداع واستحسان الابتداع لوفرة من العبادات والأحكام^(٣).

وتعجبني هذه الحكاية والرواية: قال الشيخ محمد تقي الملقب العاملي: حدثني آية الله المرحوم السيد أبو القاسم الكاشاني -عندما كان متغياً من إيران ومقيماً في بيروت- أنه وجه سؤالاً إلى أحدهم وهو: إذا كانت الخلافة باتفاق أهل الحل والعقد من أهل المدينة بطلت خلافة عمر وعثمان، لأن خلافة عمر كانت بالوصاية وخلافة عثمان بالشورى، ونتيجة الشورى خنق حرية الرأي ومنع جميع لمسلمين من التدخل في شؤون الخلافة ما عدا ستة أشخاص، وإذا كانت بالوصاية بطلت خلافة أبي بكر. حجر وطین ج ١ ص ١٧.

(١) قال ابن أبي الحديد عن سياسة عمر المالية: فضل السابقين على غيرهم، وفضل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين، وفضل المهاجرين كافة على الأنصار كافة، وفضل العرب على العجم، وفضل الصريح على المولى. ثم يعدد قائمة بالرواتب على اختلاف الرتب، فلنفسه: ١٢٠٠٠ ولأزواج النبي ١٠٠٠٠... إلخ، شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٢١٤ وما بعدها. وقرأ: ثورة الحسين: ظروفها الاجتماعية وأثارها الإنسانية: ص ١٧، مبدأ عمر في العطاء وعن سياسة عثمان المالية ص ٢٣... إلخ.

(٢) أكتفي بالإحالة خشية الإطالة إلى (النص والاجتهاد) و(السبعة من السلف) و(الغدِير) و(شرح نهج البلاغة)، وكتب الإمامة والتاريخ فإنها تجمع على ما ذكرنا من اختلاف رأي الواحد في المسألة الواحدة كثيراً، كميراث الجدم مع الأخوة وغيرها، وإن اعتذر لهم أولياؤهم بأن ذلك دليل على الاجتهاد وسعة الأفق العلمي، ولكن هذه الدعوى لا يدعيها المدافع عنه فهو يعترف بقلّة البضاعة وكثرة الإضاعة.

(٣) فبدعة التراويح وارتياح مبتدعها إليها قائلاً كلما رأى قيامها: نعمت البدعة، وأسقاط جملة (حي على خير العمل) من الأذان، وصلاة عثمان بمنى تلمأ، وفي ذلك رواية طريفة تحكي أشياء وأشياء عن فعل عثمان أولاً وإيلاء الإمام علي على عثمان ما أراده من السير على نهجه في هذه الصلاة، وفعل معاوية لما صنع أمير المؤمنين في صلاة ظهره ثم اعتراض القوم عليه وأنه يزرى على عثمان بمخالفته ثم رجوعه إلى رغبتهم بتصحيح فعل سيدهم عثمان. (وسائل الشيعة)

ج- نفسيات القوم وملكاتهم:

إن طبيعة ما صدر يكشف عن نفسيات القوم وما تحلوا به من علم وسلوك. وقد أبرزت ملكاتهم وترجمتهم -وقد يقال بأن هذا شيء ارتضوه لأنفسهم- لكن ما حال الأمة التي عاشت وتربت على مثل هذه المائدة وهي تأخذ ذلك من مصادر الشرع وعن بيده الحكم وزمام الأمر وهم شيوخ الصحابة وأهل الحل والعقد؟

د- تأثير تلك التربية على أوليائهم:

كما يحكي ذلك تحركات عائشة وتصرفات حفصة وممارسات معاوية وأضرابهم من الولاة من قبلهم^(١).

هذا والقسوة والشدة والغلظة والفظظة تنال الصلحاء والأجلاء، فابن مسعود، وأبو ذر، وعمار، ومالك بن نويرة، والمقداد، نالوا ما نالوا من عنت^(٢)، وجملة أخرى مؤلفة من الطلقاء كأبي سفيان، وخالد بن الوليد،

مركز تحقيق وتصوير علوم إسلامية

ج ٥ ص ٥٠٠ حديث ٩. أجل، وهذا باب واسع لا تحصى المبتدعات فيه، فارجع إلى ما شئت وستقرأ قائمة بذلك، وقد تقرأ تصحيحات من المحبين لأئمتهم، فعليك بالمراجعات والنص والاجتهاد والغدير.

(١) فهذه عائشة (ذات الحظوة) وبفضل ما نالت من مقام عند أبيها وعند صاحبه عمر تملك الصدارة في الفتوى والرأي، وتكبر نفسها فتقف يوماً مع عثمان ويوماً عليه، ويوماً على علي وخيرة الصحابة والمؤمنين وتؤازرها شريكها حفصة بنت عمر.

وهذا معاوية (كسرى العرب) كما يصفه عمر، مطلق العنان قد ملك الشام وأهل الشام، وانظر إلى الولاة والرؤساء فلا يملكون من المؤهلات شيئاً إلا الولاء القدم المعتق للقائمين على الأمور.

(٢) ومن حقائق التاريخ تنكر أهل السلطة لمن ذكرنا، وقد أوسعوهم قتلاً وضرباً وشتماً وإيذاءً وطرداً ابتداءً من زمن أبي بكر وما اقترفه رئيس عسكره خالد مع مالك بن نويرة وأصحابه المسلمين، وانتهاءً بتسيير عثمان أبا ذر إلى الرينة حيث لقي ربه غريباً مظلوماً.

والأشعث، ومعاوية، والمغيرة ومن شاكلهم^(١) لهم الرخاء والحظوة، أليس هذا من المفارقات حقاً؟

هـ - استشراف من استشرف للخلافة؛

فأصحاب الشورى نمي وترعرع فيهم حب الإمرة والزعامة وقد رأوا في أنفسهم الكفاءة واللياقة^(٢).

(١) الفاسق الوليد بن عقبة والي الكوفة من قبل عثمان وقد نطق القرآن بفسقه وقد جرت مشادة بينه وبين أمير المؤمنين علي عليه السلام، فمما قاله الوليد: اسكت فأنت صبي وأنا شيخ (نغمة القوم)، فقال له علي: اسكت فإنك فاسق، فأنزل الله فيهما ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾. حياة الإمام الحسن عليه السلام للقرشي ج ١ ص ٢٥٤ عن تفسير الطبري ٦٢/٢١.

والأمر مشهور كشهرة شربه الخمر وصلاته مخموراً للصبح أربعاً وملابسات إقلمة الإمام عليه الحد بعد تلكؤ الخليفة في ذلك إلى هنات وهنات، والطريد ابن الطريد مروان ابن الحكم وبش الولد والوالد، فقد لعنهما رسول الله وكانا في الطائف مطرودين حتى أواهما عثمان وأنعم عليهما وقد عد ذلك من مخالفات عثمان.

وبقية من ذكرت وسواهم لهم سوء الذكر مما سودت به الصحائف.
(٢) ولقد صدق القائل:

لقد هزلتُ حتى بدا من هزاليها كلاها وحتى استلمها كلُّ مفلس

فتأمل في حديث معاوية مع ابن حصين حينما سأله معاوية ما الذي شئت أمر المسلمين وملاهم وخالف بينهم؟؟ فأخذ في الجواب بما خالف الصواب فأخبره معاوية: إنه لم يشئت بينهم ولا فرق أهواهم إلا الشورى التي جعلها عمر إلى ستة نفر، إلى قوله: فلم يكن رجل منهم إلا رجلا لنفسه ورجلا له قومه. باختصار من حياة الإمام الحسن للقرشي ج ١ ص ٢١١ عن العقد الفريد



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مركز
تقنية
الكمبيوتر
باصلاح
العلم
باصلاح
الدين
باصلاح
الوطن
باصلاح
الاجيال

❁ كان الله في عونك يا ابا الحسن

❁ خطاب الإمام التاريخي

❁ المحنة

❁ حرب الجمل وصفين

❁ عتاة بني أمية مركز تقنية الكمبيوتر باصلاح الدين

❁ ثقل العدل

❁ ارتياح الحكام لعهد عثمان

❁ البدع تأتي أن ترتفع

❁ تقهقر أمور الأمة

❁ مصرع الحق شهيداً



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

١ - كان الله في عونك يا أبا الحسن؛

نعم كان الله في عونك يا أبا الحسن.

فزع إليك الناس، راجين الخلاص مما ضاقوا من مرارته، وعاشوا
البؤس والحрман والكبت بأشده، لا بل فزع إليك دين الله، شاكياً ما بدل
من أحكامه، وعطل من تشريعه، هذا وأنت الشاهد الحاضر المبتلى،
والمصدق للناس وللدن في فزعهم وشكايتهم، وقد كان ذلك يقض
مضجعك ويؤرقك.

فيحيا الأمل، بأن الزمن الأسود ولى، وما كان يعتلج في خلطك
ويعيقك عن أداء وظيفتك، وكانت الحججة التي أبرزتها في قولك:

«وظفت أرثي بين أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء،
يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه،
فرايت أن الصبر علي هاتا أحجى، فصبرت، وفي العين قذى، وفي الخلق
شجا، أرى تراثي نهباً، حتى مضى الأول لسبيله، فأدلى بها إلى فلان بعده...
إلخ»^(١).

قد ارتفع وعاد الحق إلى نصابه، فآن الأوان إلى الإصلاح وإنعاش
النفوس والأرواح وإجراء القوانين، وإشاعتها وجذب الأمة إليها حتى
يستقيموا على الطريقة. ولذا ألح الغياري على الإمام عليه السلام وانشالوا عليه،
وازدحموا، وكلما مانعهم ازدادوا إصراراً وإلحاحاً، حتى أجابهم، فهامهم
منتظرون لخطط الإمام، ونهجه في الحكم، ونظم الولاة والقضاء، وتصريف

(١) من خطبة أمير المؤمنين علي عليه السلام (الشقشقية).

وهي التي أثار ما أثار من عواصف وزوابع، وسعى من سعى ليستريح منها ومن
آثارها وأفكارها، ولكن التوفيق لم يسعه، والتحقيق قد أبي عليه ذلك، وأعتقد
أن هذه الخطبة، وخطبة السيدة فاطمة، وسائر الخطب من خطبها، خير
مصدر لدراسة الأحداث، وتجليه الحقائق، قبل أن يعكرها عبث الأهواء
والأغراض.

المال وإدارة شؤون الرعية.

أجل.. عاد الحق، وهو مثقل بأعباء وتركته محملة بالأرزاء، والناس عادت إليهم جاهليتهم فقد انطبعوا بحياة لا تلتقي وأفكار الإمام الجديد، وهو حاملهم على جادة قويمه، وعرة عليهم، وقد ثقفوا، واصطبغت ذهنياتهم بأنماط غريبة، لا يقرها هذا الحاكم الذي راقب تلكم الفترة الطويلة المؤثرة في أخلاق الأمة وعقلها ودينها.

وهو عليه السلام، وبكل ما يحمل من روح وصفاء، وإيمان وإخلاص وجهاد، ابتداء من يوم الدعوة الأولى وإلى يومها الأخير، حيث تم للقائد الأعظم، والرسول الأكرم ﷺ إقرار دعوته، وإنجاح مقاصد رسالة ربه، بمؤازرة ومشاركة هذا الوصي، بجهد وجهاده، "كلما حشوا ناراً للحرب أطفأها، ونجم قرن للضلال، وفغرت فاغرة من المشركين، قذف بأخيه في هوائها، فلا ينكفي حتى يبطأ صماخها بأخصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله سيداً في أولياء الله، مشمراً ناصحاً مجداً كادحاً... إلخ" (١) من رغبة كعبير بن زيد رضي الله عنه

لا يقر له قرار، وهو يرى ديناً قد تبدلت مفاهيمه، وشرعاً تغيرت أفكاره، ونهجاً معوجاً لا يوصل إلى الغاية المنشودة.

فنظر أن ما جاهد من أجله، وبذل النفس والنفيس في سبيل إقامته وبنائه، قد هدمته هذه السنون، وتشريعات الحاكمين فيها، هذا، وليس الإصلاح بالأمر الهين، كيف، وقد اتسع الخرق على الراقع، وقد غلب حب الدنيا دين الناس، واشرببت أعناق فريق إلى الرئاسة والإمرة، بفعل ما ربتهم فيهم سياسة العهد السالف (٢).

(١) من خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، بلاغات النساء لابن طيفور وغيره من سائر الكتب، والحق أن هذه الخطبة العصماء سجل حافل وتاريخ شامل ووثيقة مهمة لدراسة قضايا الإسلام والخلافة.

(٢) يقرأ السيد مرنضى العسكري في مقدمة مرآة العقول ج ٢ ص ١٢٦ إلى ص ١٣٢، فقد عرض تفصيلاً مهماً، وأورد رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام عن ما ورثته

٢- خطاب الإمام التاريخي:

فلنصغ لما يعلنه الإمام في خطابه التاريخي، الذي يعرض فيه فكره ونهجه، ويصرح فيه للأمة بما يبصرهم من أمره وأمرهم: "دعوني والتمسوا غيري، فإننا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول، وإن الأفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكرت، واعلموا أنني إن أجبتكم ركبتُ بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العائب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خيراً لكم مني أميراً"^(١).

ولعمر الحق، لله أنت يا ابن أبي طالب.

بهذه الصراحة ومنتهى الوضوح بين برنامج حكمه ومنهاج خلافته وسار على ذلك، وطبقه، ولكن ماذا حدث؟ والأمة كما علمت، قد تربت على نهج آخر مغاير، وشرائع من ذوي الأطماع سيلفها الخمول في ظل هذا النهج.

مركز تحقيقات كويتية للدراسات والبحوث

٣- المعنة:

ولذا قلبوا للإمام ظهر المجن، فطلعت عليه الفتن من هنا وههنا:

١- حرب الجمل وصفين:

وطيلة فترة الحكم شغلت بحروب من (أم المؤمنين) عائشة بنت أبي بكر (الحاكم الأول)، ومؤازرة حفصة بنت عمر^(٢) (الحاكم الثاني)، وطلحة

الأمة من عهد الحكام السابقين مما سنوا وشرعوا، وقد تعمق كل ذلك في شؤون حياتهم الدينية والدنيوية حتى انتهى الأمر إلى حد اليأس من استجابة الأمة لما هو حاملهم عليه مما أحاط به من علم الله وعلم رسوله ﷺ، فلتراجع فإنها حرية بذلك.

(١) من كلام له عليه السلام لما أرادته الناس على البيعة بعد مقتل عثمان، خطبة ٩٢.
(٢) وكانت قد أرادت عائشة أن تشاركها جهادها ولكن أخاها عبدالله منعها، ولما نزل

والزبير، وهما من مرشحي الخلافة (السداسية)، ومن آخرين ينتمون لعثمان (الحاكم الثالث)، ويطلبون من الإمام الخليفة دعه، والاقتصاص من قتلته، بل وإتمامه بقتله.

٢- عتاة بني أمية؛

وإذا بعناة بني أمية يأتون للمساومة وفي أول أيام الخلافة، وهم يحملون منطقهم الجاهلي وفكرهم القبلي والمفاهيم التي نشأوا عليها^(١).

علي عليه السلام (ذا قار) كتبت عائشة إليها: أما بعد، فإني أخبرك أن علياً قد نزل (ذا قار) وأقام بها مرعوباً خائفاً لما بلغه من عدتنا وجماعتنا، فهو بمنزلة الأشقر، إن تقدم عقر وإن تأخر نحر، فدعت حفصة جوارِي لها يتغنين ويضربن بالدفوف، فأمرهن أن يقلن في غنائهن: ما الخبر ما الخبر، علي في سفر، كالفرس الأشقر إن تقدم عقر، وإن تأخر نحر. وجعلت بنت الطلقاء، يدخلن على حفصة ويحتمعن لسماع ذلك الغناء.

فبلغ أم كلثوم بنت علي عليها السلام فليست جلابيها ودخلت عليهن في نسوة متنكرات ثم أسفرت عن وجهها، فلما عرفتها حفصة خجلت، واسترجعت، فقالت أم كلثوم: لئن تظاهرتما عليه منذ اليوم، لقد تظاهرتما علي أخيه من قبل، فأنزل الله فيكما ما أنزل.

فقالت حفصة: كفى رحمك الله، وأمرت بالكتاب فمزق، واستغفرت الله.

شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٤ ص ١٣.

أقول: ألححت السيدة إلى آيات سورة التحريم ومنها: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ۗ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ ۝﴾

وقد أفاض المفسرون في حديثهما وشاقهما مع رسول الله ﷺ.

(١) فقد جاء مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، والوليد بن عقبة، وكان لسان القوم، فقال: يا هذا إنك قد وترتنا جميعاً، أمّا أنا فقتلت أبي صبراً يوم بدر، وأمّا سعيد فقتلت أباه يوم بدر، وكان أبوه من نور قريش، وأمّا مروان فشتمت أباه وعبت علي عثمان حين ضمه إليه... على ذلك بنو عبد مناف، فتبايعنا على أن

٣- ثقل العدل؛

وإذ ابتلت الأمة بعدل إمام الحق في القضاء والأموال تبرمت وسأمت، فلا يروق لها مساواة السيدة القرشية بالعجوز الفارسية^(١)، ولا يعجبها إلغاء الطبقة والتمييز والفوارق.

٤- ارتياح الحكام لعهد عثمان؛

وإذا بالحكام يرتاحون لعهد عثمان وإطلاقه أيديهم في مال المسلمين، ويضجرون من شدة محاسبة أمير المؤمنين وعزله لمن يثبت عليه الخيانة^(٢).

٥- البدع تأتي أن ترتفع؛

وإذا بالبدع التي أجريت وأخذت طابع السنن بل أكدها تأتي أن ترتفع

تضع عنا ما أصبنا وتعفي لنا عما في أيدينا، وتقتل قتلة صاحبنا، فغضب علي وقال: أمّا ما ذكرت من وتري أيّاكم، فالحق وتركم، وأما وضعي عنكم ما أصبتم، فليس لي أن أضع حق الله تعالى، وأمّا إعفائي عما في أيديكم فما كان لله وللمسلمين فالعدل يسعكم، وأمّا قتلي قتلة عثمان، فلو لزمني قتلهم اليوم لزمني قتلهم غداً، ولكن لكم أن أحملك على كتاب الله وسنة نبيه، فمن ضاق عليه الحق، فالباطل عليه أضيّق، وإن شئتم، فالحقوا بملاحقكم. قال مروان: بل نبايعك، ونقيم معك فتري ونرى. تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٧٨.

(١) وقد وفدت إليه (سلام الله عليه) سيّدة تطلب زيادة عطائها، وقد التقت بعجوز فارسية كانت مقيمة بالكوفة وسألته عن عطائها، وإذا به يمثّل عطائهما، فأمسكتها، وجاءت بها إلى الإمام وقالت: هل من العدل أن تساوي بيني وبين هذه الأمة الفارسية؟ فرمقها الإمام بطرفه، وتناول قبضة من التراب، وجعل ينظر إليه ويقلبه ويقول: لم يكن بعض هذا أفضل من بعض، ونلا قوله تعالى (إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) حياة الإمام الحسين للقرشي ج ١ ص ٤٠٧.

(٢) وقد عزل أحد ولاته، حينما أخبرته سودة بنت عمارة بأنه قد جار في حكمه، فجعل الإمام يبكي ويقول بحرارة: "اللهم أنت الشاهد عليّ وعليهم أني لم أمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك" ثم عزله في الوقت.

فيمنعهم عن بدعة (التراويح) فيضجون: واستنّ عمراه^(١).

٦ - تقهقر أمور الأمة؛

وتقهقرت أمور الأمة وعمت الفوضى في أوساطها، وطلعت طلائع الشر ورؤوس الضلال، فقاد معاوية جيشاً جراراً وقهيات له أرضية الاستخلاف على رقاب الأمة، فشن الغارات ووجه قطاع الطرق يعيشون في بلاد الله وعباده فساداً، فبسر بن أرطاة، والنعمان بن بشير، والضحاك بن قيس، وعبد الله بن مسعدة الفزاري، وعمرو بن العاص ومعه جيش عظيم من أهل الشام^(٢).

(١) ورحم الله السيد عبد الحسين شرف الدين حيث قال في المورد ٢٦ من مخلفات عمر ونشريعته، وتبرع جملة من علماء القوم بالدفاع عن بدعته: إنهم رأوه قد استدرك (بتراويحه) على الله ورسوله حكمة كأننا غافلين عنها. بل هم بالغفلة - عن حكمة الله في شرائعه ونظمه - أخرى... إلخ النص والاجتهاد ص ٢٣٢.

(٢) فإذا أتباع معاوية يغيرون على بلاد الله الآمنة ويرهبون عباد الله، فيمر بسر بالمدينة ومعه جيش مأموراً بنهب أهلها وطردهم وإخافة كل من يمر به ونهب أمواله، وكذلك صنع في مكة، وما بينهما وجعلها شراوات وأيضاً صنعاء، ونجران، وجيشان، والنعمان قد أغار على مالك بن كعب الأرحبي عامل أمير المؤمنين على مسلمة عين التمر، وأغار الضحاك بن قيس على القطقطانة، وابن مسعدة في جريدة خيل على مكة والمدينة، وعمرو بن العاص على مصر على شرط له.

وهكذا وصلت الأمة وكما قال علي لأبي مریم القرشي المكي وكان صديقاً له وقد أتاه زائراً: ولكن منيت بشرار خلق الله إلا من رحم الله، يدعونني فأبي عليهم، ثم أجيبهم فيتفرقون عني، والدنيا محنة الصالحين، جعلنا الله وإياك منهم، ولولا ما سمعت من حبيبي أنه يقول لضاق ذرعي غير هذا الضيق، سمعته يقول: الجهد والبلاء أسرع إلى من أحب الله وأحبني من السيل إلى مجاريه. اقرأ عن هذه الفجائع تأريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٩٣ إلى ص ٢٠٥ وغيره من كتب السيرة والتأريخ.

٧- مصرع الحق شهيداً:

ويتمرد الناس، ويتفشى فيهم العناد، فيبتلى الإمام بأعدائه وأوليائه
القريب منهم والبعيد، فتنفجر صفين والخوارج والنهروان، وتتلاحق
الأحداث الدامية والشجون المظنية، فإذا حصيلة (سنوات الحكم الحق) بين
إصلاح وحرب وتضجر وتبرم وطامات وكوارث حتى مصرع الحق شهيداً
في محراب ربه.



مركز بحوث ودراسات في العلوم الإسلامية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 أَنْزَلَ عَلَيْنَا
 الْقُرْآنَ الْعَرَبِيَّ
 الْمُبِينِ
 وَالصَّلَاةُ
 وَالسَّلَامُ عَلَى
 سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ
 وَرَحْمَةُ اللَّهِ
 وَبَرَكَاتُهُ

❁ فوا عجباً يعاف ابن رسول الله

❁ معاوية ينبري لطمس الحق وأهله

❁ تربية الأمة ترغيباً وترهيباً

❁ إفصاح معاوية عن مكنونه

❁ أه أه تحيا الأمة حياة الشجرة
الخبیثة

❁ الدولة الأموية يحسم لها

الموقف بفعل ما مهد لها



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

وماذا بعد الهدام ركن الدين والهدى إلا الضلال وشماتة الأعداء، وعن الشماتة؟! إنك لتعجب إذا جاءت من (أم المؤمنين) عائشة^(١)، ومن مهد له عمر بالخلافة (معاوية) وأشياعهما وأتباعهما^(٢).
ويتدارك الموقف ولفترة امتحان عصية وابتلاء.

الأمم الباقى الإمام الحسن المجتبى عليه السلام:

فهو إمام قام أو قعد، خليفة أبيه وجده، منصوب عليه من قبلهما وقد اختبرت الأمة فيه اختباراً صعباً، ولاسيما في تلكم الفترة المظلمة، وفشلت في اختبارها، فتعرضت حياتها للفناء، فحقن الله بأبي محمد دمائها فصالح، هذا وأخوه الإمام الحسين يرعى ذلك، وهو إمام الأمة بعده، فثقل ذلك على معاوية، فدبر ما استراح به من الإمام الحسن الممتحن.

(١) يقول البهائي الكبير السيد مرتضى العسكري: رجعت إلى المدينة وصدورها يغلي على ابن أبي طالب كالمرجل، وبقيت منطوية على غيظها عليه مدة خلافته القصيرة حتى إذا جاء نعيه سجدت لله شكراً، وأظهرت السرور وتمثلت:
فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر
ثم قالت من قتله؟ فقيل رجل من مراد. فقالت:

فإن يك ناعياً فلقد نعاه غلام ليس في فيه التراب
فقلت زينب بنت أم سلمة: العلي تقولين هذا؟! فقالت: إي أنسى، فإذا نسيت فذكروني.

أحاديث أم المؤمنين عائشة القسم الأول ص ٢٠٣ عن عدة مصادر، والنص والاجتهاد هلمش ص ٣٤٣. وقد أورد عليه السلام بعض أبيات السيد الحجة ومنها:

قد قيل تبّ وعليّ أغمضا (فلم سجدت الشكر لما قبضا)

والموجود في (الشهاب الثاقب) المطبوعة سنة ١٣٤٢ هـ: عن أمرك والأمر تابع الرضا. وقد روي عن مسروق أنه قال: دخلت عليها فاستدعت غلاماً باسم عبد الرحمن قالت: عبدي، قلت لها: فكيف سميت عبد الرحمن؟ قالت: حباً لعبد الرحمن بن

ملجم قاتل علي. الجمل ص ٨٤، والشافي في الإمامة ج ٤ ص ٣٥٦.

(٢) وذلك أمر مشهور لا ستره عليه.

١ - فوا عجباً يعاف ابن رسول الله وسبطه وريحانته سيد شباب أهل الجنة، وبكل ما يحمل من آثار النبوة والإمامة، ويركن إلى معاوية بن أبي سفيان.

٢ - فإذا بمعاوية ينبري لطمس الحق وأهله: وإن لله جنوداً من غسل، ويأمر بسب أمير المؤمنين، واختلاق المناقب والمثالب وتزوير الحقائق والتجاهر بالمعاصي.

٣ - تربية الأمة على ذلك ترغيباً وترهيباً.

٤ - إفصاح معاوية عن مكنونه وارتباطه بالدين:

«يا أهل الكوفة، أتروني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون؟ ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم، وألي رقابكم، وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون! ألا إن كل دم أصيب في هذه الفتنة مطلول، وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين».

ثم ذكر في هذه الخطبة علياً فقال منه، ثم نال من الحسن^(١). وكان ييوح بما يضممر ويخفي مهما وجد إلى ذلك سبيلاً، وقد جرى في ذلك على سنن أبيه وهدية^(٢).

(١) صلح الحسن للشيخ راضي آل ياسين ص ٢٧٨ عن مصادره.

(٢) حدث مطرف عن أبيه المغيرة أنه قال: خلوت بمعاوية فقلت له: إنك قد بلغت منك يا أمير المؤمنين فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوانك من بني هاشم فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، فقال لي: هيهات هيهات!! ملك أخو نعيم فعدل وفعل ما فعل، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره، إلا أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمّر عشر سنين، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر، ثم ملك أخونا عثمان فملك، رجل لم يكن أحد في مثل نسبه، فعمل ما عمل وعمل به، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره، وذكر ما فعل به، وإن أخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات: «أشهد أن محمداً رسول الله» فأني عمل يبقى بعد هذا لا أم لك، إلا دفناً دفناً. حياة الإمام الحسن للقرشي ج ٢ ص ١٥٤ عن شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٣٥٧.

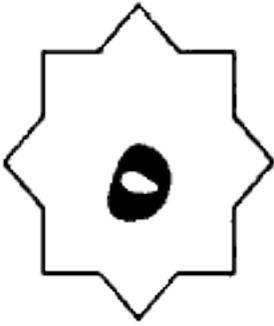
- ٥- آه آه فالأمة تحيا حياة الشجرة الخبيثة الطلقاء وأبناء الطلقاء
ويسوقون كل الأمة نحو أهدافهم ومقاصدهم.
- ٦- وإذا الدولة الأموية -بفعل ما مهد لها- تقوم ويحسم لصالحها
الموقف عاجلاً أم آجلاً بتوطيد الأمر ليزيد.



مركز تقيت كميوتير علوم إسدوي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



علم
الحسين



مركز بحوث ودراسات في العلوم الإسلامية

تأمير يزيد

أسرته، تربيته، مواقفه، فرد يزيد ويزيد
القرن

الجو العام في دنيا الإسلام

الولاية: والقضاة والبطانة وعلى الإسلام السلام



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

عصر الحسين عليه السلام؛

حتى أتى دور الحسين فهالته أن عاد ميدان الخلافة ملعباً^(١)
عاصر معلوية الأحداث، وصارع فيها مجانباً للحق، فقد ولي اثنتين
وأربعين سنة وعاشها من سنة ١٨هـ إلى هلاكه سنة ٦٠هـ.

وقد أخذ بيده من صعلوك لا يردف الملوك، بل ولا يمشي في ظلال
دوامهم إلا حافياً^(٢) إلى أن أصعد والياً على مقاطعة الشام العريضة، فأطمعه
ذلك - ولا حريجة له من دين - أن يرى نفسه نداً للإمام الطاهر علي بن أبي
طالب عليه السلام، فأبى خلافته، وخاض معه الحرب الضروس، وقد ملك من
بطانة السوء، وحمقاء الشام، ومن لا دين له من أهل العراق، جيشاً عرمرماً،
هم على بطلهم أحرص من جيش الإمام الحق على حقهم، حتى وقعت
طامة التحكيم الجائر، فاستراح بذلك معاوية، وسعى يبعث فساداً في بلاد
الله الأمانة، يغير عليها، ويسفك الدم، ويهتك الأعراض، ويستبيح الحرمات،

مكتبة تكوير علوم رسيدي

- (١) من مقطوعة للمؤلف في الإمام الحسين عليه السلام.
(٢) إن أحد أشرف العرب وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ولما أراد الخروج أمر النبي صلى الله عليه وسلم
معاوية أن يشيعه إلى خارج المدينة وكان الحر شديداً والأرض يغلي رملها ويفور
ومعاوية حافي القدمين، فقال للوافد الذي خرج في نشييعه: أردفني خلفك،
فأجابه أنت لا تصلح أن تكون رديف الأشراف والملوك.
- ألا فأعطني نعليك أتقي بهما حرارة الشمس.
- أنت أحقر من أن تلبس نعلي.
- ما أصنع وقد احترقت رجلاي؟
- امش في ظل ناقتي ولا تصلح لأكثر من هذا.
حياة الإمام الحسن للقرشي ج ٢ ص ١٣، مقلمة الشيخ محمد حسين آل كاشف
الغطاء. ثم عقب (أعلى الله مقامه) بقوله: تعساً لك يا زمان وأف لك يا دهر
هذا الصعلوك النذل صار أو صيروه كسرى العرب!!!
وفي الملمش حديث عمر عن معاوية وإصفائه عليه ثوب البطولات وخلع النعوت
والألقاب... إلخ.

حتى مضى الإمام إلى ربه شهيداً محتسباً، يتجرع الغصص من ضياع الحق، وقلة أنصاره، وصولة البطل وكثرة أشياعه وأتباعه، فقرت بذلك عيون معاوية.

وصار من أمر الأمة مع إمامها سبط المصطفى ونجل المرتضى وابن الزهراء ما سمعت من الخذلان، وخور النفوس، وموت الأرواح، حتى مضى الإمام على ما مضى عليه أبوه صابراً محتسباً شهيداً في سبيل الحق.

هذا والحسين العظيم يرقب الحياة بما تضحج به وتعج، وبما تمخضت عنه هذه الحقب السوداء والفترات المظلمة.

وكان يقلق معاوية، ويؤرقه، أن ينبري لملكه العضوض من يعكر عليه الجو، ويفوت عليه الأمر، ويكون الشجى والقذى، هذا وقد عمت جرائمه، وانتشر نتن مخازيه، وأباح بعد صلحه مع الإمام المجتبي بمكنونه، من نقضه للعهد، وخونه للأمانات، وتجاهره بالموبقات، مما يستقدر أن يذكر، وقد كان الإمام الحسين مراقباً هذه الفترات بكاملها، فمارس في تثبيت ملكه سياسة الترغيب والترهيب، والناس للدنيا ميالون، وللعافية محبون. وأخذ لا يقر له قرار، حتى يحكم القبض، ويرعى توطيد الحكم، وأخذ البيعة، على تدبير ذلك، وأعان شيطانه وأتباعه على إبرام البطل، ونقض العهد والحق.

١- تامل يزيد:

ألية بجلال الحق، وجمال الصدق، إن لمن المهانة للقلم أن يجري مداده في الحديث عن مثل يزيد في لوه ولعبه وفسقه وفجوره، فينشر النتن، ولكن ما الحيلة، والحق يضاده البطل، والنور تقابله الظلمة، والإيمان يعاكسه الكفر؟ وما الحيلة حيث تدنى الفكر - حتى لحملة الشهادات العليا^(١) - فقدست هذه

(١) كأحمد دحلان والدكتور عبد المنعم ماجد، حسين محمد يوسف، والخضري، والحفناوي في (أبو سفيان بن حرب شيخ الأمويين) وآخرهم الدكتور إبراهيم علي شعوط - الأستاذ بجامعة الأزهر - في (أبطاليل يجب أن تمحى من التاريخ) وهو كتاب مخيف حقاً.

البؤر؟

فعدراً للحق وجلال الصدق وجماله، والفكر وكماله، لو تلوث القلم،
وعلق به من ريح وعفن.

أمرته:

أبوه معاوية، وجده أبو سفيان صخر بن حرب، وأمه ميسون، وجدته
هند، وينسب معاوية إلى أربعة رجال، عمر بن مسافر، وعمارة بن الوليد،
والعباس بن عبد المطلب، ورجل أسود يدعى الصباح، وكانت هند جدة
يزيد مغرمة^(١) بحب السود، وما نسب معاوية أحد ممن يعرف حالها إلى أبي
سفيان، لأنها وضعت بعد زواجها منه بثلاثة أشهر. وهند هذه هي التي أكلت
كبد الحمزة عم الرسول حتى أصبح لفظ (آكلة الأكباد) علماً لها، وأم يزيد
هي ميسون بنت عبد الرحمن بن بجدل الكلبي، مكنت عبداً لأبيها من
نفسها، وحملت بيزيد، وجده أبو سفيان أعدى أعداء الله ورسوله، وهو
الذي قاد الحرب ضد الإسلام والقرآن في بدر وأحد والأحزاب^(٢).

مركز تحقيقات كويتية للدراسات والبحوث الإسلامية

تربيته:

وماذا عسى أن تكون تربية معاوية أو ميسون ليزيد؟ ولذا فلا حاجة
لإثبات أن تكون تربيته عند أخواله في البادية من بني كلاب الذين كانوا
يعتنقون المسيحية قبل الإسلام، بل كما يقول العلامة الكبير الشيخ
القرشي: "والذي نراه أن نشأته كانت نشأة جاهلية بالمعنى الدقيق لهذه

(١) من اللافت حقاً أن جملة من الشذاذ المتأمرين ومن كان لهم دور في حكم الأمة
من يطعن في أنسابهم كمعاوية وأمه وجملة من جداته، ويزيد ابنه وابن مرجانة،
وسعد بن أبي وقاص، وآخرين ممن سبقوهم أو لحقوهم أو كانوا معهم. أجل،
لا يليق بهذه الجرائم أن تصدر إلا من أمثال من انحدر من هذه الأصول، وإن
النفس لتضيق بإيراد هذه المخازي لولا ما بلجنا إليه هؤلاء الأمويون المحدثون.

(٢) المجالس الحسينية للعلامة الجليل الشيخ محمد جواد مغنية ص ١٣٥ عن ذخيرة
الدارين عن ربيع الأبرار، ويقف المتتبع على هذه الأنساب الشريفة في كثير من
المصادر.

الكلمة ولا تحمل أي طابع من الدين، مهما كان، فإن استهتاره في الفحشاء، وإمعانه في المنكر والإثم، مما يوحى إلى الاعتقاد بذلك^(١).

مواقفه:

أعتقد أن كلمات الفصحى لا تسعف الخطيب والكاظم ليعبرا عن يزيد ويكشفوا للأجيال عما كان عليه واقعاً، وأعني بالأجيال اللاحقة لزمانه الأسود، وإلا فهو في عصره أوضح من أن يخفى.

ولكي نستريح من هذا العفن والنتن، أسرع بالقلم في ذكر ما ذاع واشتهر من سوء سيرته التي هي سريرته، وإن كنت أعتقد أن له من سوء السريرة ما هو أقبح من قبيح ما ظهر منه من السيرة.

قصد (لعنه الله) مقدسات الإسلام وحرماته، فصب كفره وحقده وتشفى بالانتقام من دين الله ومن قرآنه ورسول الله بأن:

١ - قتل سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام وأولاده وأصحابه وسبى نساءه، وكان ذلك سنة ٦١هـ بعد تأمره على المسلمين بأشهر معدودة.

٢ - وفي السنة الثانية من توليه أبا ج المدينة الطيبة مدينة رسول الله ثلاثة أيام، وقتل من المهاجرين والأنصار والتابعين عشرة آلاف سوى النساء والصبيان، واستحل أعراض النساء حتى ولدت ألف عذراء، وهي واقعة الحرة المشومة.

٣ - وفي السنة الثالثة من حكمه رمى الكعبة بالمنجنيق وقذفها بالحجارة وأحرقها بالنار.

وهذه فترة حكمه المشوم حتى هلك سنة ٦٤هـ.

٤ - وصورة أخرى تنعكس منها بعض قبائحه ومثالبه رواها من وقف على حياة يزيد ومجونه أياماً قلائل.

قال عبد الله بن حنظلة: «والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن

(١) حياة الإمام الحسين ج ٢ ص ١٨٠.

نرمى بالحجارة من السماء، إن رجلاً ينكح الأمهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة... إلخ^(١).

قرد يزيد ويزيد القرد:

بل إنه كان قد تهادى كثيراً في هذا المجال، حتى صار نديمه الدائم قرد كان قد رباه هو شخصياً، وصار يصطحبه في كل الجلسات الرسمية والعامية في بلاطه، وصار يلقب هذا القرد وغيره من القردة باللقاب، وقد تعطى بعض الألقاب التي عادة ما تعطى للإنسان إلى بعض الحيوانات المرافقة.

وهكذا فعل يزيد عندما كنى قرده المفضل بسأي قيس، وكان يلبس هذا الحيوان لباس الحرير المرصع بالجواهر وكل أنواع الحلوى والذهب، ويحضره على الدوام في مجلس شرابه، ويجلسه إلى جانبه بحضور الأعداد الغفيرة من الندماء والأمراء ورؤوس الحكم الذين لم يكونوا يجلسون من أنفسهم وهم يعاشرون القردة في البلاط... إلخ^(٢).

مركز تحقيق وتطوير علوم إسلامية

(١) ما أوردته من مخازيه أشهر من أن يذكر وقد سوت به صحائف في تاريخنا، ولا ينزع فيه إلا من تعصب للأمية أكثر من الأميين الذين يعلمون حقيقة يزيد، وأود الإشارة عاجلاً إلى منحى خطير جداً، يسلكه جملة من حملة الشهادات الفارغة، ألا وهو: تنكروهم لحقائق التاريخ، وإغراضهم في طمس معاله وآثاره، ويعتذر البعض بما هو قبيح كالفعل، بأن إبقاء التاريخ على ما هو عليه ونشره كذلك سيكون من سلبياته أن تنشأ أجيالنا لتقرأ صورة غير مشرقة عن الأسلاف ممن كان لهم دور. وحقاً إن هذا من مواطن البكاء على الفكر، وقد قرأت لكثير من هؤلاء في الصحف والكتب ما يفصح عن هذا القصد وكما سبق أن أشرت إلى أحدهم (الدكتور إبراهيم شعوط)، فكل كتابه موجه إلى هذا الغرض، وحقاً إنه لينطبق عليه اسم كتابه (أبطليل يجب أن تمحى من التاريخ).

ويبدو لي أن (دكتورهم) إنما نالوها لإقدامهم على مثل هذا العمل الذي يحتاج إلى شجاعة وعبقورية نادرة تخرج للناس الحقائق مقلوبة والصورة مشوهة، أعاننا الله من الخذلان.

(٢) الملحمة الحسينية (مترجم) ج ٣ ص ١٣٣ للعلامة الشيخ مطهري.

ويسقيه فاضل كأسه ويقول: هذا شيخ من بني إسرائيل أصابته خطيئة فمسخ. وأرسله مرة في حلبة السباق فطرحته الريح فمات فحزن عليه حزناً شديداً، وأمر بتكفينه ودفنه، كما أمر أهل الشام أن يعزوه بمصابه الأليم وأنشأ راثياً له:

كـم مـن كـرام وقوم ذو محافظـة
جاؤوا لنا ليعزوا في أبي قيس
شيخ العشرة أمضاها وأجلها
على الرؤوس وفي الأعناق والرئيس
لا يبعد الله قبراً أنت ساكنه
فيه جمال وفيه حيلة التيس^(١)

وذاع بين الناس هيامه وشغفه بالقرود حتى لقبوه بها، ويقول رجل من تنوخ حاجياً له:

يزيدُ صديقُ القردِ مل جوارنا
فحنّ إلى أرضِ القردِ يزيدُ
فتبأ لمن أمسى علينا خليفةً
صحابتهُ الأذنونُ منه قرود^(٢)

ومن الوقاحة والصلف أن يبدأ التمويه والتشويه من أبيه المطلع على شؤونه على الناس العارفين به، ولكنها خبائة معاوية وسياسته التي تحتلق الكذب وتروج له، وتربي الناس عليه، وينبيري للمؤازرة والمناصرة حمق ومغفلون لا روية لهم ولا دين، فقد قام معاوية خطيباً في المدينة مادحاً ابنه

(١) حياة الإمام الحسين للقرشي ج ٢ ص ١٨٢ عن جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب ص ١٤٣.

(٢) المصدر السابق ص ١٨٣ عن أنساب الأشراف ٢/٢.

أمام الملأ في أمة محمد، فقام إمام الأمة أبو عبد الله عليه السلام وكشف الزيف، فقال: وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمة محمد عليه السلام، تريد أن توهم الناس في يزيد كأنك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المتهارشة عند التحارث، والحمام السبق لأتراهن، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهي تجده ناصراً، ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق أكثر مما أنت لاقية... إلخ^(١).

٢- الجوالعام في دنيا الإسلام:

الولاية.. والقضاة.. والبطانة

ورث يزيد من أبيه سيئات وسيئات، ومنها بطانة السوء من ولاية وقضاة وقواد، وقد أحكم معاوية أمرهم كما أحكموا أمره، وانتخب يزيد بدوره من يعينه على أمره وبشاركه في رأيه، فانتقى أهل القسوة والغلظة، فأوكل إليهم تدبير شؤونه وما يروق له ويهوى أن تجري الأمة عليه كما كان أبوه يجري ذلك. فابن زياد^(٢)، وعمرو بن سعيد الأشدق^(٣)، ومسلم بن

(١) الغدير ج ١٠ ص ١٦٢ عن الإمامة والسياسة ١٥٣/١. جهرة الخطب ٢٤٢/٢.

(٢) أبوه زياد من سمل عيون الناس وصلبهم على جذوع النخل وقتل على الظنة والتهمة، وأمه مرجانة مجوسية معروفة بالبغي، وقد ورث منهما الشر والفساد، فكان غلاماً (وقد قيل بأن عمره يوم قتل الحسين (٢١) سنة، سفيهاً سفك الدماء سفكاً شديداً، مسرفاً في الأكل شرماً ذا لكمة قبيحة). حيلة الإمام الحسين للمقرشي ج ١ ص ٤٤٨.

(٣) وقد قيل في تلقيبه بالأشدق لأنه أصابه اعوجاج في حلقة لإغراقه في شتم علي (معجم الشعراء ص ٢٣١)، وبعد جباراً من جبابرة الأمويين، فظاً غليظاً قدم المدينة والياً فخطب ومما قال: فاغتنموا أنفسكم، فقد وليكم إمام بالشباب المقتبل البعيد الأمل، وقد اعتدل جسمه، واشتد عظمه، ورعى الدهر ببصره، واستقبله بأسره، فهو إن عض لس، وإن وطىء فرس، لا يقلقه الحصى، ولا تفرع له العصا. ورعف الطاغية على المنبر، فألقى إليه رجل عملة، فمسح بها

عقبة^(١)، والنعمان بن بشير^(٢)، ومروان^(٣)، وكثير ممن هم على هذه الشاكلة

دمه، فقال رجل من خثعم: دم على المنبر في عمامة، فتنة عمت وعلا ذكرها ورب الكعبة. وقد أثر عن رسول الله ﷺ أنه قال: ليرعن علي منبري جبار من جبابرة بني أمية فيسيل رعاfe. حياة الإمام الحسين للقرشي ج ٢ ص ٣١٦ ملخصاً.

وقد نضح إنناؤه بما فيه يوم جاءه خبر مقتل الإمام الشهيد وقال: واعية بواعية عثمان- حينما سمع واعية نساء بني هاشم- وضحك وتمثل بشعر: عجت نساء بني زياد عجة... إلخ.

والتفت إلى قبر رسول الله وقال: يوم بيوم بدر با رسول الله، ثم رقى المنبر وخطب شامتاً متهكماً. مقتل المكرم ص ٤١٧.

(١) أقدمه يزيد من فلسطين مريضاً وقص عليه حركة أهل المدينة وقيلهم على واليه عثمان بن محمد بن أبي سفيان فقال ابن عقبة: يا أمير المؤمنين وجهني إليهم فوالله لأدعن أسفلها أعلاها، يعني مدينة الرسول، فوجهه في خمسة آلاف، فوقع بها وقعة الحرة، وأباح حرم رسول الله، وأخذ البيعة على أقم عبيد ليزيد، وقتل من أبي، ولما فرغ توجه إلى مكة محاربة ابن الزبير، فهلك في أثناء الطريق، وأوصى الحصين بن غير قائلاً: يا بردعة الحمار! فإذا قلت مكة فلا يكون عمالك إلا الوقاف ثم الثفاف ثم الانصراف، وختم حياته بقوله: اللهم إن عذبتني بعد طاعتي لخليفتك يزيد بن معاوية وقتل أهل الحرة، فإني إذا لشقي، ولما هلك نبش ورجمه الناس، فبلغ الحصين ذلك، فرجع ودفنه وقتل جماعة منهم وقيل: لم يدع منهم أحداً، وكانت سنة ٦٢هـ. تأريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٥١ ملخصاً.

(٢) الأنصاري الخزرجي ولأه معاوية الكوفة، عثمان الهوى، يجاهر ببغض علي ويسيء القول فيه، وحاربه يوم الجمل وصفين، وحارب شيعة علي فيمن جيشهم معاوية للإغارة، وسعى بإخلاص لتوطيد الملك إلى معاوية، وبعد هلاك يزيد دعا إلى ابن الزبير ثم دعا إلى نفسه فقاتله مروان فقتله، وذلك سنة (٦٥هـ)، حياة الإمام الحسين للقرشي ج ٢ ص ٣٤٩.

(٣) وقد أشير إلى موبقاته أنفاً، ومما جاء في كيفية تأميره أن روح بن زنباع الجذامي بميل مع مروان فقام خطيباً وقال: يا أهل الشام هذا مروان بن الحكم، شيخ قريش، والطالب بدم عثمان، والمقاتل لعلي بن أبي طالب يوم الجمل، ويوم صفين، فبايعوا الكبير، واستنابوا للصغير ثم لعمر بن سعيد فبايعوا لمروان بن الحكم ثم لخالد بن يزيد ثم لعمر بن سعيد. وكانت ولايته تسعة أشهر وتوفي في

من الألف والأشبه والنظائر وقد قيل:

شبيه الشيء منجذب إليه أما ترى الفيل بألف الفيلا
وهؤلاء يختارون أشباههم ونظائرهم في تصريف أمورهم، حتى تبدل
وجه الإسلام، وبلاد الإسلام^(١).

«وغلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق، وفي
آيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة، واستعلمت الملاحية، وأظهر الناس شرب
الشراب»^(٢).

وكان يزيد بن معاوية أول من سن الملاحية في الإسلام من الخلفاء،
وآوى المغنين، وأظهر الفتك، وشرب الخمر، وكان ينادم عليها سرجون

شهر رمضان سنة (٦٥)، وكان سبب وفاته أنه تزوج أم خالد بن يزيد بن
معاوية، وكان بفحش له في القول: (يا بن رطبة الأست) فشكاه إلى أمه،
فعاجلته بسم في لبن ووضعته على وجهه وسأده حتى قتلتها. اليعقوبي ج ٢
ص ٢٥٦. قال الخطيب الشهير في قم السيد البرقي متلطفاً: إنه أقعدت عليه
بعض جواربها وجلسن على الوسادة التي على وجهه وكذلك على يديه
ورجليه حتى خرجت روحه الخبيثة، ولكن من أي مكان؟

(١) ولو قمنا بدراسة هذه الناحية وتحليلها، وابتداء من الأتباع والأشياع، والولادة
والقضاة وانتهاء بالرعاع ومنذ انصراف الأمر عن أهل البيت عليهم السلام حتى زمن
يزيد ومن جاء بعده، لوقفنا على المحير المذهل من هذا الترددي والسقوط المشين
في قادة الأمة ورجالها، ولتحجلنا من تأريخنا حيث نعرض هؤلاء الشذاذ أولياء
أمور المسلمين في حرهم وسلمهم وإدارة شؤونهم في كل مجال، ولا أدري كيف
يسوغ لحر كرم أن يقبل ويعترف بأن هؤلاء خلفاء رسول الله والقائمون مقامه،
وسلام على أمير المؤمنين الإمام الطاهر علي حيث قال في (الشقشقية): حتى إذا
مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أني أحدهم، فيالله وللشورى، متى اعترض
الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر. ورحم الله العلامة
الشيخ مغنية حيث قال: وأقسم لولا محمد وآله ومن سار بسيرتهم لم يكن
للعرب تأريخ ولا ذكر. فضائل الإمام علي ص ١٤.

(٢) مروج الذهب ج ٣/٦٧-٦٨.

النصراني مولا، والأخطل - الشاعر النصراني -... إلخ^(١).

وقد قيل: الناس على دين ملوكهم.

وما قتل سيد الشهداء، وثقل آل محمد والخيرة من المؤمنين، واستباحة المدينة، ورمي الكعبة، وتوجيه الجيوش (المسلمة) للقضاء على المسلمين الأمنين، وعلى أقدس المقدسات، إلا شواهد على ما انحدرت إليه الأمة، ووصلت إليه من هوة سحيقة، فلم يبق دين، ولا عقل، ولا غير، ولا مروءة، ولا خلق، ولا قيم.

أجل، لقد قال الإمام الحسين عليه السلام:

"وإن الدنيا قد تغيرت، وتنكرت، وأدبر معروفها، ولم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء، وخسيس عيش كالرعى الوبيل، ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، فلإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برما"^(٢).

وعلى الإسلام السلام:

"وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمة براع مثل يزيد"^(٣).

آه آه فما أوصله النبي الأعظم ﷺ إلى القمة وذروات العلى وصل الآن على يد يزيد ومن مهد له إلى الحضيض، هذا والعهد قريب ولم تبعد الفترة بين مؤسس الخير وقائد البركة وبين من هم أشر من الشر والفساد.

(١) الأغاني ج ١٦/٦٨.

(٢) من خطبة للإمام الحسين في ذي حسم أو في كربلاء. مقتل المكرم ص ٢٣٠.

(٣) من كلام للإمام الحسين مع مروان في المدينة قبيل توجهه إلى مكة. مقتل المكرم

ص ١٤٢ عن مقتل الخوارزمي ج ١/١٨٥ فصل ٩.

❁ سير الأمة على خطين متوازيين في

أمر الإمامة

التمايز الفكري

التمايز في المنهج الفقهي

التمايز في تفسير التاريخ



❁ ربط الشعراء بين السقيفة

و كربلاء

❁ شواهد على الربط

❁ سنة الصعابة ومذهب الصعابي

تعريف، مناقشة، مقارنة، تأثيرات سلبية،

النتيجة



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

نتائج وأثار المدرستي الإمامة:

ومن واقع الثوابت والمرتكزات في المسألة (الأم)، وعبر تاريخها الطويل، الذي بدأ من يوم التحول، واستمر قروناً وقروناً، وإلى أن يأذن الله بقيام الأمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام الذي يلمُّ الشعث، ويرأب الصدع، ويجمع الشمل، ويقوم بدولة الإسلام، نقف، ونخلص إلى هذه الحقائق من النتائج والآثار:

1- سير الأمة على خطين متوازيين في أمر الإمامة:

تسير الأمة الإسلامية على خطين متوازيين في أمر الإمامة، فشيعة علي قد تمسكوا بإمامته وإمامة الأئمة من ذريته، متمثلة في ولده الأكبر الإمام الحسن، وولده الثاني الإمام الحسين، والأئمة التسعة من سلالة الحسين فقط فقط رضوا بهم أئمة، واعتقدوا، وأنكروا إمامة غيرهم ورفضوا، سواء في ذلك فترة ما يسمى بـ (الخلافة الراشدة) والفترات المتعاقبة، من حكام وملوك أمويين، وعباسيين، وعثمانيين، وسواهم.

أ- التمايز الفكري البارز لدى المدرستين، كما يلاحظ ذلك بجلاء الباحث في مسائل الاعتقاد، ومرجع جملة منه إلى اختلاف النظر في الإمامة.
ب- التمايز في المنهج الفقهي، واختلاف النتائج تبعاً لاختلاف الأسس والقواعد التي تعتمد عليها عملية الاستدلال.

ج- التمايز في تفسير التاريخ الإسلامي، وفلسفة الأحداث، انطلاقاً من يوم السقيفة وما لحقها، أو نجم عنها من حوادث. ومن الطبيعي جداً ابتناء الكثير من القضايا على الخلاف في الخلافة والارتباط وثيق ومحكم بين الإمامة والسقيفة.

فلا غرو لو أرجعنا كل تلكم الانقسامات والمنازعات، قديماً وحديثاً، إلى مصدرها الأصيل (الخلافة والسقيفة) وقد قيل: ما بالعرض يرجع إلى ما بالذات، ومن أعظمها خطورة وحساسية ارتباطها بواقعة الطف.

٢- ربط الشعراء بين السقيفة وكربلاء:

ومن هنا نقف على التركيز من الشعراء الشيعة قديماً وحديثاً على أن السقيفة هي التي أفرزت مجزرة كربلاء واستئصال أهل بيت النبوة والإمامة.

وبين يدي الآن جملة وافرة لشعراء من مختلف القرون حكموا بتلكم الصلة الوثيقة بين السقيفة وكربلاء، فلنصغ إلى مقولتهم.

١- شاعر أهل البيت دعبل بن علي الخزاعي:

يقول في تائيته العصماء ما نقتطف منها:

وما سهلت تلك المذاهب فيهم	على الناس إلا بيعة الفلتات
ولو قلدوا الموصى إليه أمورهم	لزمت بمأمون من العثرات
سئسأل تيم عنهم وعدلها	وبيعتهم من أفجر الفجرات
هم منعوا الأباء عن أخذ حقهم	وهم تركوا الأبناء رهن شتات
وهم عدلوا عن وصي محمد	فبيعتهم جاءت على الغدرات ^(١)

٢- وقال الآخر:

لعمري لئن جارت أمية واعتدت	لأول من سن الضلالة أجور
----------------------------	-------------------------

٣- وقال الآخر:

بأسياف ذاك البغي أول سلها	أصيب علي لا بسيف ابن ملجم ^(٢)
---------------------------	--

٤- ويقول المصلح الشهير الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء:

(١) ديوان دعبل بن علي الخزاعي (القصيدة التائية الخالدة) ص ١٢٤، وجاء بعد البيت الأول هنا:

وما نل أصحاب السقيفة إمرة بدعوى تراث بل بأمر تراث

(٢) المجالس السنوية للسيد الأمين ج ٢ ص ١٢٨.

تالله ما كربلا لولا سقيفتهم
ومثلُ ذا الفرعِ ذاك الأصلِ ينتجُهُ
وفي الطفوفِ سقوطُ السبطِ منجدلاً
من سقطِ محسنِ خلفِ البابِ منهجُهُ
وبالخيامِ ضرامُ النارِ من حطبِ
بيابِ دارِ ابنةِ الهادي تاججُهُ^(١)

٥- ويقول ابن هاني الأندلسي:

وأولى بلسوم من أمية كلها
أناس هم الداءُ الدفينُ الذي سرى
وإن جلَّ أمر عن ملام ولؤم
إلى رممٍ بالطفِ منكم وأعظم
وهم قدحوا تلك الزنادَ التي ورت
ولو لم تشب النار لم تتضرم^(٢)

٦- والشيخ صالح الكواز:

في قصيدته المقارنة بين جملة من محن ورزايا أهل بيت محمد:

عقدت بيثربَ بيعة قضيتَ بها
برقي منبره رقي في كربلا
لولا سقوطُ جنينِ فاطمة لَمَا
وبكسرِ ذاك الضلعِ رُضتْ أضلعُ
وكذا عليُّ قوذة بنجاده
للشركِ منه بعد ذاك ديونُ
صدرٌ وضُرُجٌ بالدماءِ جبينُ
أودى لها في كربلاء جنينُ
في طيها سرُّ الإلهِ مَصُونُ
فله عليُّ بالوثاقِ قرينُ

(١) مقتل الحسين للسيد المقرم ص ٤٩٠.

(٢) ثورة الحسين في الوجدان الشعبي ص ١٧١.

والمؤلف رحمه الله عقب الأبيات بأن شاعرها يثير قضية تاريخية خطيرة، وهي أن العباس ساعد أبا بكر على تولي السلطة بعد الرسول... إلخ. ولا أدري ما هو مصدر فهمه لما ذكر والشعر خالٍ من الدلالة على ذلك، إلا أن يكون في غير ما ذكر شاهد على ما قال، أمّا ما فهمته فهو يلتقي مع فكر هذه المجموعة من الشعراء.

وكما لفلطم رنةً من خلفه
وبزجرها بسياطٍ قنفذٍ وشححتُ
وبقطعهم تلك الأراكة دوماً
لكنما حملُ الرؤوسِ على القنا
كلُّ كتابِ اللهٍ لكن صامتٌ
هذا وهذا نطقٌ ومبينٌ^(١)

٧- والسيد محسن الأمين:

في قصيدته الثائية الطويلة النفس نقتطف منها ما له مساس بغرضنا:

حتى قضى الهادي النبي فكان ما

قضت المصالحُ نسمً والشهواتُ

ما في الولايةِ واحداً من هاشم

وينور أميةً في البلادِ ولاةً

أفهل أرادوا أن يجازوا أحداً

عن فعليه وجميعه حسنةً

وأراد صخرٌ أن يغرَّ بخدعةٍ

من ليس تخفى عنده الخدعاتُ

ولى ابنك الشاماتِ قالوا فائتدُ

وصلته رَحْمٌ ناله رحماتُ

فهنأ استعدت للنضالِ أميةً

وعلى توقعِ فرصةٍ قد باتوا

ومضى يزيد^(١) فاستعاضوا بعده
 بأبي يزيد والحملة حملة
 ثم الخليفة خصه بزيارة
 كما يكون له بذلك ثبات
 وأتتهم الشورى ببرد خلافة
 ضاف وحامت حولها الشبهات
 ومنها:

إن الخلافة قد تسافل أمرها
 فجباها الغراء مسودات
 مذ أصبحت في غير صاحبها عدت
 تتأبها الذؤبان والرخمات
 فيلي يزيد أمرها وتجرها
 يوماً إلى مروانهم حالات
 ومنها:

هذا جزاء محمد من أمة
 لم تُرغ فيها للسنن وصات^(٢)

٨- ويقول الفيلسوف الشيخ محمد حسين الأصفهاني:

(١) يزيد بن أبي سفيان، وأبو يزيد: معاوية.
 (٢) وتبلغ القصيدة أكثر من ٢٢٠ بيتاً، وجاء قبل ختمها بيتين:
 نائية ما صاغ دعبل مثلها نظماً وإن كثرت له التاءات
 الدر النضيد في مرثي السبط الشهيد للسيد الأمين ص ٣٢٢.

في منظومته الرائعة تحت عنوان (سهم أصاب وراميه بذئ سلم).

وما رماه إذ رماه حرمله
سهم أتى من جانب السقيفة
وإنما رماه من مَهْدَلِه
وقوسه على يد الخليفة^(١)

٩ - للقاضي أبي بكر بن أبي قريعة:

يا من يسألُ دائباً
لا تكشفن مغطاً
ولسربُ مستورٍ بدا
إن الجوابَ لحاضرٌ
لولا اعتداء رعية
وسيوفُ أعداءِها
لنشرت من أسرار آل
تغنيكم عمَّ رواه
وأريكهم أن الحسين
ولأي حالٍ حدثت
ولما حنت شيخيكم
آه لبنت محمد
١٠ - الشيخ محمد الخليفة:

إني أقول ولست أول قائل
تا لله ما قتل الحسين سوى الألى
قولاً ثوابت صدقه لا تنكرُ
قدماً على الهادي عتوا واستكبروا

(١) الأنوار القلسية ص ٨٢.

(٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة للعلامة المحقق أبي الحسن علي الأربلي ج ٢

هم أسسوا فبنت بنو حربٍ وقد هدموا الرشادَ وللضلالةِ عمروا
سفهت حلومهم وضلوا والذي ضاعت بصيرة قلبه لا يبصر^(١)

١١ - وتقرأ لفحول الشعراء، كالسيد حيدر الحلبي، والشيخ حسن الحلبي، وغيرهما^(٢) مما لا يحصى كثرة، الإثارة والإشارة لترابط حلقات الأحداث المتلاحقة ووصلها بنظام الخلافة، وكذلك يقف المتبع في كتب الحديث والأخبار على مادة خصبة تغني الباحث.

والحر المنصف يقوى على القيام بدراستها وتحليلها، والخروج بنتيجة مؤيدة أو معارضة، وليس في الحق مغضبة لعاقل، والحقيقة بنت البحث.

٣ - شواهد على الربط؛

وكما عني الشعراء بالربط بين السقيفة وكربلاء، فقد عني آخرون - ممن لهم الارتباط الوثيق بالحكم - بذلك الربط، ولنقرأ مكاتبتين في هذا الصدد.

الأولى: كتاب محمد بن أبي بكر رحمته الله إلى معاوية وجواب معاوية

قال المسعودي: ولما صرف علي رحمته الله قيس بن سعد بن عبادة عن مصر وجه مكانه محمد بن أبي بكر، فلما وصل إليها كتب إلى معاوية كتاباً فيه:

من محمد بن أبي بكر، إلى الغاوي معاوية بن صخر، أما بعد...

وبعد مقطوع: فكان أول من أجاب وأتاب وآمن وصدق وأسلم وسلم أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب، صدقه بالغيب المكتوم، وآثره على كل حميم، ووقاه بنفسه كل هول، وحارب حربه، وسالم سلمه، فلم يبرح مبتدلاً لنفسه في ساعات الليل [والنهار] والخوف والجوع والخضوع، حتى برز

(١) شعراء الحلقة ج ٥ ص ١٨٦.

(٢) تحت راية الحق للأستاذ علي محمد علي دخيل ص ٢٦٠، ص ٢٦٥، وهو مجموعة مختارات من الشعر الجيد المقول في أهل البيت عليهم السلام عبر أربعة عشر قرناً.

سابقاً لا نظير له فيمن اتبعه، ولا مقارب له في فعله، وقد رأيتك تساميه وأنت أنت، وهو هو، أصدق الناس نية، وأفضل الناس ذرية.

ثم بعد مدح وثناء: وأنت اللعين ابن اللعين، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لرسول الله ﷺ الغوائل، وتجهدان في إطفاء نور الله.

ومما كتب: وعلى ذلك مات أبوك، وعليه خلفته، والشهيد عليك من تدنى ويلجأ إليك من بقية الأحزاب ورؤساء النفاق، والشاهد لعلي -مع فضله المبين القدم- أنصاره الذين معه [وهم] الذين ذكرهم الله بفضلهم، وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار.

ومنه: تعدل نفسك بعلي وهو وارث رسول الله ﷺ ووصيه وأبو ولده، وأول الناس له اتباعاً، وأقرهم به عهداً... إلخ.

فكتب إليه معاوية: من معاوية بن صخر، إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر، أما بعد...

ومما قال: فكان احتجاجك علي وعيبك لي بفضل غيرك لا بفضلك، فأحمد رباً صرف هذا الفضل عنك، وجعله لغيرك، فقد كنا وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبي طالب، وحقه لازماً لنا مبروراً علينا، فلما اختار الله لنبيه (عليه الصلاة والسلام) ما عنده، وأتم له ما وعده، وأظهر دعوته، وأبلغ حجته، وقبضه الله إليه (صلوات الله عليه) فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزّه حقه، وخالفه على أمره، على ذلك اتفقا، واتسقا، ثم إنهما دعواه إلى بيعتهما فأبطأ عنهما، وتلكأ عليهما، فهما به الهموم، وأرادا به العظيم، ثم إنه بايع لهما وسلم لهما، وأقاما لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعهانه على سرهما. ثم أخذ في نعت شيخه عثمان ثم قال: [أبوك] مهّد مهاده، وبني لملكه وساده، فإن يك ما نحن فيه صواباً فأبوك استبدّ به ونحن شركاؤه، ولو لا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب، ولسلمنا إليه، ولكننا رأينا أباك فعل ذلك به [من] قبلنا، فأخذنا بمثله، فعب أباك بما بدا لك، أو دع

ذلك^(١).

الثانية: مكاتبة عبد الله بن عمر ليزيد بن معاوية بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام

قال المجلسي رحمته الله: قال العلامة رحمته الله: روى البلاذري قال: لما قتل الحسين عليه السلام، كتب عبد الله بن عمر إلى يزيد بن معاوية: "أما بعد فقد عظمت الرزية، وجلت المصيبة، وحدث في الإسلام حدث عظيم، ولا يوم كيوم الحسين". فكتب إليه يزيد: "أما بعد يا أحمق، فإننا جئنا إلى بيوت منجدة، وفرش ممهدة، ووسائد منضدة، فقاتلنا عنها، فإن يكن الحق لنا فمن حقنا قاتلنا، وإن كان الحق لغيرنا فأبوك أول من سنّ هذا، وابتز واستأثر بالحق على أهله".

ثم ختم الشيخ المجلسي الباب بحديث آخر من هذا الباب، ونسب إلى بعضهم مستحسناً ما قيل: "ما قتل الحسين إلا في يوم السقيفة". فلعنة الله على من أسس أساس الظلم والجور على أهل بيت النبي (صلوات الله عليهم أجمعين)^(٢).

أقول: ويقف الباحث على نمط هذه الآراء والكلمات كثيراً، مثل ما أورد الشيخ المجلسي وغيره كتاب ابن عباس ليزيد^(٣)، هذا بالإضافة إلى روايات تتحدث عن هذه العلاقة والربط يقف عليها المتبع، والله الهادي إلى سواء السبيل.

يقول التيجاني: لو قدر لعلي أن يقود الأمة ثلاثين عاماً على سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لعم الإسلام، ولتغلغلت العقيدة في قلوب الناس أكثر وأعمق، ولما كانت فتنة صغرى ولا فتنة كبرى ولا كربلاء ولا عاشوراء... إلخ^(٤).

(١) مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ٢٠... إلخ.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٣٢٨.

(٣) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٣٢٤... إلخ.

(٤) مع الصادقين للسيد الدكتور محمد التيجاني، وكتابه هذا مع كتابه الأول ثم

٤- سنة الصحابة ومذهب الصحابي؛

ولست أرمي إلى الحديث فيهما كما ينبغي لهما من بحث مستفيض نظراً لما لهما من عظيم الأثر عند من يقول بهما، وإنما -وكما تكرر نحو هذا- نعرض لهما لارتباطهما بمدرستي الإمامة والخلافة، وأنهما أثران ليوم السقيفة كما يبدو من مقالة كثير منهم وعمل آخرين.

وبالنظر إلى التقاء الباحثين نتيجةً وأدلةً فلا بأس لو جاء الحديث مشتركاً عنهما.

التعريف:

مذهب الصحابي هو: "القول أو السلوك الذي يصدر عن الصحابي ويتعبد به من دون أن يعرف له مستند"^(١).

واستدلوا على ذلك بآيات قرآنية أثبت عليهم ومدحتهم بالعدالة، وروايات تصفهم بالنجوم من اقتدى بها اهتدى، وتأمراً بالأخذ بسنتهم والعض عليها بالنواجذ.

مركز تحقيقات كويتية للدراسات والبحوث

مناقشتها:

١- وقد كفانا مناقشتها الحساب العلامة الكبير السيد محمد تقي الحكيم في بحثين^(٢) جليلين من كتابه، فإنه تدرّج عرض للأدلة وغربلها واعتمد وتعمد مناقشة بعض علمائهم كالغزالي في (المستصفى) لها بما لا مزيد عليه.

هذا بالإضافة إلى ما حرره جملة من علماء السنة والشيعنة وقرروه من

اهتديت بحملان انطباعه وقناعته ودفاعه عن معتقده بكل شجاعة وبطولة، وهو صريح في آرائه جداً، وقد نال كتابه شهرة واسعة، وحظاً عظيماً، وهما جديران حقاً بالقراءة والنظر.

(١) الأصول العامة للفقهاء المقارن ص ٤٣٩، وهو الكتاب الممتاز بفكره النير وبراعة يراع مؤلفه وحسن استنتاجه، وإنه جدير بالدراسة والإمعان.

(٢) بحث سنة الصحابة ص ١٣٥ وبحث مذهب الصحابي ص ٤٣٩.

بطلان ووضع بعض ما اعتمد دليلاً على سنة الصحابة ومذهب الصحابي كحديث: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم^(١).

بل استحالة صدور مضمون بعض تلكم الروايات من المعصوم لاستحالة أن يعبدنا الشارع بالمتناقضين، كما يقول الحجة الحكيم.

٢- وقد عرض السيد الحكيم سيرة الصحابة على بساط البحث فقال: وحسبك أن سيرة الشيخين مما عرضت على الإمام علي عليه السلام يوم الشورى، فأبى التقيد بها، ولم يقبل الخلافة لذلك، وقبلها عثمان وخرج عليها بإجماع المؤرخين، وفي أيام خلافة الإمام نقض كل ما أبرمه الخليفة عثمان، وخرج على سيرته، سواء في توزيع الأموال أم المناصب أم أسلوب الحكم، والشيخان نفسهما مختلفا السيرة، فأبو بكر ساوى في توزيع الأموال الخراجية، وعمر فاوت فيها، وأبو بكر كان يرى طلاق الثلاث واحداً، وعمر شرعه ثلاثاً، وعمر منع عن المتعتين ولم يمنع عنهما الخليفة الأول، ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى.

وعلى هذا، فأية هذه السير هي السنة؟ وهل يمكن أن تكون كلها سنة حاكية عن الواقع، وهل يتقبل الواقع الواحد حكمن متناقضين؟! وما أحسن ما ناقش الغزالي أمثال هذه الروايات بقوله: "فإن من يجوز عليه الغلط والسهو ولم تثبت عصمته عنه فلا حجة في قوله". فكيف يحتج بقولهم مع جواز الخطأ؟ وكيف تدعى عصمتهم من غير حجة متواترة؟ وكيف يتصور عصمة قوم يجوز عليهم الاختلاف؟ وكيف يختلف المعصومان؟ كيف وقد اتفقت الصحابة على جواز مخالفة الصحابة... إلخ^(٢).

مقارنة:

قد يعترض بالمثل وهو احتجاج الإمامية بأئمتهم واعتبار قولهم

(١) راجع باستفراغ وسع الكتاب الأجل: عبقات الأنوار للسيد حامد حسين الكنتوري (أعلى الله درجته) ج ٣ ص ١٢٢ إلى آخر الجزء، ترجمة فضيلة السيد علي الميلاني (أيده الله).

(٢) الأصول العامة ص ١٣٨/١٣٩ نقلاً عن المستصفي، ج ١ ص ١٣٥.

وفعلهم وتقريرهم من السنة، أفلا يكون هذا عين سنة الصحابي ومذهبه؟
 كلاً، فالمسألة ليست من باب واحد، فالإمامية يعتمدون، ومن رأس،
 على الأدلة الناصية من آيات وروايات على أن الأئمة معدن العلم، ومواطن
 العصمة، وخلفاء النبي الشرعيين، وأن الإمامة امتداد للنبوة، إلى آخر ما
 جاء من بحوث وتحقيقات حول الإمامة وإثباتها ورد دعوى المعارضين عليها،
 وذلك بحمد الله أمر شايح ذائع، فاقراً أيها الحر الكريم ما شئت من
 مسفورات الإمامية ومنها: (مراجعات شرف الدين)، و(الأصول العامة للفقهِ
 المقارن) (سنة أهل البيت).

تأثيرات سلبية:

أعتقد أن عدة عوامل مجتمعة هيأت الظروف للقبول قولاً أو عملاً
 بهذه الفكرة، ومن ذلك: بحث عدالة الصحابة، اجتهاد الصحابي، نصحيح
 أفعاله، إلى كثير من هذا.

وقد جرّ ذلك إلى مناورات فكرية واعتقادية وعملية شملت سوابق
 ولواحق في فكر الإسلام وحيّة المسلمين مع بالغ الأسف - ومنها على
 سبيل المثال لا الحصر:

١ - القول باجتهاد النبي الأعظم ﷺ:

وأحسب أن هذا منحى خطير يراد من ورائه تبرير موقف الصحابة
 القائلين باجتهاد الرأي وتبرير تصرفاتهم القائمة على أساس منه، وفي هذا ما
 فيه مما لا يناسب منزلة النبي التي وضعه الله تعالى فيها، (وما ينطق عن الهوى
 إن هو إلا وحي يوحى). فالقول بهذا تجاوز على مقام الرسول الشامخ^(١).

٢ - لا بدع لو اختلف المجتهدان، (النبي والصحابي):

قال علاء الدين علي بن محمد القوشجي: بعد أن عرض نصير الملة
 والدين محمد بن محمد الطوسي مخالقات عمر وعدم لياقته للخلافة، وذلك

(١) يقرأ: مداмик عقديّة لفضيلة الشيخ عبدالله الخنيزي الحلقة الثالثة ص ٣٥ (فريّة
 نسبة الاجتهاد للرسول ﷺ فقد ناقش فيها بجملة من دكاترة العصر).

في عدة موارد، عقب الشيخ الشارح القوشجي بقوله: وأجيب عن الوجوه الأربعة بأن ذلك ليس مما يوجب قدحاً فيه، فإن مخالفة المجتهد لغيره في المسائل الاجتهادية ليس ببدع^(١). وقال خلق كثير منهم بمقالته^(٢).

٣- تصحيح جملة من أحداث الإسلام:

- على أيدي القائمين على الأمور- والتماس الأعذار إلى حد مشين ذهبت به كل المقاييس والاعتبارات حتى بلغ إلى قول القاتل: قتل سيدنا يزيد سيدنا الحسين عليه السلام، وقبل ذلك حرب صفين، وقبلها حرب الجمل.

٤- تربية الفكر على هذا الغلو القاتل:

نقل صاحب المنار عند تفسير الآية ١٦٥ من البقرة (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً) أن الكرخي وهو من أئمة الأحناف، قال: «الأصل وجوب العمل بقول أبي حنيفة، فإن وافقه نص الكتاب والسنة فذاك وإلا وجب تأويل الكتاب والسنة على وفق قول أبي حنيفة»^(٣).

وعقب ذلك العلامة الشيخ مغنية بقوله: ومعنى هذا أن عصمة أبي حنيفة فوق عصمة القرآن والرسول^(٤).

(١) شرح تجريد الاعتقاد للقوشجي ص ٢٧٤.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ٢١٣.

(٣) اقرأ فصلاً مهماً في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد عرض فيه آراء استاذه النقيب أبي جعفر، ومن جملته: وقد أطبقت الصحابة إطباقاً واحداً على ترك كثير من النصوص لما رأوا المصلحة في ذلك، كإسقاطهم سهم نوي القرني وإسقاط سهم المؤلفلة قلوبهم، وقد عملوا بأرائهم أموراً لم يكن لها ذكر في الكتاب والسنة. وقال: وعملوا بمقتضى ما يغلب على ظنونهم من المصلحة، ولم يقفوا مع موارد النصوص، حتى اقتدى بهم بعض الفقهاء من بعد، فرجع كثير منهم القياس على النص حتى استحالت الشريعة، وصار أصحاب القياس أصحاب شريعة جديدة... الخ.

الجزء الثاني عشر ص ٨٣/٨٤، وهو فصل ممتع، وإن كانت فيه مواقع للنظر، ويلاحظ تركيزه على أن الأواخر قد شيدوا بناء أسسه الأوائل.

(٤) الحسين والقرآن، للعلامة الشيخ محمد جواد مغنية ص ١٦.

٥- إقفال باب الاجتهاد بعد الأربعة المذاهب:

فأضفوا عليها الشرعية، وسلبوها عن غيرها، فقرروا حرمة الاجتهاد وحرمة العمل بغير فتاوى هذه المذاهب. وإن كنا نحمد الله ونشكره على ذلك، فلولا ذلك لفاضت البلاد مذاهب ومذاهب بلا حد ولا عد، وماذا عسى أن يكون الفكر والاستنتاج.
هذا وأنكى من ذلك وأقذع:

٦- الإعراض عن أئمة العترة الطاهرة:

في أصول الدين وفروعه وفيما هو إليهما، وذلك أهم أخذوا أصول الدين عن أبي الحسن الأشعري والماتريدي وأصراهما، وأخذوا الفروع عن الفقهاء الأربعة، مع ما يؤثرونه من النصوص الصريحة التي أنزلت أئمة العترة الطاهرة منزلة الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وجعلهم في هذه الأمة بمنزلة سفينة نوح في قومه من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وكباب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له، وكانوا من الأمة مكان الرأس من الجسد بل مكان العينين من الرأس، إلى كثير من أمثال هذه النصوص^(١).

٧- الخاتمة والنتيجة:

أجل، فلا بدع لو عطفنا هذه الخاتمة والنتيجة على تلك المقدمة حيث أننا وجدنا أنهم كلما ابتعدوا عن حياض آل محمد لجأوا إلى آرائهم بل وأهوائهم، ورحم الله دعبلاً شاعر آل محمد حيث قال:

وما سهَّلتُ تلكَ المذاهبَ فيهمُ على الناسِ إلا بيعةَ الفلتاتِ

أقول: وقفت على ما ذكره الشيخ مغنية في تفسير المنارج ٢ ص ٨٣.

(١) عنوان المورد (٩٩) من النص والاجتهاد، والحق أنه كتاب الحق، فاقراً هذا الفصل الغزير المادة الجليل النفع، فإنك واقف على ما يأخذ بالألباب وهاد إلى الصواب، واقراً الفصل الذي سبقه (٨٩) ما فعله جمهور الأمة تر العجب العجاب.

نعم، اتسع الخرق على الراقع، وهل يصلح العطار ما أفسد الدهرا
 وصدق الله العلي العظيم حيث يقول: ﴿وَأَلِّسُوا اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ
 لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾^(١).



(١) سورة الجن: آية ١٦.

رأيت أن أختتم هذا البحث بمقتطفات من كلمات ابن أبي الحديد تتصل بمحليتنا:
 "وأمر المؤمنين كان مقيداً بقيود الشريعة، مدفوعاً إلى اتباعها، ورفض ما يصلح
 اعتماده من آراء الحرب والكيد والتدبير إذا لم يكن للشرع موافقاً، فلم تكن
 قاعدته في خلافته قاعلة غيره ممن لم يلتزم بذلك، ولسنا بهذا القول زارين على
 عمر بن الخطاب، ولا ناسبين إليه ما هو منزعه عنه، ولكنه كان مجتهداً يعمل
 بالقياس والاستحسان والمصالح المرسله، ويرى تخصيص عمومات النص
 بالأراء، وبالاستنباط من أصول تقتضي خلاف ما يقتضيه عموم النصوص،
 ويكيد خصمه، ويأمر أمراءه بالكيد والحيلة، ويؤدب بالدره والسوط من يتغلب
 على ظنه أنه يستوجب ذلك، ويصفح عن آخرين قد اجترموا ما يستحقون به
 التأديب، كل ذلك بقوة اجتهاده وما يؤديه إليه نظره، ولم يكن أمير المؤمنين عليه السلام
 يرى ذلك، وكان يقف مع النصوص والظواهر، ولا يتعداها إلى الاجتهاد
 والأقيسة، ويطبق أمور الدين، ويسوق الكل مساقاً واحداً، ولا يضع ولا يرفع
 إلا بالكتاب والنص، فاختلقت طريقتاهما في الخلافة والسياسة، وكان عمر مع
 ذلك شديد الغلظة والسياسة، وكان علي عليه السلام كثير الحلم والصفح والتجاوز،
 فزادته خلافة ذلك قوة وخلافة هذا لنا... إلخ".

شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ٢١٢ تحت عنوان: سياسة علي وجريها على سياسة
 الرسول عليه السلام.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الباب الثاني

الفصل الأول: شخصية الإمام الحسين عليه السلام

الفصل الثاني: من فصول السيرة

الفصل الثالث: يوم الحسين وأنصاره عليه السلام

الفصل الرابع: عجائب وأسرار حفلت بها قضية الحسين

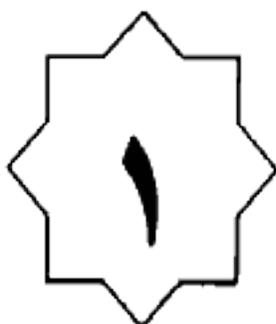
عليه السلام وحياته

الفصل الخامس: سر البقاء الخالد

الفصل السادس: المنبر الحسيني: عرض واقتراح



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



سنة ١٤٣٥ هـ
الطبعة الأولى
١٤٣٥ هـ
الطبعة الأولى
١٤٣٥ هـ
الطبعة الأولى



مركز تقييد كميبيوتر علوم إرسول

عقب السيرة

الإمامة منتهى الكمالات وصور

مشرقة منها



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

عقب السيرة:

خير فرع من خير أصل، وخير أصل لخير فروع.
"وأعظم بإنسان، جده محمد، وأبوه علي، وأمه فاطمة، وأخوه الحسن،
وأي فخر بعد هذا لمفتخر، وأي مجد بعده لإنسان"^(١).

يقف الفكر مبهوراً، فلا يتمالك إلا أن ينحني إجلالاً، لأتمودج الجمال
والبهاء والكمال، ويحار في انتقاء موطن للعظمة، فيجبل فيه فكره، ويجري
فيه يراعتة، ويصوره بريشته، وما ذاك إلا أن الحسين قد أحلظه بارؤه بعنايته
الخاصة، فخلقه كما يشاء، وله الجلال والكمال.

"غذتك يد الرحمة، ورضعت من ثدي الإيمان، وربيت في حجر
الإسلام"^(٢).

وكان - فيما يقول المؤرخون - يضع (جده) إمامه في فيه، وأنه أخذه
بعد ولادته فجعل لسانه في فمه ليغذيه بريق النبوة.

ذأبوا عن الماء ظمناً مراضعةً يتكبرون من جدّه المصطفى الساقى أصابعه
يعطيه إمامه آناً وأونةً لسانه فاستوت منه طبائعه

(١) من كلمات العلامة السيد محمد جواد فضل الله تحت عنوان (لمحات من سيرة
الإمام) في كتابه الإمام الحسن بتصرف.

أقول لما بوبع معاوية خطب فذكر علياً عليه السلام فنال منه، ونال من الحسن، فقام الحسين
ليرد عليه، فأخذ الحسن بيده فأجلسه، ثم قال: "أيها الذاكر علياً، أنا الحسن،
وأبي علي، وأنت معاوية، وأبوك صخر، وأمي فاطمة، وأمك هند، وجدتي
رسول الله، وجدك حرب، وجدتي خديجة، وجدتك قتيلة، فلعن الله أهلكنا ذكراً،
والأمناء حسباً، وشرنا قليلاً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً، فقال طوائف من أهل
المسجد: آمين، قال يحيى بن معين: ونحن نقول: آمين، قال أبو عبيدة: ونحن
نقول أيضاً: آمين، قال أبو الفرج: وأنا أقول آمين، بل الأجيال كلها تقول:
آمين". المصدر نفسه ص ١٧٠.

(٢) من فقرات زيارة الحسين في عرفة.

غرس سقاه رسول الله من يده وطاب من بعد طيب الأصل فارعه^(١)

الإمامة منتهى الكمالات وصور مشرقه منها :

وحيث نعتقد بإمامة الحسين عليه السلام طبق المدرسة الشيعية فمعنى ذلك توفر كل المؤهلات وتمثلها في شخصيته وتجسيده لها، ومع هذا فلا بد لنا من أن نقف ونتملى من مكارم أخلاقه ونشم عبيرها ونقطف يانع ثمرها، إذن فلنسر في رحاب الحسين الخصب.

١ - طفحت كتب السيرة بعلاقته المميزة مع جده رسول الله ﷺ فكان يرتحل جده وحتى في أثناء سجوده مصلياً بالمسلمين في المسجد الجامع، وجده مرتاح لذلك، مظهراً ذلك بقوله: نعم المطية والراكب^(٢).

٢ - دخل مسجد جده النبي ورأى أبا بكر مرة وعمر أخرى وهما على المنبر فقال لكل منهما: إنزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك^(٣).

٣ - قال أنس: كنت عند الحسين عليه السلام فدخلت عليه جارية فحيتته بطاقة ريحان فقال لها: أنت حرة لوجه الله. فقلت: تحييك بطاقة ريحان لا خطر لها فتعتقها؟! قال: كذا أدبنا الله، قال الله: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾^(٤) وكان أحسن منها عتقها^(٥).

٤ - وعن مسعدة قال: مر الحسين بن علي، علي مساكين قد بسطوا كساء لهم، وألقوا عليه كسراً، فقالوا: هلم يا ابن رسول الله، فثنى وركبه،

(١) حياة الإمام الحسين للقرشي ج ١ ص ٣٤ عن المناقب ٥٠/٣ والأبيات للسيد الطبطبائي بحر العلوم.

(٢) حياة الإمام الحسين للقرشي ج ١ ص ٨٨ عن عدة مصادر.

(٣) قول الحسين لعمر أورده في الإصابة ج ١ ص ٣٣٣ ونقل القرشي في حياة الإمام الحسن ج ١ ص ١٦٤ في الهامش نسبة القول من الحسين لأبي بكر فراجع.

(٤) سورة النساء: آية ٨٦.

(٥) الإمام الحسين بن علي للأستاذ علي محمد علي دخيل ص ٢٤... إلخ عن جملة من المصادر.

فأكل معهم ثم تلا: إن الله لا يحب المستكبرين، ثم قال: قد أجبتكم فأجيبيوني، قالوا: نعم يا ابن رسول الله، فقاموا معه، حتى أتوا منزله فقال للجارية: أخرجي ما كنت تدخرين^(١).

٥- وجد على ظهره عليه السلام يوم الطف أثر، فسئل عنه زين العابدين عليه السلام فقال: هذا مما كان ينقل الجراب على ظهره إلى منازل الأرامل واليتامى والمساكين^(٢).

٦- قصده أعرابي وسأله، فقال عليه السلام: ما حاجتك؟

فكتبها الأعرابي على الأرض، فقال له الحسين عليه السلام: سمعت أبي علياً يقول: المعروف بقدر المعرفة، فأسألك عن ثلاث مسائل، إن أجبت عن واحدة فلك ثلث ما عندي، وإن أجبت عن اثنتين فلك ثلثا ما عندي، وإن أجبت عن الثلاث فلك كل ما عندي، وقد حملت إلي صرة من العراق.

الأعرابي: سل ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الإمام الحسين: أي الأعمال أفضل؟ الإيمان بالله.

ما نجا العبد من الهلكة؟ الثقة بالله.

ما يزين المرء؟ علم معه حلم. فإن أخطأه ذلك؟ مال معه كرم. فإن أخطأه ذلك؟ فقر معه صبر. فإن أخطأه ذلك؟ صاعقة تنزل من السماء فتحرقه.

فضحك الإمام ورمى إليه بالصرة وفيها ألف دينار وأعطاه خاتمه وفيه فص قيمته مائتا درهم وقال: يا أعرابي أعط الذهب إلى غرمائك واصرف الخاتم في نفقتك، فأخذ الأعرابي وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته^(٣).

٧- قال عاصم بن المصطلق: دخلت المدينة فرأيت الحسين بن علي،

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) البحار ج ٤٤ ص ١٩٧ وحياة الإمام الحسين للقرشي ج ١ ص ١٣١ عن فضائل

الخمسة من الصحاح الستة ٢٦٨/٣.

فأعجبني سمته ورواؤه، وأثار حسدي ما كنت أخفيه في صدري لأبيه من بغض، فقلت له: أنت ابن أبي تراب؟ فقال نعم، فبالغت في شتمه، وشتم أبيه، فنظر إلي نظرة عطف رؤوف، ثم قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿١﴾ وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٣﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمْلُونَهُمْ فِي الْغَيْبِ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٤﴾^(١).

ثم قال لي: خفض عليك، أستغفر الله لي ولك، إنك لو استعنتنا لأعناك، ولو استرفدتنا لأرشدناك، ولو استرشدتنا لأرشدناك.

قال عاصم: فتوسم مني الندم لما فرط فقال: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿١﴾، أمن أهل الشام أنت؟ قلت: نعم.

فقال: شنشنة أعرفها من أحزم، حيانا الله وإياك، أبسط إلينا في حوائجك، وما بعرض لك تجلدي عند أفضل ظنك إن شاء الله.

قال عاصم: فضأقت علي الأرض بما رحبت، ووددت لو سأخت بي، ثم سللت منه لوإذا وما على الأرض أحب إلي منه ومن أبيه^(٢).

وبعد

فهذه شذرات ومقتطفات، مما سجله التاريخ بأحرف من نور، وأما سبر حياته، والوقوف على أعماقه، من صلته بربه، وانقطاعه إليه، وسائر شؤونه، في ذاته الشريفة، ومع عامة الخلق، أوليائه وأعدائه، فقد أشرفت به صحائف ناصعة، تدعو عشاق الجمال والكمال.

ولا غرو عن ارتدى برداء الإمامة، وتوشح ببرد الولاية، وتضمخ بدم

(١) سورة الأعراف: آية ١٩٩-٢٠٢.

(٢) قال العلامة مغنية: وقد غابت هذه الحادثة عن كثير من الباحثين والجمعين، واكتشفها الشيخ عباس القمي وسجلها في سفينة البحار مادة (خ.ل.ق) الحسين والقرآن ص ٢٤.

الشهادة وأعظم بمناحي شخصية أفاض الحديث عنها خالقها في قرآنه، فهو بطل من أبطال المباهلة، والطاهر من طاهرين من أهل البيت، والقريب الحبيب الذي جعل أجر الرسالة مودته ووجهه.

وكما مجده بارؤه، فقد شرح قولاً وعملاً مربيه وأبوه رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يمارسه معه، وفيما يظهره لأصحابه، وكفى بقول النبي: حسين مني وأنا من حسين.

ومن هنا.. فلا بدع ولا غرابة لو قرأنا في وافر زياراته عليه السلام: السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كلیم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد حبيب (نبي) الله، السلام عليك يا وارث علي وصي رسول الله، السلام عليك يا وارث الحسن الرضي، السلام عليك يا وارث فاطمة بنت رسول الله ^(١).

فالحسين وارث الأنبياء والمرسلين والأولياء والصديقين، وماذا يرث من هؤلاء؟ إنه ميراث النبوة وكفى عليه السلام بكمبيوتر علوم رسول

(١) مفتتح زيارة من زيارته (عليه أزكى التحية وأفضل السلام). كامل الزيارات لابن قولويه ص ٢٠٦ وكثير من الزيارات تصدر بمثل هذه العبارات ونهايك بزيارة (وارث) المعروفة.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مكتبة
فن السيرة
السيرة النبوية

❁ اتجاهان في قيام الإمام الحسين

❁ بين الصلح والثورة

❁ مجمع الجلال والجمال وصوره

المعبرة

❁ الإنسانية الفذة

❁ الإمامة : أئمة الحق وأئمة الجور

❁ واقع الأمة المر، وواقع الشذاذ

البغاة

❁ تعلقه بالمبدأ الأعلى



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

أولاً: اتجاهان في قيام الإمام الحسين:

١- التكليف الواقعي.

٢- الوظيفة الظاهرية.

وأود قبل البدء في شرح الموقفين وملا بساقتما أن أشير إلى أننا لا نتحدث هنا - مع حملة الفكر الأموي وآرائهم حول الإمام عليه السلام ونهضته، وإنما نذكر آراء شيعة الإمام وأوليائه. وأعتقد أن باعث اختيار الاتجاه الأول - التكليف الواقعي - ينطلق من التصور حول علم الإمام، وإحاطته بكل مسائل الحياة، عن مصدرين هما: ١- التعليم من رسول الله وأبيه علي وأخيه الحسن. ٢- الإلهام الإلهي، وليس صادراً من اجتهاد وحدس وتخمين، بالإضافة إلى شواهد أخرى من روايات.

وإن باعث الاختيار الثاني: هو أن الإمام يمارس كافة الشؤون بصورة طبيعية، ففي قضائه وحكمه وسلمه وحزبه وأموره كلها يعمل وفق البينة الشرعية، ويمين المنكر مثلاً، وإذا قهياً الناصر للحق استجاب الإمام وتوجه للقيام به، وهكذا في عموم الأحوال العادية.

ولعلنا إذا استعرضنا بعض الروايات ولاحظنا الظروف نخرج برؤية واضحة ورأي توفيق بين الاتجاهين المطروحين.

عن حريز عن أبي عبد الله عليه السلام: «إن لكل واحد منا صحيفة فيها ما يحتاج إليه أن يعمل في مدته، فإذا انقضى ما فيها مما أمر به عرف أن أجله قد حضر».

وإن الحسين عليه السلام قرأ صحيفته التي أعطيها وفسر له ما يأتي وما يبقى وبقي منها أشياء لم تنقض، فخرج إلى القتال، فكانت تلك الأمور التي بقيت^(١).

قال ثقة الإسلام العلامة المجلسي: قد مضى في كتاب (الإمامة) وكتاب

(١) كامل الزيارات للشيخ المقدم بن قولويه ص ٨٨.

(الفتن) أخبار كثيرة دالة على أن كلاً منهم عليه السلام كان مأموراً بأمور خاصة مكتوبة في الصحف السماوية النازلة على الرسول ﷺ، فهم كانوا يعملون بها، ولا ينبغي قياس الأحكام المتعلقة بهم على أحكامنا... إلخ^(١).

ويعتمد الاتجاه الثاني على أن الإمام جرى في نهضته وفق الضوابط العادية حيث دعاه شيعته، وكتبوا إليه أنهم يأتمرون بأمره، ويقومون بقيامه، وينتظرون قدومه عليهم "إنا قد حبسنا أنفسنا على بيعتك، ونحن نموت دونك، ولسنا نحضر جمعة ولا جماعة بسببك"^(٢)، إن الناس ينتظرونك، لا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل يا بن رسول الله، فقد اخضر الجناب، وأينعت الثمار، وأعشبت الأرض، وأورقت الأشجار، فأقدم إذا شئت، فإنما تقدم على جندك مجندة"^(٣).

فاستجاب لطلبهم وبعث نحوهم أولاً سفيره مسلم بن عقيل عليه السلام، وهو بدوره كتب إلى الإمام باجتماع كلمتهم وتمايم بيعتهم، ورغب إليه أن يشخص إليهم، وهكذا تحرك الأمام نحوهم "الرائد لا يكذب أهله وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجل الإقبال حين يأتيك كتابي"^(٤)، وعجل القدوم يا بن رسول الله، فإن لك بالكوفة مائة ألف سيف فلا تتأخر"^(٥).

أقول: لو عطفنا هذا الاتجاه على الاتجاه الأول وتصورنا أن الإمام - وحديثنا يخص الإمام الحسين - كانت له مهمة ووظيفة إلهية خاصة ألا وهي التضحية بنفسه الشريفة وعن شملهم التوفيق الإلهي والسعادة الربانية، واقرن تنفيذ هذه المهمة بأن تجري وتطبق ولها مبرراتها الظاهرية ومقدماتها

(١) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٩٨.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ٦٣.

(٣) مقتل المرقم ص ١٥٨.

وقد ذكر أرباب المقاتل والسير ما تكاثر واجتمع من كتب أهل الكوفة للإمام وقد أشار الإمام إلى ذلك في جملة من خطبه مع أعدائه.

(٤) المصدر السابق ص ١٦٣.

(٥) المصدر السابق ص ١٦٣.

العادية، فيلتقي بذلك التكليفان ويتحد الاتجاهان.

وإذا وفقنا للتوفيق بين نحوي التكليف نكون قد اخترنا طريقاً وسطاً بين جملة من الآراء في تحليل نهضة الإمام عليه السلام.

١ - العلامة الشيخ المطهري يرى:

إنّ التصور الخاطيء هو القائل بأن حركة سيد الشهداء عليه السلام قد جاءت في الواقع نتيجة تلقي الإمام أمراً خاصاً وتعليمات سرية تخصه شخصياً، دون غيره، وتطلب منه القيام بتلك الحركة المعروفة، وأن التعليمات الخاصة تلك قد صدرت إلى الإمام في المنام، أو في اليقظة، وهذا أمر غير جائز لأنه في هذه الحال يصبح من غير الممكن للآخرين أن يتبعوا الأمام، ويجعلوه قائداً ومرجعاً لهم في مثل تلك الحالات، وبالتالي لا يمكن الحديث عن وجود مدرسة حسينية. بينما لو قلنا بأن حركة الإمام الحسين قد حصلت في سياق استنباط الإمام نفسه للتعليمات الكلية للإسلام، وتطبيقه لتلك الأحكام، نكون قد أعطينا الموضوع حقه، ولم ينحصر الإمام حقه، في كونه قد تمكن من فهم الأحكام الإسلامية حق فهمها... إلخ^(١).

٢ - الشيخ النجف آبادي:

فيما نقله عنه الشيخ المطهري كثيراً: "وحسب الاتجاه الطبيعي للأحداث فإن الاحتمال الأقوى ظناً، كان يرى بأن إقامة الإمام الحسين عليه السلام للحكم الإسلامي في العراق كان يعني إضافة إلى وقوف قوات المتطوعين الكوفيين إلى جانب الحسين، فإن جماهير الحجاز، واليمن، وخراسان، وأذربيجان، وسائر الولايات الأخرى، ستقف دون تردد إلى جانب الإمام بعدما ذاقته من ويلات على يد حكام بني أمية... إلخ"^(٢).

(١) الملحمة الحسينية ج ٣ ص ٧٦: هل تلقى الإمام الحسين عليه السلام أمراً خاصاً بالتحرك؟

(٢) الملحمة الحسينية ج ٣ ص ٣٥١ و ص ٣٥٢.

وقد عقد العلامة المطهري فصلاً طويلاً لمناقشة الشيخ نجف آبادي ج ٣ ص ٤٣٩ وذكره غير مرة في ملحمة ج ٢ ص ٢٤٢ وغيرها.

ونقل عنه أيضاً:

«ومن ناحية أخرى فإن القدرة العسكرية كانت موجودة بدرجة كافية وعوامل النصر للإمام كانت متوفرة أيضاً»^(١).

ويبدو أن كلام الشيخ المطهري مجمل، فهل ينفي التكليف الواقعي الذي أشارت إليه الرواية السابقة أم يرمي إلى شيء آخر لم يوضحه أو لم نفهمه وكذلك رأي أو آراء الشيخ نجف آبادي؟ فبماذا يفسر أحاديث النبي والإمام علي والحسن والحسين الدالة على العلم بالمصير ونوطين النفس على الإقدام على إحياء دين الله بالشهادة في سبيل الله؟

وأكتفي بهذه الإشارة العابرة فلم يكن من القصد الإفاضة في مناقشة المسألة.

أقول: وقفت بعد كتابة البحث إلى إشارة السيد المكرم^(٢) إلى ما حرره الفقيه المقدس الشيخ جعفر الشوشتری (أعلا الله مقامه) حول موضوعنا هذا، وإن كان وجهة بحثه الشريف تختلف نوعاً عما كتبه.

أقول:

وقد جاء في كتاب (تمهيد الحسن وقيام الحسين) ص ٢٢٧ إلخ، ضمن مناقشاته للآراء المطروحة نقد حول ما عرضته في المسألة، والذي أود

وقد تناول جملة من الباحثين كتاب النجف آبادي (شهيد جاويد) الشهيد الخالد كالعلامة الكبير الشيخ محمد الكرمي، وتعرض الشيخ مغنية له أيضاً في كتابه (الحسين والقرآن) وسمعت من مشايخنا أن الخطيب العلامة الشيخ عبد الحسين الخراساني ناقشه أول صدوره في النجف الأشرف في خطبه المنبرية، وأعيد طبع الكتاب، وقد قدم له الشيخ حسين علي المنتظري والشيخ علي المشكيني، ولا أدري هل أصلح في الكتاب ما لوحظ عليه أم لا، فقد أثار ضجة كبيرة حوله وقد أشار إلى ذلك مترجم الملحمة الحسينية ج ٢ ص ٢٤٢.

(١) المصدر نفسه.

(٢) مقتل الحسين ص ١٩٦ عن الخصائص الحسينية ص ٣٢ طبعة تبريز و ص ٤٣ الطبعة الرابعة، المطبعة الحيدرية في النجف ١٣٧٥هـ-١٩٥٦م.

توضيحه هنا ما يلي:

١- إنه لم يكن من القصد استعراض واستيعاب كافة ما ذكره الباحثون حول الموضوع.

٢- وإنما كان من الهدف توجيه القولين المطروحين بما يلتقي من استخلاص رأي توفيقى بينهما بما يوجب التحفظ على سلامة النهضة المقدسة مما يتصور من عروض إشكال لو اخترنا أحد الرأيين.

٣- إن الروايات المذكورة حول (صحيفة كل إمام) يمكن تطبيقها في مثل هذه القضية وهي من قضايا حياة الإمام سيد الشهداء عليه السلام الكبرى.

فقوله عليه السلام في رواية حريز: "إن لكل واحد منا صحيفة فيها ما يحتاج إليه أن يعمل به في مدته فإذا انقضى ما فيها مما أمر به عرف أن أجله قد حضر" تنطبق كثيراً على أمر الإمام الحسين عليه السلام وقضيته.

٤- قول الناقد المحترم: "وذلك أن تلك العقيدة - أنهم عالمون بكل شيء (وكل شيء أحصيناه في إمام مبین) - على تنوع مصادر علمهم ويسلم بها صاحب النظرية الطبيعية أيضاً كالسيد المرتضى عليه السلام وغيره، إلا من شد عن لا يعتنى برأيه، بل لعلها من ضروريات المذهب، إلا أن الإيمان بتلك العقيدة لا ينتج لزوم تفسير حركة المعصوم على أساس الوظيفة الخاصة".

لا ارتباط له بما ذكرت وإنما هي معالجته - رضوان الله عليه - للمسألة من هذه الزاوية.

٥- والمؤلف - حفظه الله - أشار في نهاية طرحه لنظريته إلى اكتناف المسألة بأمر الغيب.

فمن جملة ما قال: "نعم هي مبنية على أمور دقيقة جداً تحتاج إلى تمعن في ملاسقاتها وتدقيق في معطياتها وتفكر في أحداثها وبعد نظر في تحليل أمورها ولا يكاد يصل إليه كل أحد، وذلك أن الربط بين قضية الإمام الحسن عليه السلام وقضية الإمام الحسين عليه السلام وأسبابهما ولوازمهما لدقته يكاد

يكون من الأمور الغيبية التي لا يستطيع إدراك أسبابها»^(١).

٦- وبعد

فهذا ما عن لي من توضيح، فإن وفقت فذاك، وإلا فهو جهد القاصر عن إدراك السر الذي لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم. وأسجل شكري وتقديري لحضرة المؤلف لعنايته بما ذكرت ومناقشته لما طرحت سائلاً المولى أن يكافئه بالحسنى ويوفقه للمراتب العليا^(٢).

ثانياً: بين الصلح والثورة:

وعلى ضوء التصور في توجيه فعل الإمام، تتضح لنا الرؤية في ما يتراءى من اختلاف فعل الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، فصلح الإمام الحسن المجتبي كان عين الحكمة والوظيفة، ولو كان أخوه الإمام الحسين قائماً مقامه لصلح صلحه. وقيام الإمام الحسين الشهيد كان عين الحكمة والوظيفة، ولو كان أخوه الإمام الحسن قائماً مقامه لجاهد جهاده. فالوظيفة الإلهية، والتكليف الواقعي، هما المخططان للقيام والقعود، ودراسة مقتضيات الأحوال، وظروف الأحداث تملّي الأحكام المناسبة، وأكتفي بهذه الإشارة العابرة، محيلاً المتطلع إلى المزيد، إلى وفرة من البحوث والدراسات المستوعبة في هذا المجال.

١- مقدمة فخر الشيعة السيد عبد الحسين شرف الدين لكتاب (صلح الحسن).

٢- صلح الحسن للعلامة الجليل الشيخ راضي آل يس.

٣- مقدمتي ركن الشيعة المصلح العظيم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء لكتاب (حياة الإمام الحسن) للقرشي في جزئيه، وقد جاءت مقدمة الجزء الأول المستفيضة مثبتة في (جنة المأوى) ص ١٠٣.

(١) تمهيد الحسن وقيام الحسين عليهما السلام / ٢٩٧.

(٢) والمناقشة هذه من زيادات الطبعة الثانية.

- ٤ - حياة الإمام الحسن للعلامة الجليل الشيخ باقر شريف القرشي .
 ٥ - صلح الإمام الحسن للعلامة الجليل السيد محمد جواد فضل الله .
 ٦ - الغدير لحجة الحق ولسان الصدق الشيخ عبد الحسين الأميني في
 الجزء الحادي عشر .
 ٧ - جملة أخرى من مقدمات ومؤلفات مستقلة أفاضت في البحث
 والتحليل والمقارنة .

ثالثاً: مجمع الجلال والجمال:

وبعد، فقد آن لنا أن نسير إلى الحسين، في ذاته وأعماقه، وطريقنا منه
 وإليه، فنقرأه من خلال منطقته وعمله، ونسبره، ابتداءً من حركته من المدينة،
 وانتهاءً بوصوله إلى لقاء الله بشهادته في كربلاء، حتى نقف على سر العظمة،
 ومواطن الكمال، وأسباب الخلود.



مركز تحقيقات كبيوتر علوم إسلامي

نهج الاستقامة والوضوح:

وهذه صفة جليلة في حياة الإمام الشهيد، فقد كان على بينة من ربه في
 كل حركة وسكون، من قول أو فعل، ومن هنا كان مستقيماً في أمره،
 واضحاً في نهجه، وسبق لي أن قلت: إنه لم يمارس أسلوب الساسة المخادعين،
 اللاعبين بالعواطف، العابثين بالمشاعر، فيغري ويكيل الوعود. كلاً، لم يكن
 في آن كذلك أبداً.

ومن تلكم الصور المشرقة المعبرة مايلي:

١ - في جوابه للوليد بن عتبة والي المدينة حينما استدعاه لأخذ البيعة
 ليزيد بعد هلاك معاوية:

«إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله،
 وبنا يختم، ويزيد رجل شارب الخمر، وقاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق،
 ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصحبون، وننظر، وتنظرون، أينما أحق

بالخلافة»^(١).

٢ - جوابه لمروان حينما نصحه بأن في بيعته ليزيد خير الدنيا والآخرة فاسترجع الإمام وقال:

«على الإسلام السلام إذا بليت الأمة براع مثل يزيد... إلخ»^(٢).

٣ - جوابه لأخيه محمد بن الحنفية:

«يا أخي لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية»^(٣).

٤ - وصيته المكتوبة لأخيه محمد وقد جاء فيها: «وإني لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ، أريد أن أمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم، وهو خير الحاكمين»^(٤).

٥ - كتابة نسخة واحدة إلى رؤساء الأخماس بالبصرة وقد جاء فيها:

«ولم نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه، وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله، وسنة نبيه، فإن السنة قد أميتت، والبدعة قد أحييت، فإن تسمعوا قولي أهدكم إلى سبيل الرشاد»^(٥).

٦ - جوابه لرسائل أهل الكوفة بعثه مع رسوله مسلم بن عقيل وعمما جاء فيه:

(١) انظر مقتل الحسين للسيد المقرم ص ١٣٩ عن جملة من المصادر.
أقول: إن مجمل هذه الكلمات والأجوبة مذكورة ومشهورة في عموم المصادر.

(٢) المصدر نفسه ص ١٤٢.

(٣) المصدر نفسه ص ١٤٦.

(٤) مقتل الحسين للمقرم ص ١٥١.

(٥) المصدر نفسه ص ١٥٤.

«فإن كتب أنه قد اجتمع رأي ملئكم، وذوي الفضل والحجى منكم، على مثل ما قدمت علي به رسلكم، وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والأخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله والسلام»^(١).

٧- الخطاب التاريخي العام في المسجد الحرام، وقد كانت مكة مجمع الناس يومذاك، فقام الإمام فيهم خطيباً مصرحاً بدعوته وغايته:

«الحمد لله، وما شاء الله، ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على رسوله، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي، اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلاة بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشاً جوفاً، وأجربة سغباً، لا يحيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصير على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله لحمته، بل هي مجموعة له في حضيرة القدس، تقر بهم عينه، وينجز بهم وعده، ألا ومن كان فينا باذلاً مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فإني راحل مصباحاً، إن شاء الله تعالى»^(٢).

٨- خطابه فيمن صحبه بعد مقتل عبد الله بن يقطر رسوله إلى

مسلم:

«أما بعد فقد خذلنا شيعتنا، فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف ليس عليه منا ذمام»^(٣).

٩- خطابه في كربلاء قبيل مقتله آذناً لأصحابه بالانصراف ومما جاء

فيه:

«أما بعد، فأني لا أعلم أصحاباً أوفى، ولا خيراً من أصحابي، فجزاكم الله جميعاً عني خيراً، ألا وإني لأظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، وإني قد

(١) المصدر نفسه ص ١٦٠.

(٢) المصدر نفسه ص ١٩٠.

(٣) حياة الإمام الحسين للقرشي ج ٣ ص ٧١ عن وفرة من المصادر.

أذنت لكم جميعاً، فانطلقوا في حل، ليس عليكم مني ذمام، وهذا الليل قد غشيكم، فاتخذوه جملأً، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً خيراً، ثم تفرقوا في سوادكم ومدائنكم، حتى يفرج الله، فإن القوم إنما يطلبونني، ولو أصابوني لخوا عن طلب غيري. والتفت الحسين إلى بني عقيل وقال: حسبكم من القتل بمسلم، إنذهبوا فقد أذنت لكم^(١).

١٠ - تقدير وإكبار للأنصار المخلصين.

فواجب الإعظام للصفوة المختارة من شهداء الطف أنصار الحسين، يملي علينا الإشادة بمواقفهم المشرفة، التي حاكوا فيها سيدهم وإمامهم، فعادوا خريجي مدرسته، ونسيج يده، ونتاج معدنه. وما أروع موقف البطل هلال بن نافع البجلي، حين عقب على خطاب للإمام عليه السلام أيام كربلاء: «يا ابن رسول الله، أنت تعلم أن جدك رسول الله لم يقدر أن يشرب الناس محبته، ولا أن يرجعوا إلى أمره ما أحب، وقد كان منهم منافقون يعدونه بالنصر، ويضمرون له الغدر، يلقونه بأحلى من العسل، ويخلفونه بأمر من الحنظل، حتى قبضه الله إليه، وإن أباك علياً (رحمة الله عليه) قد كان في مثل ذلك، فقوم قد أجمعوا على نصره، وقاتلوا معه الناكثين والقاسطين والمارقين، حتى أتاه أجله، فمضى إلى رحمة الله ورضوانه، وأنت اليوم عندنا في مثل تلك الحالة، فمن نكث عهده، وخلع بيعته، فلن يضر إلا نفسه، والله مغن عنه، فسِرُّ بنا راشداً معافى، مشرقاً إن شئت، وإن شئت مغرباً، فو الله ما أشفقنا من قدر الله، ولا كرهنا لقاء ربنا، وإنا على نياتنا وبصائرنا، نوالي من والاك، ونعادي من عاداك»^(٢).

وقد تواتب أصحابه للإعراب عن طيب ضمائرهم وسرائرهم بمثل هذه المقالة، وكم لهم من مآثر، وناهيك بهذا الشرف الذي نالوه والتوفيق الذي حظوا به دون كثير ممن خلق الله فسموا فضلاء الشهداء.

ولو جمعت كلماتهم وآثارهم وضمت مع خطب إمامهم وأهل بيته

(١) مقتل المكرم ص ٢٥٧ عن عدة مصادر.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٨٢.

لجاءت سفراً معطاءً معبراً رائعاً.

رابعاً: الإنسانية الفذة:

نلتقي هنا مع جبلة أخرى طبعت عليها ذات الحسين العظيم، التي لا تعيش إلا الخير، ولا تحيا إلا الجميل والجمال.

١- ها هو يسير إلى مقصده كربلاء، محط الشهادة على يد الشذاذ المسوخين من الإنسانية، أهل الجفوة والقسوة، فيلتقي بزرافات منهم، وقد توجهوا بأمر ابن زياد لحرب الحسين، وتضييق الدنيا عليه وهم ألف فارس أظمأهم السير، وحر المهجير، فماذا هو صانع معهم؟

أجل، تتجلى هنا خلال الشرف والتسامي، والتصرف بما هو طبع الذات والمعدن، فأمر الحسين أصحابه أن يسقوا القوم، ويرشفوا الخيل، فسقوهم وخبوهم عن آخرهم، (وقد كان أعد هذا الماء الوافر سحراً، وأمر فتيانه أن يكثروا من استنائه). ويأبى هذا المعدن غير اللطف والعطف:

فيأتي علي بن الطعان المحاربي، آخر القوم، وقد أضرَّ به العطش، وأجهده السرى، فقال الحسين: أنخ الراوية - وهي الجمل بلغة الحجاز - فلم يفهم مراده، فقال له ثانياً: أنخ الجمل، ولما أراد أن يشرب جعل الماء يسيل من السقاء فقال له الإمام: أنخت السقاء، فلم يدرك ما يصنع لشدة العطش، فقام بنفسه الشريفة، وعطف السقاء، حتى ارتوى وسقى فرسه^(١).

٢- كرم ونبل الإمام مع محمد بن بشير الحضرمي الذي أسر ابنه.

فقد قيل لمحمد: إن ابنك قد أسر بشعر الري، فقال: ما أحب أن يؤسر وأنا أبقى بعده حياً، فقال له الحسين: أنت في حل من بيعتي فاعمل في فكاك ولدك، قال: لا والله لا أفعل ذلك أكلتني السباع حياً إن فارقتك فقال العترة: إذا أعط ابنك هذه الأثواب الخمسة ليعمل في فكاك أخيه، وكانت قيمتها

(١) مقتل المقرم ص ٢١٣ عن الطبري ج ٦ ص ٢٢٦.

ألف دينار^(١).

٣- الإمام لا يأذن بالشهادة لمن كان عليه دين.

روى الطبراني أن الإمام أمر منادياً ينادي في أصحابه: «لا يقتل معنا رجل وعليه دين... إلخ»^(٢).

وخير معبر عن كمالات الإمام كلماته ومواقفه، فهي فيما أعتقد أبلغ وصفاً وتصويراً من تحليلات المحللين.

وسبق أن قلت: لو جمعت هذه الخطب والمحاورات والمنظرات وربت، لعرفت الحسين أبلغ من تعريفنا له، ولأظهرت معالم شخصيته الفذة بأبعادها الأصيلة والعميقة التي لا تهتدي مهما أوتينا من قوة التحليل إلى الوقوف على كنهها ومداهما.

ولنسائر الإمام، ونشهد مواطن خطبه وخطوبه، فتحيا أفكارنا وأرواحنا بعطائه الفكري والروحي، وتتملى نفوسنا بغذائه الإنساني، ونعيش المرارة التي آلت إليها، الأمة يوم فقدت عقلها وإيمانها وإنسانيتها، ويوم فتكت بإمامها أبشع فتك، وأشنع، نصره لآل أبي سفيان.

خامساً: الإمامة: أئمة الحق وأئمة الجور:

١- وفي الشعبوية أنه رجل، وسأله عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسِرٍ بِإِمَامِهِمْ﴾^(٣) فقال عليه السلام: إمام دعا إلى الهدى فأجابوا إليه، وإمام دعا إلى ضلالة فأجابوا إليها، هؤلاء في الجنة، وهؤلاء في النار، وهو قوله تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾^(٤).

٢- وفي شراف خطب في جيش الحر أولاً، ثم صلى بأصحابه وهم،

(١) مع الحسين في نهضته للعلامة أسد حيدر ص ٢٣٧ عن الطبري.

(٢) حياة الإمام الحسين للقرشي ج ٣ ص ١٧٢ عن العجم الكبير للطبراني ١/١٤١.

(٣) سورة الإسراء: آية ٧١.

(٤) مقتل المرقم ص ٢٠٩ عن أمالي الصدوق ص ٩٣. سورة الشورى: آية ٧.

وبعد أن فرغ خطب ثانية وقال: أيها الناس إنكم إن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى الله، ونحن أهل بيت محمد ﷺ أولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدعين ما ليس لهم، والسائرين بالجور والعدوان... الخ^(١).

٣- ومن جوابه للملا من أهل الكوفة مع رسولي هاني بن هاني وسعيد الحنفي: «فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والأخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله»^(٢).

٤- ومن خطابه مع الوليد أمير المدينة من قبل يزيد: «إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله، وبنا يختم، ويزيد رجل شارب الخمر، وقاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله»^(٣).

سادساً: واقع الأمة المر، وواقع الشذاذ البغاة:

١- جمع الإمام العظيم ولده وأخوته وأهل بيته حين نزلوا كربلاء، ونظر إليهم وبكى وقال: اللهم إنا عترت نبيك محمد، قد أخرجنا، وطردنا، وأزعجنا عن حرم جدنا، وتعدت بنو أمية علينا، اللهم فخذ لنا بحقنا، وانصرنا على القوم الظالمين.

وأقبل على أصحابه فقال: «الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درت معاشهم، فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون.

أما بعد، فقد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت، وأدبر معروفها، ولم يبق منها إلا صباة كصباة الإناء، وخسيس

(١) مقتل المقيم ص ٢١٥.

(٢) مقتل الحسين للسيد المقيم ص ١٣٩.

أقول وللإمام العظماء الكثير من المناظرات والمراسلات لمعاوية تحمل أفكار الإسلام في الإمامة وشروطها وتمثلها في أهلها بحق وتجرد معاوية وبطانته عن اللياقة للتحلي بها.

(٣) المصدر نفسه ص ١٦٠.

عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى البطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، فإنني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً^(١).

٢- وماذا يقول ابن زياد عن يزيد وأمه؟

وقد جمع الناس في جامع الكوفة فقال: أيها الناس إنكم بلوتم آل أبي سفيان فوجدتموهم كما تحبون، وهذا أمير المؤمنين يزيد، قد عرفتموه، حسن السيرة، محمود الطريقة، محسناً إلى الرعية، يعطي العطاء في حقه، وقد أمنت السبل على عهده، وكذلك كان أبوه معاوية في عصره، وهذا ابنه يزيد، يكرم العباد، ويغنيهم بالأموال وقد زادكم في أرزاقكم مائة مائة، وأمرني أن أوفرها عليكم، وأخرجكم إلى حرب عدوه الحسين، فاسمعوا له وأطيعوا^(٢).

٣- مواجهة الإمام لجيش يزيد في خطبته الأولى يوم العاشر من المحرم:

«وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم، واعرض بوجهه الكريم عنكم، واحل بكم نقيته، فنعم الرب ربنا، وبئس العبيد أنتم، أقررتم بالطاعة، وآمنتُم بالرسول محمد ﷺ، ثم إنكم زحفتُم إلى ذريته وعترته، تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان، فأنساكم ذكر الله العظيم، فتباً لكم ولما تريدون، إنا لله وإنا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم، فبعدا للقوم الظالمين».

ومما قال فيها (صلوات الله على روحه الطيبة):

«أفتشكون أني ابن بنت نبيكم؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم، ويحكم، أتطلبوني بقتيل منكم قتلته أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص جراحة».

(١) المصدر السابق ص ٢٢٩ عن كثير من المصادر وأمهات كتب التاريخ والسيرة كما

هو شأن ما نقل من خطب ومواقف.

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٧.

فأخذوا لا يكلمونه، فنادى: "يا شيبث ابن ربعي، ويا حجار بن أبحر، ويا قيس بن الأشعث، ويا زيد بن الحارث، ألم نكتبوا إلي أن أقدم، قد أينعت الثمار، واخضر الجناب، وإنما تقدم على جنودك مجندة؟ فقالوا: لم نفعل، قال: سبحان الله...!! بلى والله لقد فعلتم... الخ"^(١).

٤ - ومع القوم ثانية وجهاً لوجه في خطبته الثانية في أرض كربلاء.

ركب فرسه، وأخذ مصحفاً، ونشره على رأسه ووقف بإزاء القوم، وقال: يا قوم أن بيني وبينكم كتاب الله، وسنة جدي رسول الله ﷺ.

ثم استشهدهم عن نفسه المقدسة، وما عليه من سيف النبي ﷺ ولامته وعمامته، فأجابوه بالتصديق، فسأهم عما أقدمهم على قتله قالوا: طاعة للأمير عبيد الله بن زياد، فقال ﷺ:

تباً لكم أيتها الجماعة وترجاء، أحين استصرختمونا والهين، فأصرخناكم موجفين، سللتم علينا سيفاً لنا في إيمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعلوكم، فأصبحتم إلماً لأعدائكم على أوليائكم، بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، فهلا لكم الويلات! تركتمونا، والسيف مشيم، والجأش طامن، والرأي لما يستحصف، ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبا، وتداعيتم عليها كتهافت الفراش، ثم نقضتموها فسحقاً لكم يا عبيد الأمة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، وعرفي الكلم، وعصبة الإثم، ونفثة الشيطان، ومطفئي السنن، وبحكم أهؤلاء تعضدون، وعنا تتخاذلون! أجل والله، غدر فيكم قديم، وشجيت عليه أصولكم، وتآزرت فروعكم، فكنتم أخبث ثمرة، شجى للنظر، وأكلة للغاصب.

ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك، ورسوله، والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية، من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد، وخذلان الناصر.

(١) المصدر السابق ص ٢٧٤/٢٧٥.

ثم أنشد أبيات فروة بين مسيك المرادي:

فإن نهزم فهزامون قديماً وإن نهزم فغير مهزميننا
... إلخ

وقال: أما والله لا تلبثون إلا كريثما يركب الفرس، حتى تدور بكم دور الرحي، وتقلق بكم قلق المحور، عهد عهده إلي أبي عن جدي رسول الله، ﴿فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُون﴾^(١). ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢).

٥- شيعة آل أبي سفيان.

أثار عمر بن سعد الحمية، حمية الجاهلية، في جيشه وحرصهم على الفتك بسيد شباب أهل الجنة فكان يقول لهم:

هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتال العرب، احملوا عليه من كل جانب، فأنته أربعة آلاف نبلة، وحال الرجال بينه وبين رحله فصاح بهم: يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم، وارجعوا إلى أحسابكم، إن كنتم عرباً كما تزعمون، فناداه شمر: ما تقول يا ابن فلطمة؟ قال: أنا الذي أقاتلكم والنساء ليس عليهن جناح، فامنعوا عتاتكم عن التعرض لحرمي مادمت حياً^(٣).

٦- وبعد أن رماه أبو الحتوف بسهم في جبهته، فزرعه وسالت الدماء على وجهه دعا عليهم ثم صاح بصوت عال:

يا أمة السوء، بثسما خلفتم محمداً في عترته، أما إنكم لا تقتلون رجلاً بعدي فتهايون قتله، بل يهون عليكم ذلك عند قتلكم إياي، وأيم الله، إني

(١) سورة يونس: آية ٧١.

(٢) المصدر السابق ص ٢٨١... إلخ عن تاريخ ابن عساکر ج ٤ ص ٣٣٤ والمقتل للخوارزمي ج ٢ ص ٧ واللهوف ص ٥٤. سورة هود: آية ٥٦.

(٣) المصدر السابق ص ٣٣٥ عن مناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ص ٢٢٣.

لأرجو أن يكرمني الله بالشهادة، ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون.
فقال الحصين: وماذا ينتقم لك منا يا ابن فلطمة؟^(١).

قال: يلقي بأسكم بينكم ويسفك دماءكم ثم يصب عليكم العذاب
صباً.

٧- إعدار وتوجيه:

وفي (البيضة) خطب أصحاب الحر فقال بعد الحمد والثناء:

«أيها الناس، إن رسول الله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام
الله، ناكثاً عهده، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباده بالإثم والعدوان، فلم
يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله.

ألا وإن هؤلاء، قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن،
وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالسفهاء، وأحلوا حرام الله،
وحرموا حلاله، وأنا أحق ممن غير، وقد أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رسلكم
ببيعتكم إنكم لا تسلموني، ولا تخلوني، فإن أتمتم عليّ بيعتكم نصيبوا
رشدكم، فأنا الحسين بن علي، وابن فلطمة بنت رسول الله، نفسي مع
أنفسكم، وأهلي مع أهلكم، ولكم في أسوة، وإن لم تفعلوا، ونقضتم
عهدكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري، ما هي لكم بنكر، لقد
فعلتموها بأبي، وأخي، وابن عمي مسلم، فالفرور من اغتر بكم، فحظكم
أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيغني الله
عنكم»^(٢).

(١) المصدر السابق ص ٣٣٩ عن مقتل العوالم ص ٩٨، ونفس المهموم ص ١٨٩

ومقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٣٤.

(٢) مقتل الحسين للمقرم ص ٢١٦ عن الطبري ج ٦ ص ٢٢٩ وكامل ابن الأثير ج ٤

سابعاً: تعلقه بالمبدأ الأعلى:

وهنا يتجلى الاتصال بالله تعالى وتقدس، وهذا سر السر، وموطن الفخر والنصر، فنلاحظ في تصرفات هذا العظيم الإلهي صوراً لا يطيقها بشر في مثل شؤونه وشجونه.

فسخاؤه بنفسه العزيزة، وقلذات أكباده، وأعز إخوانه، وإشراقه وجهه كلما اشتد الخطب، أو عظمت النازلة، وعشقه لصلاته، وانقطاعه في مناجاة محبوبه، وتوكله على ربه في كفالة عياله، وتسليحه بدعواته المستجابة عاجلاً وأجلاً، قريباً وبعيداً، إلى معانٍ وألوانٍ وصورٍ وأشكالٍ، يترجم سرها انقطاعه إلى الله، فهو غاية الغاية، بل لا غاية إلا هو.

تركتُ الخلقَ طراً في هواكا وأيتمتُ العيالَ لكي أراكا
فلو قطعني في الحبِّ إرباً لما مالَ الفؤادُ إلى سواكا
وسأعرض من تلکم الآثار والشواهد والدلائل.

١- الإمام يعشق الصلاة والدعاء

أ- وأعلم العباس أخاه أبا عبد الله بما عليه القوم فقال عليه السلام: ارجع إليهم، واستمهلهم هذه العشية إلى غد، لعلنا نصلي لربنا الليلة، وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أني أحب الصلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار^(١).

ب- ولما نظر الحسين عليه السلام إلى جمعهم كأنه السيل، رفع يديه بالدعاء وقال: اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من هم يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك وشكوته إليك، رغبة مني إليك عمّن سواك، فكشفته، وفرجته، فأنت ولي كل نعمة، ومنتهى كل

(١) مقتل المقوم ص ٢٥٤ عن الطبري ج ٦ ص ٣٣٧.

رغبة^(١).

٢- الله يستجيب لوليه عاجلاً:

أ- صاح عبد الله (وهو عدو الله) أفيكم حسين؟ وفي الثالثة قال أصحاب الحسين: هذا الحسين فما تريد منه؟ قال: يا حسين أبشر بالنار، قال الحسين: كذبت، بل أقدم على رب غفور كريم مطاع شفيع، فمن أنت؟ قال: أنا ابن حوزة، فرفع الحسين يديه حتى بان بياض إبطيه، وقال: اللهم حزه إلى النار، فغضب ابن حوزة، وأقحم الفرس إليه، وكان بينهما نمر، فسقط عنها، وعلقت قدمه بالركاب، وجالت به الفرس، وانقطعت قدمه وساقه وفخذه، وبقي جانبه الآخر معلقاً بالركاب، وأخذت الفرس تضرب كل حجر وشجر، وألقته في النار المشتعلة في الخندق، فاحترق بها ومات، فخر الحسين ساجداً شاكراً على إجابة دعائه^(٢).

ب- الله يفضح عدو الحسين عاجلاً بدعائه.

تضرع إلى ربه وقال: اللهم إنا أهل بيت نبيك وذريته وقرابته، فاقصم من ظلمنا، وغصبنا حقنا إنك تسمع قريب، فقال له محمد بن الأشعث: أي قرابة بينك وبين محمد؟ فقال الحسين:

اللهم إن محمد بن الأشعث يقول: ليس بيني وبين محمد قرابة، اللهم أرني فيه هذا اليوم ذلاً عاجلاً.

فاستجاب الله دعائه فخرج محمد بن الأشعث من العسكر ونزل عن فرسه لحاجته وإذا بعقرب أسود يضربه ضربة تركته متلوثاً في ثيابه مما به ومات بادي العورة^(٣).

ج- دعاء وإنباء عن الغيب:

(١) مقتل المرقم ص ٢٧٢ عن ابن الأثير في الكامل ج ٤ ص ٢٥ وتاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٣٣ وغيرهما.

(٢) المرقم ص ٢٧٧ عن الكامل ابن الأثير ج ٤ ص ٢٧.

(٣) المرقم ص ٢٧٨ عن مقتل الخوارزمي ج ١ ص ٢٤٩ ومقتل الحسين للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ص ١٧.

وبعد إنهائه (سلام الله عليه) خطبته الثانية، رفع يديه نحو السماء وقال:
اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف،
وسلط عليهم غلام ثقيف، يسقيهم كأساً مصبرة، فإنهم كذبونا وخذلونا
وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك المصير^(١).

والله لا يدع أحداً منهم إلا انتقم لي منه، قتلة بقتله، وضربة بضربة،
وإنه لينتصر لي، ولأهل بيتي وأشياعي^(٢).

د- يبتهل إلى ربه للانتقام من قائد جيش الضلال عمر.

- اجتمع الإمام مع عمر بن سعد ليلاً، وبعد النصح، وقطع الحجج
والمعاذير، أيس الحسين من إذعائه وإيمانه، فقام وهو يقول: مالك ذبحك الله
على فراشك عاجلاً، ولا غفر لك يوم حشرك، فوالله إني لأرجو أن لا تأكل
من بر العراق إلا يسيراً، قال ابن سعد مستهزئاً: في الشعر كفاية^(٣).

- لما برز قلب الحسين وروحه مجله البطل علي الأكبر، لم يتمالك أبوه
الحسين ~~الطيب~~ دون أن أرخى عينيه بالدموع وصاح بعمر ابن سعد: مالك؟
قطع الله رحمك كما قطعت رحمتي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله ~~صلى الله عليه وآله~~
وسلط عليك من يذبحك على فراشك^(٤).

ثم دعا عليهم الإمام دعاءً شاملاً^(٥).

(١) المقدم ص ٢٨٣ عن اللهوف ص ٥٦ والخوازمي ج ٢ ص ٧.

(٢) المقدم ص ٢٨٣ عن مقتل العوالم ص ٨٤.

(٣) مقتل المقدم ص ٢٤٥ عن تظلم الزهراء ص ١٠٣ ومقتل الخوارزمي ج ١
ص ٢٤٥.

(٤) مقتل المقدم ص ٣١١ عن مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٣٠.

(٥) مقتل المقدم ص ٣١٢ عن مقتل الخوارزمي.

ويقول العلامة القرشي: وأما الخبيث الدنس عمر بن سعد فقد قبح في بيته فزعاً
مرعوباً وهو يزج بالشخصيات للتوسط لدى المختار في أخذ الأمان له والعفر
عنه.

ويقول أيضاً: لقد أربع المختار قلوب المجرمين من قتلة الإمام حتى زلزلت الأرض
تحت أقدامهم واجتاحتهم موجات عاتية من الخوف والإرهاب فلم يهنا أحد

٣- موقفه في مقتل ابنه عبد الله الرضيع:

يقتل، وهو بين يدي أبيه، بسهم رماه حرملة بن كاهل، فيتلقى الدم بكفه، فيرمي به نحو السماء ويقول: هوّن ما نزل بي أنه بعين الله، اللهم لا يكون أهون عليك من فصيل... إلخ^(١). وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: فلم تسقط منه قطرة^(٢).

٤- حجر وسهم على الجبهة وفي القلب:

ولما ضعف عن القتال وقف ليستريح، فرماه رجل بحجر على جبهته، فسال الدم على وجهه، فأخذ الثوب ليمسح الدم عن عينيه، فرماه آخر

منهم بعيش فقد خيم عليهم شبح الموت، وأسرع المختار إلى تنفيذ حكم الإعدام بكل من اشترك في قتل ريحانة رسول الله ﷺ، فقد جهد على الانتقام منهم وتطهير الأرض من أولئك الأرجاس، وقد قتل منهم فيما يقول الطبري في يوم واحد مائتين وثمانين رجلاً، ولم يفلت أحد من قادتهم وزعمائهم، فقتل المجرم الحبيث عبيد الله بن زياد، وعمر بن سعد مع ولده حفص وقتل الأبرص شمر بن ذي الجوشن، ورميت بجيفته إلى الكلاب، وقتل قيس بن الأشعث والحصين بن نمير، وشبث بن ربعي وغيرهم.

وقد استجاب الله دعوة الإمام العظيم في أولئك السفكة المجرمين فقتلهم قتلة بقتلة، وسقاهم كأساً مصبرة، وانتقم منهم كأشد ما يكون الانتقام، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.

ويقول الزهري: لم يبق من قتلة الحسين أحد إلا عوقب في الدنيا إما بالقتل أو العمى أو سواد الوجه أو زوال الملك في مدة يسيرة.

لقد حققت عليهم كلمة العذاب في الدنيا، وهم في نار جهنم خالدون لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون.

حياة الإمام الحسين ج ٣ ص ٤٥٦ عن تاريخ الطبري، وتاريخ ابن الأثير والأخبار الطوال، وجواهر المطالب.

(١) مقتل المرقم ص ٣٣١ عن اللهوف، والبحار والمناقب والبداية، وأخبار الدول، والحوارزمي.

(٢) المصدر نفسه ص ٣٣٣.

بسهم محدد له ثلاث شعب وقع على قلبه فقال: بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، ورفع رأسه إلى السماء، وقال: إلهي إنك تعلم أنهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيري، ثم أخرج السهم من قفاه وانبعث الدم كالميزاب، فوضع يده تحت الجرح، فلما امتلأت رمى به نحو السماء وقال: هون علي ما نزل بي أنه بعين الله، فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض، ثم وضعها ثانياً فلما امتلأت لطخ به رأسه ووجهه ولحيته وقال: هكذا أكون حتى ألقى الله وجددي رسول الله ﷺ وأنا مخضب بدمي وأقول: يا جد قتلي فلان وفلان^(١).

٥- الانقطاع إلى الله:

ولما اشتد به الحال رفع طرفه إلى السماء وقال: اللهم متعال المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال، غني عن الخلايق، عريض الكبرياء، قادر على ما نشاء، قريب الرحمة، صادق الوعد، منابع النعمة، حسن البلاء، قريب إذا دعيت، محيط بما خلقت، قابل التوبة لمن تاب إليك، قادر على ما أردت، تدرك ما طلبت، شكور إذا شكرت، ذكور إذا ذكرت، أدعوك محتاجاً، وأرغب إليك فقيراً، وأفزع إليك خائفاً، وأبكي مكروباً، وأستعين بك ضعيفاً وأتوكل عليك كافياً.

اللهم احكم بيننا وبين قومنا، فإهم غرونا وخذلونا وغدروا بنا وقتلونا، ونحن عترة نبيك، وولد حبيبك محمد ﷺ الذي اصطفيته بالرسالة وائتمنته على الوحي، فاجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً، يا أرحم الراحمين،

(١) مقتل المقرم ص ٣٤٠ عن مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٣٤ واللهوف ص ٧٠ ولا يخلو من التناسب بين رمي الإمام بدماء ولده الزاكية ودمه الطاهر وتكرر منه ذلك. وبين حمرة السماء والأفاق التي لم تر إلا بعد مصرعه الدامي:

من دمه الزاكي رمى نحو السما فما أجل لطفه وأعظما

لو كان لم يرم به إليها لساخت الأرض بمن عليها

فاهمرت السماء من فيض دمه وبل من الله لهم من نعمه

من أرجوزة الشيخ الأصفهاني رحمته.

صبراً على قضائك، يا رب لا إله سواك، يا غياث المستغيثين، مالي رب
سواك، ولا معبود غيرك، صبراً على حكمك، يا غياث من لا غياث له، يا
دائماً لا نفاذ له، يا محيي الموتى، يا قائماً على كل نفس بما كسبت، احكم
بيني وبينهم وأنت خير الحاكمين^(١).



مركز تحقيقات كميوتير علوم إسلامي

(١) مقتل المقرم ص ٣٤٥ عن (مصباح المتهجد) و(الإقبال) وعنهما في (مزار البحار)
ص ١٠٧ باب زيارته يوم ولادته.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

لا يوم كيومك يا أبا عبد الله (١)؛

ولقد تجلّى في ذلك اليوم الرهيب والموقف العصيب من هو الحسين ولا غلّو ولا جزاف لو عرفناه بأنه الذي لا يرقى لساحة قدسه تعريف ولا يبلغ كنه ذاته إدراك.

ولسنا نعني بهذا الخروج به من عالم الإنسان، كلاً، وإنما نهدف أنه حيّر الألباب والعقول، فقد كشف عن التفاني الصادق والتعلق الأكيد بالله.

تركتُ الخلق طراً في هواكا وأيتمتُ العيالَ لكي أراكا
فلو قطعني في الحبِّ إرباً لما مالَ الفؤادُ إلى سواكا

والكثير من القائمين بالقضايا الكبيرة والدعاوى العريضة يزجون بالاتباع والأشباع زجاً في معامع المعارك ومواطن المهالك، يلجثونهم إلى العطب ويلتجثون إلى السلامة والعافية.

أما رجل الشهامة وبطل الموقف وأبي الضيم وحمي النمار فقد كان سرح أصحابه وأهل بيته وقال فيما قال: *يا رسول الله*
"هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً".

وتمثلت هذه النفسية الفدائية الشريفة التي تضحي في سبيل ما تؤمن به من مبادئ بتقدم أعز من في الوجود على قلبه، بثمرة فؤاده ونور عينه، بابنه علي الأكبر - والفتى سر أبيه - فيتقدم لساحات القتال وبيارك له أبوه ذلك، بل كان أول قتيل من نسل خير سليل. هذا ولم تسخُ نفسه - وهو الكريم - بتقدم إخوانه، فالعباس وهو البطل العظيم لمجل علي وشبلة المستميت في سبيل الحق يحتفظ به أخوه ويؤجل دوره في خوض المعركة.

وهذه نماذج تحكي علو الهمة وعزة النفس كاشفة عن بعض أسرار هذه الشخصية النادرة المثال العزيزة الوجود.

(١) كلمة لأخيه الإمام الحسن المجتبي عليه السلام.

وما عسى الباحث، أن يعدد من مواقف ويسطر من مشاهد وشواهد:
 ١- فقد تجلّى صبره الذي لا يوازن ولا يقارن، وأي قلب كان يحمله
 أبو عبد الله، فها هو يرى الدنيا وقد وقفت جيشاً أمامه تسعى للفتك به
 بكل ما تملك من حول وطول يسعّر نارها الجهاز الحاكم ويؤججها الملك
 القائم.

مِلءُ القِفَارِ عَلَى ابْنِ فَلَطْمَةَ جَنَدٌ وَمِلءُ قُلُوبِهِمْ ذُحُلُ
 بِجِحَافِ لِبَالِ الطِّفْلِ أَوْلَهَا وَأَخِيرُهَا بِالشَّمَامِ مَتَّصِلُ

هذا ومع الحسين ثقل النبوة مخدرات علي و فاطمة وفروع الدوحة
 الهاشمية، وفيهم من أعياه المرض وأبلاء السقم، والعطش قد فتك بالجميع،
 وكل آن يقبل عليهن الحسين يصحن في وجهه مشفقات على الحامي
 والراعي خائفات من مستقبل الأيام السود، ومع كل ذلك فالحسين يقدم
 الفداء إثر الفداء ويُتبع شهيداً بشهيد، ولا يزيده ذلك إلا ثقةً وصبراً وقوةً
 وعزيمة ومضاءً.

وصفه صحفي المعركة حميد بن مسلم بقوله:

«مارأيت مثكولاً قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً،
 ولا أمضى جناحاً ولا أجراً مقدماً منه، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله، وأن
 كانت الرجالة لتشد عليه فيشد عليها بسيفه فتتكشف عن يمينه وعن شماله
 انكشاف المعزى إن شدّ فيها الذئب، ولقد كان يحمل فيهم وقد تكملوا
 ثلاثين ألفاً... إلخ»^(١).

٢- وتجلّى في شففته على الواثبين عليه شذاذ الآفاق المسوخين
 فيأسف ويبكي ويقول بأنهم يدخلون النار بسبب حرهم له وقتلهم إياه.

٣- فإذا به (سلام الله عليه) يسعى جاهداً بكل سبيل في إرجاعهم إلى
 الصواب وتذكيرهم بالله وبأيام الله، وزجرهم وحذرهم وخيم العواقب وما
 يجرون إلى أنفسهم من ويلات، ولكن الشيطان قد طبع على قلوبهم وأنساهم

(١) عن الإرشاد ص ٢٢٦.

ذكر الله. وكانت هذه ونظائرها مظاهر شخصيته وشعار عظمته ومبرزات ملكات نفسه ولباب الفضائل ومجمع الكمالات التي حاكى فيها جده رسول الله وأباه ولي الله، وهي التي عاد بها الحسين حسيناً.

والشيء إلى مثله أميل، ولم يعدم الحسين من الأحرار أنصاراً، فالصفوة الذين اتبعوه وكانوا معه خيرة من في الأرض وكأنما اجتمعوا على سابق تخطيط وميعاد، أجل لم تجمعهم صدفة أو صحبة طريق، بل هي الروح الخيرة والنفوس الطيبة، والأرواح المباركة هي السلك الجامع، وهو الذي أوجب في قلوبهم التجاذب والتحابب، والحسين فيهم روح الروح وسر السر مهوى الأفتدة وملتقى الأخيار.

وقد ظهرت فيهم الشهامة والنخوة ومظاهر الشرف والإنسانية من علو الهمة وبذل النفس من أجل المبادئ والقيم ونصرة الحق، والدنيا حلوة في كل عين، أما هؤلاء فقد قدموا دين الحسين وفضلوا الجهاد معه وسفك المهج وخوض اللجج، والشهادة الكريمة على الدنيا الزائفة ومتعتها المؤقتة الزائلة.

مركز تحقيق كويت علوم إسلامية

جادوا بأنفسهم من دون سيدهم والجود بالنفس أقصى غاية الجود أعذروا وأنذروا وخطبوا وطلبوا وأبرزوا كوا من نفوسهم وما في مكامن نفسياتهم، وما أروع ما أوثر عنهم، فكانوا يتواصلون بنصرة الإمام والاستماتة دونه ويتسابقون لحمايته ووقايته والذب عنه وعن حرم الله ورسوله.

يتسابقون إلى المنية دونه فكأنما هي عادة معطار

أدركوا بالحسين أعظم عيد فغدوا في ربى الطفوف أصحابي وقد مجدهم قائدهم الإمام قائلاً: «إني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني

جميعاً خيراً»^(١).

وسجلت لهم الذكر الخالد زيارة الأئمة عليهم السلام لهم، فهم خالدون سعداء أحياء عند ربهم، مرزوقون فرحون بما آتاهم الله، ونالوا بذلك فضلاً على الشهداء، فلا شهادة ترقى لرفيع شهادتهم.

وماذا عن عمر بن سعد وأنصاره؟

نعم، هذا هو الحسين، وهذا ثقله المبارك الذي يحوطه، وهذه الصفوة أعوانه وأنصاره مع قلة العدد وخذلان الناصر، وقد وقف بهم ومعهم صفاً قبالة جيش الضلال والشرك ممن باع الآخرة بالثمن البخس ورضي بالذل والهوان في الدنيا، ذلك هو الخسران المبين.

وإن الطيور على أشكالها تقع، فقائد الجيش والمقود وهذا الحشد من الرعاع ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٢). ألا تسمع لقائد هذا اللجب الأعمى وقد ملكه حب الدنيا واشتراه الشيطان بثمنه فنضح إناءه بما فيه:

أترك ملك الري والري مني
أم ارجع مأثوماً بقتل حسين
وفي قتله النار التي ليس دوها
حجاب وملك الري قرّة عيني^(٣)

ويوم فوق السهم قائلاً: إشهدوا لي عند الأمير أبي أول من رمى، ويوم أدار حركة الجموع الضالة لحرب ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وما قام به من ممارسات كشفت عن عدم إنسانيته وفقدان الضمير وانعدام الوجدان.

وقد أعذر له الإمام الحسين عليه السلام حين أبان له الحق وأظهر له واقع

(١) الطبري ج ٥ ص ٤١٨.

(٢) سورة الفرقان: آية ٤٤.

(٣) وقد جاءت الآيات بزيادة على ما ذكر مع اختلاف في بعض ألفاظها، لاحظ حياة الإمام الحسين للقرشي ج ٣ ص ١١٣ عن مصدره، ومنهاج الكرامة للعلامة الحلبي ص ٨٠.

الحال وأبطل أعذاره في إقدامه على حربه، وحين عرفه بأن الذي يرجوه فإنه لا يناله وأن ما يؤمله من دنيا فسوف لا يدركه وسوف لا يتمتع ببر العراق، فإذا به يظهر سخفه ونفسيته قائلاً: إن في الشعر غنى عن البر^(١).

وإذا كان هذا أمير الجيش فما بالكم بمن يكون تحت إمرته وإدارته، وقد طبع الله على قلوبهم فأنساهم ذكر الله، فلا يعرفون الله حرمة ولا لرسوله حقاً، فلم يحرك ضمائرهم - لو كانت لهم ضمائر - عطش الصبية وعويل الأطفال، ولم يرق لهم قلب بل اسودت قلوبهم ومسخت نفسياتهم، فلم يعودوا بشراً، فهل يأتي في تصور بشر أن لا يرحم طفلاً رضيعاً إلا بتصويب سهم يذبحه من الوريد إلى الوريد، وهو ابن لرسول الله صلى الله عليه وآله؟ وآخر ينادي: عليّ بقبس من نار لأحرق به خيام الحسين، وثالث يخاطب الإمام: صل إن نفعتك الصلاة، وإذا بأعداد الجيش الهائلة وفي نهاية المأساة الدامية تمتلكها الدناءة والحقارة وفقدان الوجدان، فتعمدوا على خيم الحسين، فتهتك الحرمات وتسبي الذرية وتعالج حتى خلاخيل الأطفال وأقراطهن، وتأخذ ما عليهن من ملاحف وملاحف.

وقد يدرك بعضهم من فظاعة الموقف شيء من الرقة فتقول له الطفلة المسبية: يا ظالم كيف تسلبني وأنت تبكي، فيقول الجلف: كيف لا أبكي وأنت ابنة رسول الله وإذا لم أسلبك أنا فسيأتي آخر يفوز بالسلب.

وهكذا فواجع وفظايح لا يحيط بها الفكر ولا يقدر القلم على تسطير ما يعلم منها^(٢).

(١) حياة الإمام الحسين للقرشي ج ٣ ص ١٣٤ عن البداية والنهاية ١٧٥/٨ وقد جاء فيها: إن في الشعر كفاية.

(٢) اقرأ عن هذه الكوارث كتب السير والأخبار: الطبري وابن الأثير، ومثير الأحزان لابن نما، والدمعة الساكنة، وأمالي الصدوق، وسير أعلام النبلاء ورياض المصائب، وتظلم الزهراء، عن المرقم ص ٣٦٩... إلخ. وكذلك علما كتب المقتل.

مصراع الحسين :

فقد جلت مصيبتة وعظمت رزيبته، إذ بقي ربحانة المصطفى وسيد شباب أهل الجنة إمام الأمة وحيداً مفرداً لا ناصر له ولا معين، قد كفه الظماً وأجهدته البلاء ومعه عقائل الوحي وودائع الرسالة، تتقطع أكبادهن، وتزهق كل آن أرواحهن، وبينهن البطلة العظيمة، وارثة علي وطلحة نصبرهن على ما هو أشد من الموت، وبين يديها ابن الحسين الإمام المشكول الجهد تعلله وتمرضه، والحسين بينهن يرى دموعهن ويسمع ضجيجهن، فيسكت طفلة، ويسلي كبيرة، ويعزي أخرى، ويحكي لمن ما سيجري عليهن من الدواهي والكربات، هذا وأمامه جيش جرار يزحف عليه مفرداً لا تأخذهم عليه شفقة ولا تدركهم رقة، فمنعوه من شرب ماء تكرر فيه الكلاب والخنازير - وهم من جملتهم - بل صوبت أحقادهم السهام تلو السهام إلى حنكه الشريف مرة، وأخرى إلى جبينه الأغر بحجر أبي الحتوف، وثالثة يوجه إليه سهم مثلث يعالج نزعته فلا يستخرجه إلا وقد أخرج معه ثلثي كبده، فيا لرزه الحسين وصبره (١).

ومهما تعظمت الخطوب واشتدت المحن فالحسين لا يزداد إلا صبراً وصلابة واستماتة في سبيل الحق وثقة بالله وتوكلاً عليه مقدياً دينه لله كريماً به قائلاً: بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، ولسان حاله يقول:

إِنْ كَانَ دِينَ مُحَمَّدٍ لَمْ يَسْتَقِمْ إِلَّا بِقَتْلِي يَا سَيُوفُ خُذْنِي
فَأَخَذْتَهُ سَيُوفُهُمْ وَتَنَاوَلْتَهُ رِمَاحُهُمْ وَصَارَ جِسْمَهُ الشَّرِيفُ غَرَضاً
لِحِجَارَتِهِمْ وَمَرَمَى لِسَهَامِهِمْ وَلَمْ يَقْرَأْ عَلَيْهِ مِنْ بَاقِيَةٍ.

حتى وقع عليه من الرزء ما هزّ عرش الجليل (جلّ وعلا)، فأكبه شمر على وجهه، ورفسه بنعله، واحتز رأسه، وكان كلما قطع منه ودجاً من أوداجه وهبره ذكر الله وتللى وجهه الكريم حتى صنع اللثيم ما صنع، فاحتز

(١) فوجّهوا نحوه بالحرب أربعة السهم والسيف والخطي والحجرا
للشيخ محمد رضا الشبيبي (تأريخ من دفن في العراق ص ١٤٩).

رأس الحسين بكل بشاعة وفظاعة، فإننا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وسيعلم الذين ظلموا محمداً وآل محمد أي منقلب ينقلبون.

ولم يشف صدور أعدائه ما صنعوا به، فإذا بابن سعد (لعنه الله) ينتدب من يوطئ الخيل صدره ونحره، فأحميت له في الميدان عشرة خيول، فرضضن وطحن ضلوعه ووزعن أوصاله.

وأما شريكة الحسين في مصائبه ومحنة فخرجت وأخواتها ونساء الحسين، فرأين البدن السليب واليدين المقطوعتين والخنصر المبتور، رأين ما لا يقوى على رؤيته عدو، فكيف بيناته وأخوانه ورحمه؟ فلم يملكن أنفسهن من عظم المصاب وقد دهشن.

فأقبلن ربات الحجال وللأسى تفاصيل لا يُحصي هن مفصل
فواحدة تحنو عليه تضمه وأخرى عليه بالرداء تظلل
وأخرى بفيض النحر تصبغ وجهها وأخرى تفتديه وأخرى تُقبل
وأخرى على خوف تلوذ بجنبه وأخرى لما قد نالها ليس تعقل
وأخرى دهاها فادح الخطب بغتة فأذهلها والخطب يدهي ويذهل
وجاءت لشمر زينب ابنة فاطم نعتفه عن فعله وتعذل
تدافعه بالكف طوراً وتارة إليه بطه جلدتها تتوسل
أيا شمر هذا حجة الله في الوري أعد نظراً يا شمر إن كنت تعقل^(١)

فلم يقر لآل النبي قرار، فأطفال لا حامي لهم ولا كفيل، ونساء لا والي ولا معيل، وعليل يعالج الموت، واستولى على الجميع الذهول.

أما أعداء الحسين فقد هان عليهم بعد مصرع الحسين والتمثيل به كل صعب، فبادروا إلى الخيام فأشعلوا فيها ناراً، فتفارت الصبية ومضت على وجهها وسلبوا النساء وألقوا علي بن الحسين على حرّ وجهه - رغم

(١) لشاعر أهل البيت الحاج هاشم الكعبي (رضوان الله عليه).

ما يكابده- وزينب (سلام الله عليها) ترعى الإمام وتعالجه وتقصده المعركة لترى بعض آل الحسين وقد أكببن على الجسد السليب وأطفالاً هاموا ولا يدرون من هول المصاب ما هم صانعون فله قلبها وصلابتها وعظمتها.

ولا عجب من غرس علي وتربية الزهراء وهي في أحلك الظروف وأشد المحن وأفجع الكرب لا يشغلها المصاب وإن جل، والخطب وإن عظم، عن التوجه إلى رها، فتصلي لرها تلك الليلة صلاة الليل، ولكن الهول والجوع والعطش أقعدنما فصلت من جلوس. الله أنت يا ابنة علي وطلمة.

وعمقامها أقسم الله أن القلم ليكل والبيان ليتعثر في أن يسطر أو يحرر ما جرى بل لا يطيق العقل تصور ما حل بساحة بيت النبوة.

قضية إن أردت أكتبها
جرت دموعي فحال حائلها
مجملة ذكراً لمذكر
ما بين لحظ الجفون والزبر
وقال قلبي بقياً علي فلا
والله ما قد طبعت من حجر
بكت لها الأرض والسما
وما بينهما في مدام حر^(١)

(١) مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي ص ١٩١. وهي للشيخ السماوي الشهير ^(عليه السلام) كما ذكر ذلك الخطيب السيد جواد شبر في أدب الطف ج ١٠ ص ٢٤، وقد جاء صدر البيت الأول (فاجعة) بدلاً من قضية.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ
 إِلَّا بِرَحْمَةِ رَبِّنَا الَّذِي لَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ تُنْفَخُ
 السَّمَاوَاتُ كَالسَّمَانِ أَمْثَلًا فَتَنصَلُّونَ وَأَنْتُمْ
 عَنْهَا مُعْرِضُونَ
 وَمَنْ يَعْصِ أَمْرًا
 مِنْ أَمْرِ اللَّهِ
 وَأَطِيعُوا
 أَمْرًا مِنْ
 أَمْرِ رَبِّكُمْ
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ
 الَّذِي هَدَانَا
 لِهَذَا وَمَا
 كُنَّا لِنَشْكُرَهُ
 إِلَّا بِرَحْمَةِ
 رَبِّنَا الَّذِي
 لَهُ الْمُلْكُ
 يَوْمَ تُنْفَخُ
 السَّمَاوَاتُ
 كَالسَّمَانِ
 أَمْثَلًا
 فَتَنصَلُّونَ
 وَأَنْتُمْ عَنْهَا
 مُعْرِضُونَ



مركز بحوث ودراسات في التعليم الإسلامي

ما قبل الشهادة

ما بعد الشهادة



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

١ - ما قبل الشهادة:

يقف الباحث فيما يتصل بأمر الحسين عليه السلام على الغريب حقاً، والمخير جداً، والسر الغيبي واقعاً.

فقد أحيط أمره (صلوات الله على روحه الطيبة) بما يكمل الفكر عن إدراكه مهما أغرق نزعاً في البحث والاستنتاج.

ولا يظن أنها نظرة عاشق مستهام، ملك البطل الفذ عليه مشاعره، فلم يجد له من عالم الشهادة شبيهاً، فارتفع به إلى عالم الغيب والأسرار، حيث الخيال والتجرد.

كلا، وإنما هو الواقع الحي من الزمان والمكان، والأحداث الجارية فيهما دلائل وعلامات على ما نعتناه به من السر المكنون، والحقيقة الخفية، ولئلا لمخلق في عالم الغيب، ونحوم في الخيال، فلنسترح إلى التراث الماثور، وما تناقلته أقلام الحفاظ وحملة التاريخ والرواية في هذه المجالات الواسعة البعيدة.

الآيات المأولة بشهادته: مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم إسلامي

عقد العلامة ثقة الإسلام وحجته الشيخ المجلسي (طيب الله ثراه) فصلاً في بحار أنواره في الآيات المأولة لشهادته (صلوات الله عليه) وأنه يطلب الله بثأره (ج ٤٤ ص ٢١٧). واستعرض ذلك جملة من المفسرين وحملة الحديث، كتفسير علي بن إبراهيم القمي والعياشي، والصافي ونور الثقلين، والخصائص الحسينية وغيرها.

علم الأنبياء بشهادة الإمام عليه السلام ومواساتهم له:

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن إسماعيل كان رسولاً نبياً، سلط الله عليه قومه، ففكشروا جلدة وجهه، وفروة رأسه، فأتاه رسول من عند رب العالمين، فقال له: ربك بقرئك السلام ويقول: قد رأيت ما صنع بك، وقد

أمرني بطاعتك، فمرني بما شئت، فقال: يكون لي بالحسين **العلية** أسوة^(١).
حدثني من سمع كعباً يقول:

«أول من لعن قاتل الحسين بن علي **عليهما السلام** إبراهيم خليل الرحمن، لعنه وأمر ولده بذلك وأخذ عليهم العهد والميثاق، ثم لعنه موسى بن عمران، وأمر أمته بذلك، ثم لعنه داود، وأمر بني إسرائيل بذلك، ثم لعنه عيسى، وأكثر أن قال: يا بني إسرائيل العنوا قاتله، وإن أدركتم أيامه فلا تجلسوا عنه، فإن الشهيد معه كالشهيد مع الأنبياء مقبل غير مدبر، وكأني أنظر إلى بقعته، وما من نبي إلا وقد زار كربلا، ووقف عليها، وقال: إنك لبقعة كثيرة الخير، فيك يدفن القمر الأزهر»^(٢).

إخبار جده رسول الله **ﷺ** عن مقتله وتربته وإخبار جبرائيل وغيره من الملائكة للنبي بذلك:

وقد أورد آية الله الفقيه المتبحر السيد مرتضى الفيروزآبادي في فضائل الخمسة من الصحاح الستة ثماني عشرة رواية في هذا الباب وإليك واحدة منها:

(مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٣ ص ٢٤٢) روى بسنده عن أنس بن مالك: «إن ملك المطر استأذن ربه أن يأتي النبي **ﷺ** فأذن له، فقال لأم سلمة: إملكي علينا الباب لا يدخل علينا أحد، قال: وجاء الحسين **عليه السلام** ليدخل فمنعته، فوثب، فدخل، فجعل يقعد على ظهر النبي **ﷺ**: وعلى منكبه وعلى عاتقه قال: فقال الملك للنبي **ﷺ** أتجبه؟ قال: نعم، قال: أما إن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه، فضرب بيده فجاء بطينة حمراء فأخذتها أم سلمة فصرقتها في خمارها».

قال: قال ثابت -يعني أحد رواة الحديث- بلغنا أنها كربلاء (وأقول)

(١) وسائل الشيعة ج ٢ ص ٩٠٩، وفي الباب حديث آخر وروى مثل ذلك آخرون عن أنبياء آخرين.

(٢) كامل الزيارات لابن قولويه ص ٦٧ وأورد في الباب الذي قبله وبعده روايات مناسبة.

ورواه في (ص ٢٦٥) أيضاً باختلاف سير، وذكره المحب الطبري أيضاً في ذخائره (ص ١٤٧) وقال: خرج البغوي في معجمه وخرجه أبو حاتم في صحيحه (انتهى)، وذكره المتقي أيضاً في (كنز العمال) (ج ٧ ص ١٠٦) وقال: أخرج أبو نعيم وذكره الهيثمي أيضاً في مجمعه (ج ٩ ص ١٨٧) وقال: أخرج أبو يعلى والبزار والطبراني بأسانيد^(١).

إخبار أبيه أمير المؤمنين عليه السلام:

١- أورد السيد الفيروزآبادي في هذا الباب ست روايات عن مسند الإمام أحمد بن حنبل (ج ١ ص ٨٥)، وأسد الغابة (ج ٤ ص ١٦٩) وكنز العمال (ج ٧ ص ١٠٦، و ص ١١٠)، والهيثمي في مجمعه (ج ٩ ص ١٩١) والصواعق المحرقة (ص ١١٥)^(٢).

أورد واحدة منها:

أسد الغابة (ج ٤ ص ١٦٩) في ترجمة غرفة الأزدي قال: روى عنه أبو صادق قال: وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ومن أصحاب الصفة، وهو الذي دعا له النبي صلى الله عليه وآله أن يبارك له في صفقته، قال:

”دخلني شك من شأن علي عليه السلام فخرجت معه على شاطئ الفرات فعدل عن الطريق ووقف ووقفنا حوله فقال بيده: هذا موضع رواحلهم ومناخ ركاهم ومهراق دعائمهم، بأبي من لا ناصر له في الأرض ولا في السماء إلا الله، فلما قتل الحسين عليه السلام خرجت حتى أتيت المكان الذي قتلوه فيه، فإذا هو كما قال ما أخطأ شيئاً، قال: فاستغفرت الله مما كان مني من الشك

(١) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٣ ص ٣٣٧ باب: (إن جبريل عليه السلام أخبر النبي صلى الله عليه وآله بقتل الحسين عليه السلام وأناه بتريته). وكتابه هذا يتمثل فيه التسبع الواسع والإطلاع العميق، فجدير بالباحثين الوقوف عليه فإنه سبر الصحاح الستة وغيرها من أمهات كتب الحديث وضبطها بعناية وأمانة، وكم لهذا السيد العظيم من فضل في البحث والتدقيق، أدام الله ظله ونفع الأمة بآثاره المباركة.

(٢) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٣ ص ٣٤٣.

وعلمت أن علياً عليه السلام لم يقدم إلا بما عهد إليه فيه^(١).

٢- قال ميمون: فحدثني شيبان بن محرم - وكان عثمانياً ييغض علياً - فأخبر أنه رجع مع علي من صفين قال: "فانتبهينا إلى موضع فقال: ما اسم هذا الموضع؟ فقالوا: كربلاء فقال: كرب وبلاء. ثم قعد على دابته وقال: يقتل هاهنا قوم أفضل شهداء على وجه الأرض إلا شهداء رسول الله، فقلت: هذه بعض كذباته ورب الكعبة، ثم قلت لغلامي: وثمت حمار ميت جثني برجل هذا الحمار فأتاني به فأوتدقما في المقعد الذي كان فيه قاعداً.

وضرب الدهر ضربة فلما قتل الحسين قلت لأصحابنا: انطلقوا ننظر، فانتبهينا إلى المكان فإذا جسد الحسين على رجل الحمار وإذا أصحابه ربضة حوله".

٣- وقال:

"وذكر شيخ الإسلام الحاكم الجشمي أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام لما سار إلى صفين نزل بكربلاء، وقال لابن عباس: أتدري ما هذه البقعة؟ قال: لا، قال: لو عرفتها لبكيت بكائي، ثم بكى بكاءً شديداً، ثم قال: ما لي ولآل أبي سفيان، ثم التفت إلى الحسين وقال: صبراً يا بني فقد لقي أبوك منهم مثل الذي تلقى بعده"^(٢).

خبر رأس الجالوت:

روى الطبري والبلاذري والطبراني وابن سعد - واللفظ للأول - عن رأس الجالوت عن أبيه قال: ما مررت بكربلاء إلا وأنا أركض دابتي حتى أخلف المكان قال: قلت: لم؟ قال كنا نتحدث أن ولد نبي مقتول في ذلك المكان، وكنت أخاف أن أكون أنا، فلما قتل الحسين قلنا: هذا الذي كنا

(١) تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساکر ج ٤ ص ٣٤٠ هذبته ورتبه الشيخ عبد القادر بدران ط الثانية، دار المسيرة - بيروت.

(٢) قادتنا كيف نعرفهم ج ٦ ص ٤٨ عن مقتل الحسين ج ١ ص ١٦٢.

نتحدث، وكنت بعد ذلك إذا مررت بذلك المكان أسير ولا أركض^(١)

حديث الإمام الحسن عليه السلام:

دخل عليه عليه السلام عائداً أخوه سيد الشهداء عليه السلام فلما نظر إلى ما يعانيه من ألم السم غامت عيناه بالدموع، فنظر إليه الحسن فقال له:

- ما يبكيك يا أبا عبد الله؟

- أبكي لما صنع بك.

فقال له الإمام الحسن: «إن الذي أوتي إلي سم أقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله وقد ازدلف إليك ثلاثون ألفاً يدعون أنهم من أمة جدك محمد صلى الله عليه وآله وينتحلون دين الإسلام، فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسبي ذراريك ونسائك وانتهاك ثقلك»^(٢).

معرفة جملة من الناس بأن عمر بن سعد هو قاتل الإمام عليه السلام:

أورد السيد مرتضى الفيروز آبادي في باب (فيما جاء في ذم يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد وشمس بن ذي الجوشن) اثنتي عشرة رواية منها هذه الرواية:

(تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٥١) في ترجمة عمر بن سعد بن أبي وقاص قال: قال الحميري: حدثنا سفيان عن سالم قال: قال عمر بن سعد للحسين عليه السلام: إن قوماً من السفهاء يزعمون أنني أقتلك، فقال حسين عليه السلام: ليسوا سفهاء. ثم قال: والله إنك لا تأكل بر العراق بعدي إلا قليلاً^(٣)

(١) معالم المدرستين ج ٣ ص ٢٦ عن عدة مصادر.

(٢) حياة الإمام الحسن للقرشي ج ٢ ص ٤٨٤ بتصرف عن البحار.

(٣) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٣ ص ٣٩٠. وقد ذكرها شيخ الأمة المفيد في الإرشاد، وذكر أيضاً أن عبد الله بن شريك العامري روى قائلًا: كنت أسمع أصحاب علي عليه السلام إذا دخل عمر بن سعد من باب المسجد يقولون: هذا قاتل الحسين بن علي عليه السلام وذلك قبل أن يقتل بزمان، ص ٢٥١. وروى المتبع

الإمام الحسين عليه السلام كان عالماً بأمرة:

فقد كان على بصيرة من أمره وبينه من شأنه، وللحديث عن ذلك مجال آخر، وأكتفي هنا بذكر شاهد واحد وهو خطبته في مكة المكرمة قبل توجهه إلى العراق:

الحمد لله وما شاء الله ولا قوة إلا بالله، خط الموت على ولد آدم مخطط القلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لآقيه، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا، فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأحوية سغباً، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت نصير على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله لحمته وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقر بهم عينه وينجز بهم وعده، من كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا فإني راحل مصححاً إن شاء الله^(١).

٢- ما بعد الشهادة: كميتر صوم رسيدي

ويتكرر السر المحير بعد مصرع سيد الشهداء، كما كان قبل ولادته، مما وقفت على شيء منه أول هذا الفصل، وحقاً إن ذلك لسر غيبي خاص، خرج عن المألوف والمعروف، وعاد حجة دامغة للأولياء على الأعداء، ولم يقدر الأعداء له دفعاً ولا منعاً، ويقف على سر هذا السر الجميع، ممن شارك في إيقاد تلك الملحمة الدامية، ومارس في إسماعها، وإذا بالعقوبة، والسخط الإلهي، والتغير الكوني الرهيب والغريب يعم الأمة، فتتعرف منه خسران صفقتها لسفكها دم ابن رسول الله، ودماء أهل بيته الأبرار، وتتعرف منه أحقية ومظلومية آل بيت محمد.

والأرقام من الشواهد والمشاهد جمة تفوق الإحصاء، وأكتفي بعرض

الشيخ القمي في سفينة بحاره ج ٢ ص ٢٦٩ وأورد أيضاً إخبار أمير المؤمنين عليه السلام عنه بأنه يقتل الحسين عليه السلام.

(١) معالم المدرستين ج ٣ ص ٦١ عن اللهوف ومثير الأحزان والخطبة مشهورة ذاتعة.

صور متنوعة، وقعت ابتداء من مصرعه الدامي، وامتداداً في فترة طويلة، وفي أماكن عدة.

انتقام الله من الأعداء القتلة؛

١ - عبيد الله بن زياد:

قال حاجبه: دخلت القصر خلف عبيد الله بن زياد حين قتل الحسين فاضطرم في وجهه نار، فقال هكذا بكمه على وجهه، فقال: هل رأيت؟ قلت: نعم، فأمرني أن أكتم ذلك^(١).

٢ - عبد الله بن أبي الحصين الأزدي:

قال للإمام: يا حسين ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء، والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً. فقال حسين: اللهم اقتله عطشاً، ولا تغفر له أبداً، قال حميد بن مسلم: والله لعذته بعد ذلك في مرضه، فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيت يشرب حتى يغر - شرب بلا ري - ثم يقيء، ثم يعود فيشرب حتى ييغر، فما يروى، فما زال ذلك دأبه حتى لفظ عصبه، يعني نفسه^(٢).

٣ - مالك بن النسر:

شتم الإمام، وعلاه بالسيف فرمقه الإمام بطرفه، ودعا عليه قتلًا: لا أكلت بيمينك ولا شربت، وحشرك الله مع الظالمين، فألقى الإمام البرنس، واعتم بالقلنسوة، فأسرع الباغي فأخذ البرنس، وقد شلت يده^(٣)، ولم يزل فقيراً^(٤).

٤ - بحر بن كعب:

(١) الحسين والسنة للسيد عبدالعزیز الطباطبائي ص ١٣٠.

(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٤١٢.

(٣) حياة الإمام الحسين للقرشي ج ٥ ص ٢٨٧.

(٤) الحسين والسنة ص ٨٦.

فلما قتل الحسين أقبل بحر بن كعب فسلبه إياه - الثياب اليمانية - فكانت يداه في الشتاء تنضخان بالماء، وفي الصيف تيبسان كأنهما عود^(١).

كلام الرأس الشريف:

وتكررت هذه الكرامة المعبرة اللافتة، وقد عني بنظمها الشعراء وسأكتفي بموجز من ذلك.

١ - في الكوفة:

قال زيد بن أرقم: كنت في غرفة لي فمروا علي بالرأس، وهو يقرأ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾^(٢) فوقف شعري وقلت: والله يا ابن رسول الله رأسك أعجب وأعجب^(٣).

٢ - وفي الكوفة أيضاً موضع الصيارفة:

تنحنح الرأس تنحنحاً عالياً فاتجهت إليه الناس، واعترقم الدهشة حيث لم يسمعوا رأساً مقطوعاً ينحنح قبل يوم الحسين عليه السلام، فعندها قرأ سورة الكهف إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾^(٤)، ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾^(٥)، وتعدد حديث الرأس الشريف في الكوفة أكثر من ذلك^(٦).

(١) الطبري ج ٥ ص ٤٥١.

(٢) سورة الكهف: آية ٩.

(٣) مقتل الحسين للسيد المقرم ص ٤١٤ عن إرشاد الفيد، والخصائص الكبرى ج ٢ ص ١٢٥.

(٤) سورة الكهف: آية ١٣.

(٥) سورة نوح: آية ٢٤.

(٦) المصدر السابق عن الخصائص للسيوطي ج ٢ ص ١٤٧.

أقول: وقد أوردت في فصل (المنبر) حديث الرأس الشريف وجملة من الشعر المنظوم في ذلك، وللمناسبة أذكر شيئاً مما أورده السيد المقرم (رضوان الله عليه) في المقتل ص ٤١٦ من قصيدة السيد صالح بحر العلوم:

٣- وفي عاصمة بني أمية:

قال المنهال بن عمرو: رأيت رأس الحسين بدمشق على رمح، وأمامه رجل يقرأ سورة الكهف حتى إذا بلغ إلى قوله تعالى: (أَمْ حَسِبْتَ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا) نطق الرأس بلسان فصيح: أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحلمي^(١).

القارورة تفور دماً:

وفي ذلك روايات متضاربة وآثار ورؤى متآزرة ومنها:

عن أم سلمة قالت: كان الحسن والحسين عليهما السلام يلعبان بين يدي النبي صلى الله عليه وآله في بيتي فنزل جبرائيل عليه السلام فقال: يا محمد إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك! فأوماً بيده إلى الحسين، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وضمه إلى صدره ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ودبعة عندك هذه التربة، فشمها وقال: ويح كرب وبلاء، قالت: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أم سلمة إذا تحولت هذه التربة دماً فاعلمي أن ابني قد قتل.

مرآة تحتية كالميراث من رسول

قال: فجعلتها أم سلمة في قارورة ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول: إن تحولين دماً ليوم عظيم^(٢).

وتمت روايات أخرى أفادت إنباء أم سلمة وابن عباس عن مقتل الإمام بسبب ملاحظتهم لتلك القارورة، كما جاء في (تاريخ اليعقوبي) أن أم

ورأسك أم رأسُ الرسولِ على القنا	بأية أهل الكهفِ راحَ يردُّ
وصدرك أم مستودعُ العلم والحجى	لتحطيمه جيشٌ من الجهل يعمدُ
وأُمك أم (أم الكتاب) نتهدت	فذابَ نسيجاً قلبها المنتهدُ

(١) المصدر السابق.

(٢) الحسين والسنة ص ١٢٢ إلى ص ١٢٨. وهي من جملة ما جمعه السيد عبدالعزيز الطباطبائي من المعجم الكبير للطبراني المتوفى (٣٦٠هـ).

سلمة كانت أول صارخة في المدينة: واحسيناه وابن رسول الله^(١).

السماء تمطر دماً:

- ١ - عن أبي حصين قال: لما قتل الحسين مكثوا شهرين أو ثلاثة، وكأنما يبلطخ الحيطان بالدم من حين صلاة الغداة إلى طلوع الشمس^(٢).
- ٢ - عن سالم القاص قال: مطرنا أيام قتل الحسين دماً^(٣).
- ٣ - عن محمد بن سيرين قال: لم تر هذه الحمرة في آفاق السماء حتى قتل الحسين^(٤).

الأرض تفيض دماً:

عن ابن جريح عن ابن شهاب قال: ما رفع حجر بالشام يوم قتل الحسين إلا عن دم^(٥)، وثبت روايات متعددة الأسانيد متحدة المعنى^(٦).

حوادث كونية أخرى:

- ١ - عن ابن أبي قبيل قال: لما قتل الحسين بن علي ~~في~~ انكسفت الشمس كسفة حتى بدت الكواكب نصف النهار، حتى ظننا أنها هي^(٧).

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٤٥. والأحاديث مبثوثة في كتب الحديث ككامل

الزيارات، والبحار، وغيرهما من كتب السنة والشيعة.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري، وهي مما جمعه السيد الطباطبائي في كتابه (الحسين

والسنة) ص ٩٣، وقد حقق ترجمة الإمام الحسين مستقلة المحقق القدير الشيخ

محمد باقر المحمودي، وكذلك أورد هذه الروايات ونظائرهما الطبراني في معجمه

الكبير وقد جاءت في الحسين والسنة ص ١٣١... الخ.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) الحسين والسنة ص ١٠٥ من جملة ما في أنساب الأشراف.

(٦) الحسين والسنة ص ١٣١ و ص ١٣٨ من جملة ما في معجم الطبراني الكبير.

(٧) الحسين والسنة ص ١٣٢.

٢- بحذف الأسانيد قال: لما قتل الحسين عليه السلام مكثنا سبعة أيام إذا صلينا العصر نظرنا إلى الشمس على أطراف الحيطان كأنها الملاحف المعصفرة ونظرنا إلى الكواكب تضرب بعضها بعضاً^(١).

الانتقام من قتلة الإمام:

يقول الزهري: لم يبق من قتلة الحسين أحد إلا عوقب إما بالقتل، أو العمى، أو سواد الوجه، أو زوال الملك في مدة يسيرة^(٢).

وعن يعقوب بن سليمان قال: سمعت أنا ونفر ذات ليلة فتذاكرنا مقتل الحسين (صلوات الله عليه) فقال رجل من القوم: ما تلبس أحد بقتله إلا أصابه بلاء في أهله ونفسه وماله، فقال شيخ من القوم: فهو ممن شهد قتله وأعان عليه، فما أصابه إلى الآن أمر بكرهه، فمقتته القوم، وتغير السراج وكان دهنه نفضاً، فقام إليه ليصلحه فأخذت النار بأصبعه فنفحها، فأخذت بلحيته، فخرج يبادر إلى الماء، فألقى نفسه في النهر وجعلت النار ترفرف على رأسه فإذا أخرجه أحرقتة حتى مات (لعنه الله)^(٣).

عجائب وآثار أخرى:

١- فقد أخذ بحير سراويل الإمام الشهيد فلبسها فصار زمناً مقعداً^(٤).

٢- وبرص إسحاق بن حيوة لسلبه قميصه^(٥).

٣- وتبدل الذهب والورس المسلوب من بنات ونساء الحسين هباءً

(١) المصدر السابق.

(٢) حياة الإمام الحسين للقرشي ج ٣ ص ٢٨٥ عن عيون الأخبار لابن قتيبة.

(٣) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٣١٥ عن ثواب الأعمال وأورد ص ٣٢١ حكاية مثلها مفصلة.

(٤) حياة الإمام الحسين للقرشي ج ٣ ص ٣٠٠.

(٥) الحسين والسنة ص ٨٨.

ورماداً^(١).

٤ - والجفنة فارت ناراً^(٢).

٥ - وانقلاب اللحم دماً^(٣).

إلى كثير وكثير من مظاهر النعمة الإلهية والسخط الرباني لعظيم ما ارتكبوا وشنيع ما صنعوا^(٤)، وإن الله عزيز ذو انتقام.

ثبت ببعض المصادر وإشادة:

وبعد:

١ - فإن ما أوردته ليس إلا شواهد من هنا وهناك ونزراً من فيض حفلت به أمهات المصادر على تعدد موضوعاتها تاريخية، ورجالية، وحديثية ونحوها.

٢ - تكاد تكون المصادر الإسلامية - شيعية وسنية - متفقة في عرض ما ذكرته وما لم أوردته من أخبار مقتل الإمام الشهيد عليه السلام وما سبقه وقارنه ولحقه من أحداث وملابسات وغرائب الحوادث الواقعة كالحمرة الحادثة في السماء ومتغيرات الكون ونظائر ذلك.

ونظرة لـ (البداية والنهاية) للحافظ بن كثير، و(الكامل في التاريخ) لابن الأثير، و(تاريخ الرسل والملوك) للطبري، و(مروج الذهب) للمسعودي و(تهذيب تاريخ دمشق الكبير) لابن عساکر، و(شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد، وغير ذلك - وهو كثير جداً - من كتب التفسير والحديث والمقاتل توقفك على صحة ما صدرنا به البحث من قولنا: إن الباحث فيما يتصل بأمر الحسين عليه السلام يقع على الغريب حقاً والخير جداً والسر الغيبي واقعاً.

(١) حياة الإمام الحسين للقرشي ج ٣ ص ٣٠١، والحسين والسنة ص ١٣٩.

(٢) الحسين والسنة ص ١٤١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الحسين والسنة ص ١٣٩ و ص ١٠٥ و ص ٨٨.

٣- ومن المهم جداً فيما أحسب الإشادة والإشارة بإكبار وإعجاب إلى الأفاضل الذين عنوا بالبحث في مثل هذه القضايا الكبيرة فاستفرغوا الوسع في استخراج نلكم الأحاديث ونظائرها من بطون مظانها -على وقرتها- فسجلوها معنونة وبكل أمانة ودقة، فحفظوا بذلك التراث القيم المهم. أذكر هنا إضافة إلى من أشرت إليه سابقاً ألا وهو السيد مرتضى الفيروزآبادي:

أ- العلامة المبدع والمحقق الأمين الشيخ عبد الحسين الأميني في غديره الفياض (وسيرتنا وسنتنا) -سيرة نبينا وسنته- وقد جمع في هذا ما يتصل بمآتم الحسين في حياة جده النبي وأوعى.

ب- المحقق الثبت العلامة السيد عبد الرزاق المقرم: ولهذا السيد الجليل تخصص تام فيما يتعلق بأهل البيت عليهم السلام، وليلاحظ كتابه (مقتل الحسين) ففيه يتجلى البحث والأمانة والولاء.

ج- السيد عبد العزيز الطبطبائي: وله المكانة المرموقة في البحث وقد جمع في (الحسين والسنة) نصوباً مستقلة في ما يتصل بمقتل الإمام الحسين من ثلاثة كتب من عيون التراث لم تزل مخطوطة في خزائن سوريا وتركيا: (الفضائل) للإمام أحمد بن حنبل، (أنساب الأشراف) للبلاذري، (المعجم الكبير) للطبراني.

د- المحقق المتبع المبدع السيد مرتضى العسكري: ومن آثاره المهمة (معالم المدرستين)، وقد أورد في الجزء الثالث مقتل الإمام وخرج الأحداث من المصادر القليلة المهمة.

وشارك هؤلاء الباحثين علماء سابقون ولاحقون، جزاهم الله عن الإسلام وأهله خير جزاء العاملين المخلصين، ورزقنا وإياهم الحشر مع الإمام الحسين وشفاعته أمين أمين.

٤- وبعد نظائر الروايات وتواتر جملة منها لم تعد جهالة راو أو ضعفه أو غرابة حديثه مانعاً من إثبات الحقيقة، فهي بشيوعها وانتشارها أبعد من أن تجحد أو ترد إلا ممن عاند وكابر أو كان في قلبه شيء نحو آل

محمد.

مناقشة الشيخ الحافظ بن كثير؛

ومن الغريب:

أن الشيخ الحافظ بن كثير يصدر حديثه عن مقتل الإمام عليه السلام بقوله: "وهذه صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة هذا الشأن لا كما يزعمه أهل التشيع من الكذب"^(١).

هذا وهو نفسه قد أورد عين ما أوردته شيعة الإمام وروته الحافظ وأهل السير والأخبار من غيرهم، فلم يختص الشيعة بشيء منفرد، وأقرأ من كلماته ما شئت فإنك واقف على الحقيقة، وإن كان يعقب ما لا يرتئيه هو بالرفض والتكذيب.

وأخشى أن يكون ميله لبني أمية يجره إلى شيء من ذلك، فإنه انتقد ما أسرف به الرافضة - على حد تعبيره - في دولة بني بويه في حدود الأربعمئة وما حولها، ثم عقب ذلك بقوله: وإنما يريدون بهذا وأشباهه أن يشنعوا على دولة بني أمية، لأنه قتل في دولتهم!!

وإلا فما هو الصحيح وما هي الحقيقة إذا كان هذا الكم الهائل من المرويات منقولاً عن الأثبات والحفاظ وحملة الأثر؟ وهل غرابة الحدث كافية لرده وتكذيبه وإن تواتر نقله؟!

ولست في صدد المناقشة والمقابلة وإلا فقد روى القوم عجائب وخوارق في موت عمر وغيره وتلقوها بالقبول، وكما يقول السيد المكرم: وإذا كان القسطلاني يحدث في (إرشاد الساري) (ج ٩ ص ١١٤) عن نوح الجن عمر، وابن كثير يذكر في (البداية) (ج ١٠ ص ٢٩٨) نوح الجن على بشر الحافي، فسيد شباب أهل الجنة وروح النبي عليه السلام أحرى بنوحهم

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص ١٧٢ وص ٢٠٢.

عليه^(١)!



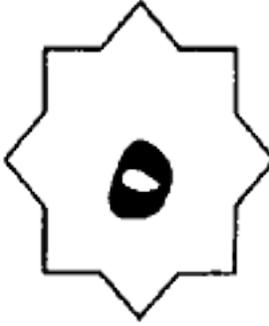
مركز بحوث ودراسات في العلوم الإسلامية

(١) مقتل الحسين المرقوم ص ٣٦٢.

وقد ذكر ابن حجر في صواعقه المحرقة، والشيخ الأميني في غديره وغيرهما الشيء الكثير مما روي عند موت بعض الصحابة.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



السيرة النبوية
الجزء الثاني

❁ سر الخلود

❁ مظاهر الخلود

❁ ملحق عن الأربعين

❁ كربلاء وجملة من شؤونها

❁ وأحكامها الشرعية:

فضل كربلاء على الكعبة

الشفاء في تربته - الدعاء تحت قبته

تربته المشرفة أفضل ما يسجد عليه

فضل مشهده وجملة من أحكامه

موطن من موطن التخيير بين القصر والتمام

❁ الخلود في الضمائر الحية

الشعر - الكتابة - التمثيل - الخطابة



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

سر الغلوة:

وبعد، فإن ما استعرضناه مما حفلت به حياة الإمام عليه السلام، وقد كان يشتمل على ما هو أعظم وأسمى، وقد ضمت جوانحه ما علم به خالقه المطلع على سره، ما كل ذلك إلا شواهد ومشاهد وحكايات عن تلكم الذات الفريدة، التي تمحضت للخير وعشق الجمال.

رأى أمة الإسلام ومجتمع نبيه، قد بدأ في الميلان والانحراف في بنيانه على يد من تولى القيام عليه، ممن لم يقو على صيانة أركان ذلك البنيان، وكلما طال البناء المعوج بان عيبه وعوارره، وآل إلى الانهدام والتداعي، ولم يكن في ظرف أبيه أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) ما يتسع لإصلاح الكيان، وإحكام الأركان، وكذلك زمن إمامة أخيه الحسن المجتبي عليه السلام، وهكذا حتى:

لَمْ أَدْرِ أَيْنَ رَجَالِ الْمُسْلِمِينَ مَضُوا  وكيف صار يزيدٌ بينهم مَلِكاً^(١)

فشمل الانحلال والتفسخ أولياء الأمور والرعية، ولم يبق من الدين إلا اسمه، ومن الإسلام إلا رسمه، وضاعت الحقوق، وعطلت الأحكام، وبدلت السنن، وعمّ البلاء، وطبق الشقاء، وهلكت البلاد والعباد، فإذا بالإنسانية تستصرخ من ينقذها، وإذا بالدين يستنجد بمن يحميه ويحوطه، ويعيده للأمة، ويعيدها للدين.

ولم يكن حر غيور، ومخلص جسور، يقوى على النهوض بهذه الصعاب، وارتكاب الشدائد، غير هذا البطل الأعظم، سيد شباب أهل الجنة، الإمام أبو عبد الله، الحسين بن علي وفاطمة، سبط رسول الله، وابنه وربحائه.

قد أصبح الدين منه شاكياً سقماً وما إلى أحدٍ غير الحسينِ شكى^(٢)

(١) من قصيدة رائعة للسيد جعفر الحلبي رحمته الله.

(٢) المصدر نفسه.

أجل، ضحى بالنفس والنفيس، وبعد الإعذار والإنذار، وقطع الحجج من أجل الله وحده، لا شريك له، فلم يكن يطمع بملك، ولم يسع لنيل سلطان، وإنما القصد والغاية هو الله، وحب الخلق، ولأنه عشق الحق والعدالة، والقيم الإنسانية، والفضائل والمجد والشرف، وقام دونها، وقاوم في سبيلها، فقد كافأه الله بالرضوان ومحبة القلوب، وعشق الضمائر، وامتلاك الشعور لدى المؤمنين الأحرار، وعند كل عاشق للكرامة والحرية، وإن لم يكن مؤمناً بالحسين كإمام، إلا أنه يؤمن به كقائد من أجل الإنسانية، ورفع الظلم وإقامة العدل، فلا عجب لو رأيناه أنشودة يتغنى بها كل حر ثائر، من مسلم أو كافر على حد سواء، ولا غرابة لو مجده المسيحي، وقارنه بما يعتقد - أنه مُخلَّص للعالم، كالسيد المسيح عليه السلام.

ولا بدع لو اهتدى بسناه غاندي محرر الهند، لأنه وجد فيه روحاً عظيمة، حققت عملاً معجزاً، عجز عنه كل أحد سواه.

كل هذا وأعظم وأسمى مما تدركه، ولا نقوى على الإفصاح به، إذ هو أعلى من ألف عبارة وعجالة، آثار طبيعية لمن أخلص قلبه لله، وكان مع الله، وعمل له، فكان الله معه، ووفاه حسابه في الدنيا والآخرة، وكما سبق وقلت: هذا هو سر السر، ومجمع الأمر، وعنصر البقاء الخالد^(١).

(١) قال ابن أبي الحديد: سيد أهل الإباء، الذي علم الناس الحمية والموت تحت ظلال السيوف، اختياراً له على الدنيا، أبو عبدالله الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، عرض عليه الأمان وأصحابه، فأنف من الذل، وخاف من ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان إن لم يقتله، فاختر الموت على ذلك.

وسمعت النقيب أبا زيد يحيى بن زيد العلوي البصري، يقول: كأن أبيات أبي تمام في محمد بن حميد الطائي ما قيلت إلا في الحسين عليه السلام:

وقد كان فوت الموت سهلاً فرده	إليه الحفاظ المرء والخلق الوعر
ونفس تعاف الضيم حتى كأنه	هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر
فأثبت في مستنقع الموت رجله	وقال لها: من تحت أخصبك الحشر
تردى ثياب الموت حمراً فما أتى	لها الليل إلا وهي من سندس خضر

مظاهر الخلود:

الحق يعلو، ولا يعلى عليه، ولا بد للحق من ناصر، وينتصر الحق لأنه حق، وشأن القيم والمعاني السامية أن تبقى، ﴿أَمَّا الزَيْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾^(١)، ولهذا الشأن تعهد الله بإحقاق الحق، وإزهاق البطل، ونصرة أوليائه، وكبت أعدائه، ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(٢)، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

وقضية بحجم ملحمة الطف، مسرح البطولة، وعنوان العظمة، لا بد أن تنال ما تستحق من إشادة ورعاية، ولا بد أن تبقى حية طرية، مهما حاول المغرضون الوقوف سداً أمام بحرها الزاخر، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٤).

أجل، لقد أولتها العناية الإلهية رعايتها ونصرها، ووسمتها بوسام الخلود، ووشحتها بأبراد المجد، وللخلود هذا أشكال ومظاهر وأنحاء واتجاهات، إلا أنها تلتقي أولاً وأخيراً بتولي الله لها، وقيامه عليها، والله في عون عبده، ما كان العبد في عون ربه.

وسأورد بعون الله نماذج من تلكم المظاهر والصور، وسأحاول تصنيفها، وإن كانت ممتزجة ومرتبطة، كما يبدو، ومتلاحمة كما يظهر، وأي ضير في ذلك ما دامت صوراً للحق، ومرايا للجمال.

لما فرأ أصحاب مصعب عنه، وتخلف في نفر يسير من أصحابه، كسر جفن سيفه وأنشد:

فإن الألى بالطف من آل هاشم نأسوا فستوا للكرام التأسيا

فعلم أصحابه أنه قد استقتل. شرح لهج البلاغة ج ٣ ص ٢٤٩.

(١) سورة الرعد: آية ١٧.

(٢) سورة غافر: آية ٥١، وما أطف بقية الآية حيث ضمنت النصر عاجلاً أم آجلاً.

(٣) سورة الروم: آية ٤٧.

(٤) سورة الصف: آية ٨.

أولاً: التخليد الإلهي؛

ونعني بالتخليد الإلهي ما تولاه الله به في أمره، بداية ونهاية، وسواء جاء ذلك في قرآنه الحكيم، أو على لسان رسوله الكريم، فأيات القرآن، وأحاديث الرسول تعريف بالإمامة والإمام، وإقامة له مقام النبوة والرسول، والبحث في هذا قد مضى مستوعباً، وأحاطت به الكتب الكلامية بما لا مزيد عليه، وإنما الذي نقصده هنا، ونعرج عليه ما نلاحظه من اهتمام خاص، وحث مؤكد، ينطلق من مصدر الرسالة، وينبعث من معدن الإمامة (والمصدر الأول: هو الله). فمحمد لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، والأئمة تقتضي أثره، وتأخذ عنه، وتفرغ عن لسانه.

نعم، تأكيد من النبي والأئمة حول أمر الحسين عليه السلام وتوجيهه للأمة بإحياء أمره، والإشادة بشأنه في موطن ومواطن، نقف عند بعضها.



الزيارات؛

وقد وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك الأئمة عليهم السلام الأمة إلى زيارة الحسين عليه السلام، وألحوا على ذلك، وأكدوه بكل أساليب الترغيب، وصوروا ترك الزيارة حرماناً وخسارة، ودليلاً على سلب التوفيق، وأكتفي هنا بإيراد رواية واحدة:

عن محمد بن علي رفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي من زارني في حياتي أو بعد موتي، أو زارك في حياتك، أو بعد موتك، أو زار ابنيك في حياتهما أو بعد موتهما، ضمنت له يوم القيامة أن أخلصه من أهوالها وشدايدها، حتى أصيره معي في درجتي^(١).

وحديث الزيارات مستفيض جداً في جوانبه من دلائل وآثار ومعاني

(١) كامل الزيارات للشيخ أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه المتوفى سنة ٣٦٧، ص ١١، وسبق أن ذكرت جلاله هذا الكتاب فهو من أغنى المصادر في هذا المجال وجل هذا الكتاب حول زيارة الحسين وآدائها وحول تربته المباركة.

كبار أعرض لبعضها.

١ - تصنيف الزيارات:

فمن اللافت حقاً هذا الكم الهائل من نصوص الزيارات وتنوعها، واستيعابها للزيارات عن قرب وبعد، وفي مواسم مخصوصة وغير مخصوصة مختصرة ومطولة، وبصيغ متعددة في المناسبة الواحدة، ومن الخير - بدلاً من الإحالة - أورد قائمة بعناوين جملة منها:

١ - زيارته عليه السلام في يوم عرفة.

٢ - زيارته عليه السلام في يوم العاشر من المحرم.

٣ - زيارته عليه السلام في يوم العشرين من صفر^(١).

٤ - زيارته عليه السلام في يوم أول رجب ومنتصفه.

٥ - زيارته عليه السلام في يوم النصف من شعبان.

٦ - زيارته عليه السلام في ليالي القدر.

٧ - زيارته عليه السلام في العيدين (الفطر والأضحى).

٨ - زيارته عليه السلام في الأوقات الشريفة، والليالي والأيام المباركة^(٢)، ويقول

العلامة الشيخ عباس القمي رحمته الله: لا سيّما فيما انتسب إليه من تلك الأوقات كيوم المباهلة، ويوم نزول سورة هل أتى، ويوم ميلاده الشريف، وليالي الجمعة، وغير ذلك، من شريف الأزمان، وروي أن الصادق عليه السلام سئل عن زيارة الحسين عليه السلام هل لها وقت أفضل من غيره؟ قال: زوروه في كل زمان فإن زيارته خير مقرر، من أكثر منها كثر نصيبه من الخير، ومن أقل

(١) يلاحظ الملحق الخاص عن الأربعين.

(٢) المصدر السابق في كثير من أبوابه، ومفاتيح الجنان ص ٤٧١ للعلامة المتبع المحدث

الخبير الشيخ عباس القمي (رضوان الله عليه) وهو خريبت الصناعة

والمختص في هذا المضمار والمجلي في السباق.

وكذلك ما ذاع واشتهر من كتب الدعاء والزيارة مما لا يحصى كمصباح الشيخ

الطوسي، وإقبال السيد ابن طلوس، ومفتاح الجنات للسيد الأمين وغيرها.

منها قل نصيبه، واجتهدوا في زيارته في الأوقات الشريفة، ففيها يضاعف أجر الصالحات، وتنزل فيها الملائكة من السماء لزيارته العظيمة^(١).

٢- المعاني الكبار:

ونصوصها تحمل الترجمة الحقيقية للإمام، من لسان الإمام، وتحكي التاريخ، ومسائل الإمامة، والإيمان، والأخلاق التي تمثلت وتجسدت في ذات الإمام المזור. فاقراً في زيارته الشهيرة المعروفة بـ (وارث): "أشهد أنك قد أقيمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وأطعت الله ورسوله، حتى أتاك اليقين، فلعن الله أمة قتلتك، ولعن الله أمة ظلمتك، ولعن الله أمة سمعت بذلك، فرضيت به وأشهد أنك من دعائم الدين، وأركان المؤمنين، وأشهد أنك الإمام البر التقي الرضي الزكي الهادي المهدي وأشهد الله، وملائكته، وأنبياءه، ورسله، أني بكم مؤمن، وبإيابكم موقن، بشرائع ديني، وخواتيم عملي، وقلبي لقلوبكم سلم، وأمري لأمركم متبع"^(٢).

وتقرأ في زيارة رجب وشعبان: "لبيك داعي الله، إن كان لم يجبك بدني عند استغاثتك، ولساني عند استنصارك، فقد أجابك قلبي وسمعي وبصري أشهد أنك قد أمرت بالقسط والعدل، ودعوت إليهما، وأنت صادق صديق، صدقت فيما دعوت إليه"^(٣).

واقراً متأملاً هذه الرائعة من زيارته (صلوات الله على روحه الطاهرة): "الحمد لله العلي العظيم، والسلام عليك أيها العبد الصالح الزكي، أودعك شهادة مني إليك، تقربني إليك في يوم شفاعتك، أشهد أنك قتلت، ولم تمت، بل برجاء حيانتك حييت قلوب شيعتك وبضياء نورك امتدى الطالبون إليك، وأشهد أنك نور الله، الذي لم يطفأ، ولا يطفأ أبداً، وأنت وجه الله الذي لم يهلك، ولا يهلك أبداً، وأشهد أن هذه التربة تربتك،

(١) المصدر نفسه.

(٢) هذه الجملة من فقرات الزيارات العالية المضامين منقولة من مفاتيح الجنان للقمي، ص ٤٢٩، ص ٤٣٩، ص ٤٤٣.

(٣) المصدر نفسه.

وهذا الحرم حرمك، وهذا المصرع مصرع بدنك، لا ذليل والله مُعزُّك، ولا مغلوبٌ والله ناصرُك، هذه شهادة لي عندك، إلى يوم قبض رُوحِي بحضرتك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته^(١).

وتقرأ في زيارة عاشوراء العظيمة:

«فلعن الله أمة أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت، ولعن الله أمة دفعتكم عن مقامكم، وأزالتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها، ولعن الله الممهدين لهم بالتمكين من قتالكم، برئت إلى الله وإليكم منهم، ومن أشياعهم وأتباعهم وأوليائهم، يا أبا عبد الله، إني سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم، إلى يوم القيامة، اللهم اجعلني في مقامي هذا ممن تناله منك صلوات ورحمة ومغفرة، اللهم اجعل عيالي عيالاً محمد وآل محمد، وعماتي ملمات محمد وآل محمد»^(٢).

٣- الدرس: عبرة وعبرة:

ولقد ركزت كتب الزيارة الآداب والسلوك اللائق بالزائر وماذا ينبغي أن يتحلى به قلباً وقالباً.

مركز تحقيق كتب أمير المؤمنين عليه السلام

فعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: إذا خرجنا إلى أهلك أفلسنا في الحج؟ قال: بلى، قلت: فيلزمنا ما يلزم الحج؟ قال: ماذا؟ قلت: من الأشياء التي يلزم الحاج، قال: يلزمك حسن الصحبة لمن صحبتك، ويلزمك قلة الكلام إلا بخير، ويلزمك كثرة ذكر الله، ويلزمك نظافة الثياب، ويلزمك الغسل قبل أن تأتي الحير، ويلزمك الخشوع، وكثرة الصلاة، والصلاة على محمد وآل محمد، ويلزمك التوقير لأخذ ما ليس لك، ويلزمك أن تغض بصرك، ويلزمك أن تعود على أهل الحاجة من إخوانك إذا رأيت منقطعاً، والمواساة، ويلزمك التقية التي قوام دينك بها، والورع عما نهيت عنه والخصومة وكثرة الأيمان والجدال الذي فيه الأيمان، فإذا فعلت ذلك تم حجك وعمرتك، واستوجبت من الذي طلبت ما عنده، بنفقتك واغترابك عن

(١) المصدر نفسه.

(٢) كامل الزيارات ص ١٧٦.

أهلك، ورغبتك فيما رغبت أن تنصرف بالمغفرة والرحمة والرضوان^(١).
وتحدث الشهيد رفع الله درجته في كتابه (الدروس) عن آداب الزيارة
نقتطف مما ذكره:

١- إحضار القلب في جميع أحواله مهما استطاع، والتوبة من الذنب،
والاستغفار والإقلاع.

٢- أن يكون الزائر بعد الزيارة خيراً منه قبلها، فإنها تحط الأوزار إذا
صادفت القبول.

٣- الصدقة على المحاويج بتلك البقعة، فإن الصدقة مضاعفة هناك،
وخصوصاً على الذرية الطاهرة^(٢).

ويحدث الشيخ القمي عن آداب الزيارة، نختار منها:

١- أن يسير وعليه السكينة والوقار، وأن يكون خاضعاً خاشعاً، وأن
يطأطئ رأسه، فلا يلتفت إلى الأعلى، ولا إلى جوانبه.

٢- أن يشغل لسانه وهو يمضي إلى الحرم المطهر بالتكبير والتسبيح
والتهليل والتمجيد، ويعطر فاه بالصلاة على محمد وآله عليهم السلام.

٣- أن يقف على باب الحرم الشريف ويستأذن، ويجتهد لتحصيل
الركة والخضوع والانكسار، والتفكير في عظمة صاحب ذلك المرقد المنور
وجلاله... إلخ^(٣).

وأما العبرة^(٤):

(١) بحار الأنوار ج ٩٨ ص ١٤٢ عن كامل الزيارات ص ١٣٠.

(٢) بحار الأنوار ج ٩٧ ص ١٣٥ عن الدروس ص ١٥٨.

(٣) مفتيح الجنان ص ٣٠٧.

(٤) وللبكاء على سيد الشهداء- حكماً شرعياً وأثراً ودلالة- مجال واسع يليق أن يفرد
ببحث مستقل مستوعب لأبعاده الإيمانية والوجدانية والنفسية، وأكتفي هنا
بالإرشاد إلى معالجة الشيخ محمد مهدي شمس الدين في كتابه ثورة الحسين في
الوجدان الشعبي وإلى بحثه المدرج في دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ج ٣

فهي تنهمل بالتفكير فيما جرى من خطوب علي الإمام المزور وبالتذكر لما قاسى هو وأهله من مصائب ومآسي، ومع ذلك فقد جاء في آداب الزائر أن يبدو عليه آثار ذلك.

فعن الصادق عليه السلام: إذا زرت أبا عبد الله عليه السلام فزره وأنت حزين مكروب شعث مغبر جابع عطشان، فإن الحسين عليه السلام قتل حزينا مكروبا شعثا مغبرا جائعا عطشانا^(١).

ويقول الشيخ القمي رحمته الله: والأحاديث في ذلك كثيرة ويبدو من هذه الأحاديث استحباب البكاء عليه في ذلك الحرم الطاهر، بل الجدير أن يعد البكاء عليه والرثاء له من أعمال تلك البقعة المباركة التي هي بيت الأحزان للشيعة الموالين^(٢).

وبعد:

فإن الزيارة والحضور لمهوى الأفئدة مثوى الإمام البطل، تحمل من العظات والعبر الشيء الكثير والمعاني الكبار لمن ألقى السمع وهو شهيد، ولقد نجحت هذه الدعوة أبلغ نجاح بفضل التوجيه نحوها، وبفضل ما يحمل المزور من قيمة ذاتية، وأصبح وأمسى لها الامتياز والشأن المخصوص، فلها تاريخها الحافل في مختلف الأدوار السابقة واللاحقة بفعل المؤثرات والعقبات كما حدث أيام المتوكل العباسي وبعده وما قبله من أزمنة الشدة والرخاء، والروايات عاجلت هذه النواحي كما يقف على ذلك المتتبع في مثل الكتاب الجليل (كامل الزيارات)، بل وتغلغلت في أعماق المؤمنين وذوي الضمائر الحية من كل ملة ولحمة، فلم تعد وقفاً على أولياء الإمام وشيعته، وأصبحت لها المواسم المشهودة، بل وعمت أيام السنة، حتى أن كربلاء لتضيق بمن يفد عليها، ويتقاطر إليها من كل حذب وصبوب، زرافات ووحدانا، رجالاً وركباناً، إذن فعناية الله وتخليده للإمام أمد النفوس

ص ٥٨ (ظاهرة البكاء).

(١) مفاتيح الجنان ص ٤١٢.

(٢) مفاتيح الجنان ص ٤٢٠.

والقلوب بقوة محرّكة نحو الحسين، وأمدّ الحسين بقوة جاذبة، فمنذ مقتله ومصرعه، وبعد أن زاره الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري، وإلى اليوم عبر هذا التاريخ الطويل الحافل وإلى أن يبقى، ضمير حي، فكربلاء كعبة الوفاء، ومحجة الأحرار، والحسين وارث آدم وإبراهيم وإسماعيل ومحمد بناء الكعبة، والمؤسسين والقائمين عليها، وعلى توجيه عباد الله إليها.

وخشية الإطالة والإملال أختتم الحديث عن الزيارة وآثارها مشيراً إلى جملة من الكتب التي أفاضت في القول عن الزيارة وآدابها وفوائدها والدفاع عنها:

١ - الشيخ العظيم الشيخ عبد الحسين الأميني في كتابه:

الغدِير ج ٥ من ص ٨٦ إلى ص ٢٠٧، فإنه جمع وأوعى، وأدب الزائر لمن يعم الحائر.

٢ - الشيخ المتتبع الشيخ عباس القمي في جملة من كتبه:

مفاتيح الجنان، وهداية الزائرين، ومهجة النظيرين، تميم تحية الزائر لأستاذه المحدث النوري.

٣ - الشيخ الأعظم الشيخ المجلسي في: مزار البحار.

٤ - الشيخ المعظم الشيخ محمد مهدي شمس الدين في كتابه: ثورة

الحسين في الوجدان الشعبي، وهو كتاب قيم تناول موضوعات مهمة - ومنها موضوع الزيارة - وهو جدير بالقراءة^(١).

(١) وتقييمي لكتاب الشيخ شمس الدين وكذلك للشيخ المطهري في كتابه الملحمة الحسينية يعتمد على مقياس ذكره شمس الدين ألا وهو: ذلك الذي يفتح آفاقاً جديدة من البحث، ويبعث على التأمل في المسلمات القائمة، وذلك وفقاً لشروط البحث الموضوعي الصارم. وليس من الضروري لوصف كتاب ما بالجودة أن تتفق مع كتابه في الرأي حول المسألة المثارة، (مجلة الهادي العدد الأول / السنة الثالثة) ص ٣٢ في حديثه عن الشعبية.

ملحق عن الأربعين؛

حديث عن الأربعين^(١):

حاضرت حول زيارة الأربعين وسأورد هنا تلخيصاً عنها:

١- أ- فجوات تاريخية. وعرضت نماذج من ذلك ومنها موضوع البحث.

ب- الشهرة وأسبابها وآثارها.

٢- أمور ثلاثة:

أ- زيارة الأربعين.

ب- رجوع سببا آل محمد.

ج- رجوع الرأس الشريف.



٣- تصوير الرحلة ذهاباً وإقامة وإياباً.

أ- كم بقوا في الكوفة؟ مركز بحوث كويتية للدراسات الإسلامية

ب- هل أبرد ابن زياد ليزيد يستأمره فيهم؟

ج- كم هي المسافة بين الكوفة والشام؟

د- كم مكثوا في الشام؟

هـ- وهل عادوا منها إلى كربلاء أم إلى المدينة؟

الزيارة:

وأعني بها: النص المقروء في حرم الإمام الحسين عليه السلام ولدينا زيارتان:

الأولى: مروية عن الإمام الصادق عليه السلام.

والثانية: زيارة جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه.

(١) وكان تشرفي بالحديث عنها في بلدة القديح المحروسة (إحدى قرى قطيفنا الكبيرة)

ليلة الخميس ٢٥ من صفر سنة ١٤١٢هـ.

أ- ويلاحظ الشيخ القمي رحمته أن زيارة جابر هذه هي نص زيارة الحسين في رجب وليست زيارة مستقلة.

ب- ويتساءل البعض عن ذهاب جابر فمتى ذهب؟ وأين كان؟ فهل هو في المدينة؟ فمن أعلمه بمقتل الإمام؟ وهل ترتبط المسألة بالاعتماد على أخبار أم سلمة وابن عباس بواسطة علمهما من طريق القارورة التي فاضت دعماً عبيطاً يوم شهادة الإمام؟!؟

وإذا كان في مكان آخر أقرب فلماذا تأخر هذه المدة؟!؟

٤- أقوال المؤرخين والمؤلفين:

أ- قال ابن طاووس في (اللهوف): إن ابن زياد استعلم الأمر من يزيد بعد أن حبسهم في خربة الكوفة (اللهوف ص ٦٥، ٦٦)، و(مقتل الحسين) للمقرم ص ٤٣٠ عن الطبري.

ب- قال السيد هبة الدين الشهرستاني في (النهضة الحسينية): إن الركب الحسيني وصل الشام في أول صفر.

ج- نقل الشيخ الطريحي في (المنتخب) ص ٤٩٧ أن سبانيا آل محمد ندبوه (الحسين) في الشام سبعة أيام فلما كان اليوم الثامن دعاهم يزيد فخيرهم بين البقاء والرحيل.

د- قال الشهرستاني: أمر يزيد النعمان أن يسير بهم إلى المدينة في العشرين من صفر (النهضة ص ١٤٧).

هـ- وعن مصباح الشيخ الطوسي: إنهم وصلوا يوم العشرين إلى المدينة، وإن جابراً هو أول من زاره يوم الأربعاء.

و- إنهم وصلوا إلى كربلاء والتقوا مع جابر، كما عن السيد ابن طاووس في (اللهوف) ص ٧٥.

ملاحظة:

أ- إن عبارة السيد خالية عن تحديد يوم الوصول.

ب- يبدو أن السيد هو المؤسس للمسألة وتبعه ونقل عنه من جاء

بعده.

ج- يلاحظ التفاوت الكبير بين الآراء والأقوال بما لا جامع لها.

٥- إرجاع الرأس الشريف إلى كربلاء:

أ- مسألة:

هل يجب مطلقاً أن يتولى الإمام أمر الإمام، أو أنه في حال الاختيار؟
وهنا رواية للإمام الرضا عليه السلام، ولعل الإصرار من البعض على تولي الإمام
زين العابدين دفن أبيه يوم الثالث عشر من المحرم لذلك، وهذا موطن آخر
من مواطن النظر والمناقشة.

ب- عن فاطمة بنت علي (صلوات الله عليهما): ثم إن يزيد (لعنه
الله)، أمر بنساء الحسين عليه السلام فحبسن مع علي بن الحسين عليه السلام في محبس لا
يكنهم من حر ولا قر، حتى تقشرت وجوههم، ولم يرفع بيت المقدس
حجر إلا وجد تحته دم عبيط، وأبصر الناس الشمس على الحيطان حمراء
كأنها الملاحف المعصفرة إلى أن خرج علي بن الحسين عليه السلام بالنسوة، ورد
رأس الحسين إلى كربلاء.

تنبيه:

١- قرأها بعضهم (ردّ) بالمعلوم، وآخرون (ردّ) بالمجهول، كما جاء في
تعليقة السيد محمد علي القاضي على (الأنوار النعمانية)^(١).

٢- لم يحدد في الرواية تاريخ الرد إلى كربلاء.

٣- آراء وأقوال:

أ- عن ابن طاووس وغيره: إنه (إرجاع الرأس إلى كربلاء) عمل
الإمامية والمعول عليه عندهم.

ب- القزويني زكريا في كتابه (عجائب المخلوقات) ص ١١٠.

ج- الشبراوي، وشارح همزية البوصيري، وأبو ریحان البيروني،

(١) ج ٣ ص ٢٤٦، وقد أورد الحديث الشيخ الأقدم الصدوق في أماليه ص ١٤٢.

وغيرهم (وفي بعضها التصريح بأنه في العشرين من صفر، راجع (مقتل الحسين) للمقرم).

٦- ومن الشواهد والمؤيدات:

أ- حبس بسر بن أرطأة أولاد زياد، وأراد قتلهم، فاستأجل أبو بكره بسراً ليذهب إلى معاوية، فأجله أسبوعاً ذاهباً وراجعاً، فسار سبعة أيام، قتل تحته دابتين وتم له ما أراد.

أقول: يظهر من السيد المقرم أن أبا بكره ذهب من البصرة إلى الشام والظاهر من الطبري أنه ذهب إلى الكوفة، راجع الطبري ج ٥ ص ١٦٧.

ب- وكذلك عن رسول عبد الله بن عمر وذهابه من الكوفة إلى الشام في أحد عشر يوماً للشفاعة في المختار.

ج- ويمكن التأييد بما يروى عن أبي حنيفة سائق الحاج، أنه رأى هلال ذي الحجة بالقادسية، وشهد عرفة^(١).

ملاحظة: من المهم دراسة السير الطبيعي على الجمال وكم هي مقدار المسافة بين المنازل ونحو ذلك.

٧- ومما كتب حول الأربعين:

١- الأربعين: للشيخ عبد الحي المرهون القطيفي المتوفى سنة ١٣٦٦هـ، يوم الأربعين وهو من كتب السيرة والعرض.

٢- الأربعين: للشيخ حسين القليحي القطيفي كسابقه تماماً.

٣- الأربعين: للسيد المقرم (مطبوع) لم أقف عليه.

٤- الأربعين: للسيد صدر الدين شرف الدين (مخطوط) كما جاء في المناهج مجموعة مجالس حسينية للمرحوم السيد جواد شبر.

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ١٩٨، باب ما يجب من العدل على الحمل وترك ضربه واجتناب ظلمه، وقد أورد ذلك السيد الخوئي وضعف الرواية بأبواب بن أعين فإنه لم يوثق، وكذلك ضعف طريق الشيخ إليه بأبي الفضل، وابن بطنة، معجم رجال الحديث ج ٨ ص ١١٣.

- ٥- تحقيق حول الأربعين (فارسي) وفي بالي أنه للشيخ ميرزا خليل الكوهكمري.
- ٦- ولاحظت أن أشد المعارضين والناقدين لرجوع السبأيا الشيخ مرتضى المطهري ويصنفها في قائمة التحريف.
- ٧- وتحقيق حول الأربعين للسيد محمد علي القاضي الطباطبائي كما جاء في تعاليقه على (جنة المأوى) لأستاذه الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء. وقد طبع مؤخراً ولغته فارسية، ونتيجة تحقيقه إثبات الأربعين.
- ٨- اللؤلؤ والمرجان (فارسي وقد تُرجم) للشيخ النوري الطبرسي فقد أفاض المقال وهو الأصل لما ذكره الشيخ المطهري.
- ٩- نفس المهموم للشيخ عباس القمي فقد ذكر في ثنايا كتابه آراء وقضايا لها تمام الارتباط بالمسألة.
- ١٠- وقد استعرض الشيخ محمد أمين الأميني الأقوال وعرض لجملة من المناقشات ووازن بين رأيي المحدث النوري والسيد القاضي في كتابيهما: (لؤلؤ ومرجان) و(تحقيق حول الأربعين)، لما يمثلان من تقابل، وقد بذل في ذلك جهداً مشكوراً، فجزاه الله خيراً^(١).
- ١١- ولعزیزنا الخطيب اللامع عارف سنبل دراسة تتبّع فيها طريقي الذهاب إلى الشام والعودة، وقد أفاد من الخرائط المبيّنة لمعالم الطرق محاولاً التوصل إلى نقطة التقاء يمكن سلوكها لقاصد كربلاء من الشام.
- رجاء:
- أمل أن تتسع دائرة التبادل الثقافي بين العرب والإيرانيين، فيطلع الطرفان على نتاج الآخر، فتعم الفائدة على نسق ما هو قائم الآن، فلعل جملة من التحقيقات التاريخية سبق إليها الإيرانيون وتناولوها بالبحث، والأمر كذلك بالنسبة إلى أهل الضاد.

(١) راجع: (الركب الحسيني في الشام ومنه إلى المدينة المنورة) ٦/٢٦٩-٣١٨، و(وقائع الطريق من كربلاء إلى الشام) ٥/١٧٧، ١٨٥-١٨٨.

وبعد، فهذا تلخيص لأهم ما طرحته في محاضرتي حول الأربعين.



مركز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی

ومن مظاهر التقليد الإلهي:

كربلاؤه وجملة من شؤونها وأحكامها الشرعية:

عظفاً على ما سبق من أن ما صدر عن أهل البيت عليهم السلام لم يكن جنوحاً إلى عاطفة، أو منبعثاً من هوى، وإنما هو التلقي من مصدر السوحي والإلهام، فلا غرابة إذن لو وقفنا على ما حفلت به الزبر وكتب الأخبار، من حديث معتبر، ودليل صحيح، وحجة بينة، وأثر متواتر، حول جملة من خصوصيات المشهد الحسيني العظيم، أو كربلاء المقدسة، أو التربة المشرفة المباركة. ومن ذلكم النبع اغترف علماء آل محمد، وخريجوا مدرسة أهل البيت، فيما اعتقدوا، ومارسوا، وبخثوا، وصنفوا، ولا غضاضة بعد هذا أن لا يوافق الإمامية غيرهم قديماً وحديثاً علماً وعملاً، ما دعنا نملك الدليل الواضح، والحجة الصراح، وحبذا لو اطلع غيرنا على مداركنا وأصول استدلالنا لعلموا وجه الحجة في ذلك، وسأورد - إن شاء الله - موجزاً جملة من تلكم الشؤون، وما يرتبط فيها من حكم وأسرار، وما يعرض عليها من حكم شرعي.

١- فضل كربلاء على الكعبة:

يقول سيد الطائفة المهدي بحر العلوم (رضوان الله عليه):

وَمِنْ حَدِيثِ كَرْبِلَا وَالْكَعْبَةِ لِكَرْبِلَا بَانَ عُلُوُّ الرُّبَّةِ^(١)

(١) من منظومته في الفقه (الدرة النجفية) ص ١٠٠. والسيد محمد مهدي هو بحر العلوم - كما لقب - ومجمع الكمالات والكرامات ومن نوادر الدرر علماً وإماناً وجلالاً، وقد حفلت بترجمته كتب التراجم وأظهرت مقامه الشامخ ومحلته الرفيع وقال عن منظومته العلماء: بالغ النعت وكامل الإطراء، قال السيد الأمين العاملي: الدرة النجفية أرجوزة مشهورة، سيده الأراجيز في الفقه لم يسبق إلى مثلها، عني بما كثير من الفقهاء من بعده وطبعت غير مرة. وله غيرها من الآثار

وروى ابن قولويه رحمته الله بسنده قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: اتخذ الله أرض كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يخلق الله أرض الكعبة ويتخذها حرماً بأربعة وعشرين ألف عام، وإنه إذا زلزل الله تبارك وتعالى الأرض وسيرها، رفعت كما هي بتربتها نورانية صافية، فجعلت في أفضل روضة من رياض الجنة، وأفضل مسكن في الجنة، لا يسكنها إلا النبيون والمرسلون (أو قال أولو العزم من الرسل)، وإنما لتزهر بين رياض الجنة، كما يزهر الكوكب الدرّي بين الكواكب لأهل الأرض، يغشى نورها أبصار أهل الجنة جميعاً، وهي تنادي: أنا أرض الله المقدسة، الطيبة المباركة، التي تضمنت سيد الشهداء، وسيد شباب أهل الجنة^(١).

دفع استبعاد:

قال ابن أبي يعفور: فقلت له -الصادق عليه السلام-: قد فرض الله على الناس حج البيت، ولم يذكر زيارة قبر الحسين عليه السلام فقال: وإن كان كذلك فإن هذا شيء جعله الله هكذا، أما سمعت قول أبي أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول: إن بلطن القدم أحق بالمسح من ظاهر القدم، ولكن فرض هذا على العباد، أو ما علمت أن الموقف لو كان في الحرم كان أفضل لأجل الحرم، ولكن الله صنع ذلك في غير الحرم^(٢).

٢- الدعاء تحت قبته:

﴿ فِي بُيُوتِ أذنَ اللّهُ أن تُرْفَعَ وَيُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ

الفقهية والأصولية والرجالية والمنظرات. راجع تقديم الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني للذرة المطبوعة سنة ١٤٠٥هـ، نشر مكتبة المفيد.

(١) كامل الزيارات ص ٢٦٨ وقد أورد في الباب عدة روايات، وكذلك البحار وغيره من كتب الحديث.

(٢) كامل الزيارات ص ٢٦٧.

وَإِيتَاءَ الزُّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿١﴾.

والدعاء مخ العبادة، وله شروط تجميع رفعه إلى الله، واستجابته سبحانه لمن دعاه، والمكان من تلكم المهيئات، وشرف المكان بالمكين، فلا بدع لو أولت الأئمة عليهم السلام مشوى الإمام الشهيد اهتماماً كبيراً، ووجهت الأمة إلى موطن من مواطن الاستجابة والقبول لكرامته عند الله، ومحل له لديه.

وقد أورد ابن قولويه رحمته الله في (كامل الزيارات) ثلاث روايات في المقام نختار الثالثة منها:

حدثني أبو هاشم الجعفري قال: دخلت على أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام، وهو محموم عليل، فقال لي: يا أبا هاشم، ابعث رجلاً من موالينا إلى الحاير يدعو الله لي، فخرجت من عنده فاستقبلني علي بن بلال، فأعلمته ما قال لي، وسألته أن يكون الرجل الذي يخرج، فقال: السمع والطاعة، ولكنني أقول: إنه أفضل من الحاير، إذ كان بمنزلة من في الحاير، ودعاؤه لنفسه أفضل من دعائي له بالحاير، فأعلمته عليهما السلام ما قال، فقال لي: قل له: كان رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل من البيت والحجر، وكان يطوف بالبيت، ويستلم الحجر، وإن لله تعالى بقاعاً يحب أن يدعى فيها، فيستجيب لمن دعاه، والحاير منها ^(١).

فالإمام العظيم علي الهادي يوجه من يدعو له، وفي ذلك من الحث والبعث ما لا يخفى قوة وتأكيدها.

(١) سورة النور: آية ٣٦-٣٧.

(٢) كامل الزيارات ص ٢٧٤. وأبو هاشم هذا هو داود بن القاسم بن إسحاق بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب (الشهيد الطيار)، وكان فذاً من أفذاذ الإسلام وعلماً من أعلام العقيدة، شديد الولاء للأئمة الطاهرين وقد حظي بمشاهدة الإمام الرضا والإمام الجواد والإمام الهادي والإمام العسكري، وله شعر جيد فيهم، وكان ذا منزلة اجتماعية مرموقة عند كافة الأوساط، جريئاً مقداماً لا يهاب السلطان، ولم يكن أحد في آل أبي طالب مثله في زمانه في علو النسب متحلياً بالورع والزهد والنسك والعلم والعمل. انتقل إلى رحمة الله ورضوانه سنة (٢٦١هـ). نقلًا عن حياة الإمام العسكري للقرشي ص ١٤٥ بتصرف.

وقال الشيخ المقدس القمي رحمته: اعلم أن أهم الأعمال في الروضة الطاهرة للحسين عليه السلام هو الدعاء، فإن إجابة الدعاء تحت قبته السامية هي مما خوله الله الحسين عليه السلام عوضاً عن الشهادة، فعلى الزائر أن يغتنم ذلك، ولا يتوانى في التضرع إلى الله، والإنابة والتوبة، وعرض الحوائج عليه، وقد وردت في خلال زيارته عليه السلام أدعية كثيرة ذات مضامين عالية، لم يسمح لنا الاختصار بإيرادها هنا، والأفضل أن يدعو بدعوات الصحيفة الكاملة، ما وسعه الدعاء فإنها أفضل الأدعية.. إلخ^(١).

٣- الشفاء في تربته:

وهو سر من الأسرار، وكرامة مما حباها الله لوليّه، سبط رسوله وربحائه، دلت على ذلك النصوص، وبرهن على صدقه الوقوع - ولا شيء أدل على الإمكان من الوقوع - ولا شك في ارتباط ذلك بقدسية الولي العظيم وأنه أثر من آثار حب الله له، وعنايته به، بأن أفاض عليه من خيره ورحمته وعطائه، ما يحير الألباب، ويذهل العقول^(٢).

والبحث هنا متشعب الأطراف، ذو جنبات متعددة، ولا يسعني الخوض فيه كما يليق بجلاله، وسأرجع من يشاء التوسع لما كتب بأقلام عباقرة أفذاذ أحاطوا بكل ملابسات هذه المسألة ونظائرها، مما يأتي، وفندوا الشبه والإيرادات عليها.

٤- تربته الشرفه أفضل ما يسجد عليه:

ويقول سيد الفقهاء بحر العلوم:

والأفضل الأرضُ ومنها فضلًا تربةٌ قُدُسٌ قدستُ في كربلا^(٣)

(١) مفاتيح الجنان ص ٤١٧.

(٢) وقد اتفق لي الشفاء ببركة الاستشفاء بالتربة المباركة وسأذكر ذلك في موطن آخر إن شاء الله تعالى.

(٣) منظومة بحر العلوم (الدرة النجفية) ص ٩٤ في باب مكان المصلي.

ويقول المرجع الأعلى السيد أبو القاسم الخوئي تذلل في بحث السجود: والأفضل أن يكون من التربة الشريفة الحسينية على مشرفها أفضل الصلاة والتحية، فقد ورد فيها فضل عظيم^(١). وعبر شيخ الفقهاء صاحب الجواهر بقوله: قطعاً وسيرة^(٢).

وكذا البحث في اتخاذ السبحة منها وما ورد فيه من فضل. وكم أثار مسألة التربة من تساؤلات وفضول ومنظرات^(٣)، وقد تصدى علماءنا لكل ذلك قديماً وحديثاً.

مسألة:

يلحق بالمساجد - في عدم جواز التنجيس ووجوب التطهير - المصحف الشريف، والمشاهد المشرفة، والضرايح المقدسة، وتربة رسول الله ﷺ، والتربة الحسينية وسائر الأئمة عليهم السلام المأخوذة للتبرك، فيحرم تنجيسها إذا كان ذلك يوجب إهانتها، وتجب إزالة النجاسة عنها حينئذ^(٤).

٥- فضل مشهده وجملة من أحكامه: كتيب من تصدير سيد

أكثر من الصلاة في المشاهد	خير البقاع أفضل المعابد
لفضلها اختيرت لمن من حل	ثم بمن قد حلها سما المحل
والسر في فضل صلاة المسجد	قبر لم عصوم به مستشهد
برشة من دمه مطهرة	طهرة الله لعبد ذكره

(١) منهاج الصالحين ج ١ ص ١٤٧.

(٢) جواهر الكلام ج ٨ ص ٤٣٧، وقد أورد (أعلى الله مقامه) ما أورده الفقيه العظيم شيخ المحدثين الشيخ يوسف البحراني في موسوعته الفقهية الكبيرة (الحدائق الناضرة) ج ٧ ص ٢٦٠.

(٣) مثل ما جاء من محاوره سيد الطائفة زعيم الحوزة العلمية السيد الخوئي مع الشيخ زين العابدين، في كتابه البيان في تفسير القرآن ص ٥٦٠، وقد جرت في المسجد النبوي الشريف سنة ١٣٥٣هـ، وهي محاوره طريفة.

(٤) منهاج الصالحين ج ١ ص ١١٦.

وهي بيوتُ أذنَ اللهُ بأنَّ تُرْفَعَ حتى يُذكَرَ اسْمُهُ الحَسَنُ^(١)

وقال السيد الخوئي تتبع: والأحوط وجوباً إلحاق المشاهد المشرفة بالمساجد في الأحكام المذكورة (اللبث والدخول ووضع شيء فيها.. إلخ)^(٢).

وقال صاحب الحدائق (رضوان الله عليه): وألحق جملة من متأخري أصحابنا بالمساجد الضرائح المقدسة والمشاهد المشرفة، ورده جملة من متأخري المتأخرين بعدم المستند الموجب للتحريم. ثم أخذ في الاستدلال على ذلك بظاهر آية تعظيم الشعائر وبالأخبار الدالة على عدم جواز دخول الجنب بيوتهم أحياء، ولا ريب أن حرمتهم أمواتاً كحرمتهم أحياء.. إلخ^(٣).

وكذلك صاحب الجواهر (عطر الله مرقدته) وقد ذكر جملة ممن قال ذلك، ثم قال: ولا يخلو من قوة لتحقيق معنى المسجدية فيها وزيادة، وللتعظيم، ولما يظهر من عدة روايات، وذكر ما أورده عن الشيخ البحراني، ثم قال: وهل يقتصر في الحكم حينئذٍ على نفس الروضة المقدسة أو يلحق بها الرواق؟ وجهان أقواهما الأول^(٤).

ويقول الفقيه الكبير الشيخ علي أبو الحسن الخنيزي (أعلى الله مقامه): أمّا المكان المشرف - كالمشاهد المعظمة - فهي، وإن لم تجر عليها أحكام المسجد، إلا أن أفضليتها على المساجد ليست محل ريب. وبعد كلام أورد فيه نماذج من الأماكن المشرفة لشرف من دفن فيها من الصالحاء قال: نعم، إذا كان فيه تعظيم شعائر الله ﷻ أعظم من تعظيمها في المسجد، فلا شبهة في كون الصلاة فيها أفضل، وهو السر في ملازمة الإمامية (أيدهم الله وشرفهم بخروج ولي أمرهم) عليها. نعم، يستثنى من هذه الأماكن: مشهد سيدنا العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام، فإن الظاهر أفضليته من المسجد، والله

(١) الدرّة النجفية ص ١٠٠ (المشاهد).

(٢) منهاج الصالحين ج ١ ص ٥١.

(٣) الحدائق الناضرة ج ٣ ص ٥٣.

(٤) جواهر الكلام ج ٣ ص ٥٢.

أعلم^(١).

٦ - مواطن من مواطن التخيير بين القصر والتمام:

"يتخير المسافر بين القصر والتمام في الأماكن الأربعة الشريفة، وهي المسجد الحرام، ومسجد النبي ﷺ، ومسجد الكوفة، وحرم الحسين العظمي، والتمام أفضل والقصر أحوط... إلخ"^(٢).

وهي مسألة ناقشها الفقهاء، وأشبعوها بحثاً، وأكتفي بإيراد رواية واحدة فقط نشير إلى شيء من السر والمغزى.

قال صاحب الجواهر نقلاً عن المدارك: وأوضح ما وصل إلينا في ذلك مسنداً خبر حماد بن عيسى عن أبي عبد الله العظمي قال: "من مخزون علم الله الإتمام في أربعة مواطن: حرم الله، وحرم رسوله ﷺ، وحرم أمير المؤمنين العظمي، وحرم الحسين بن علي عظيمهما"^(٣) وبعد:

فهذا ما أردت إيرادها موجزاً فيما وصفته بـ (التخليد الإلهي)، ولا شك أنه ينبى عن حقيقة ومغزى، ويحمل في طياته دلالات ومعاني، وتبقى جملة من الأسرار في مكنها، وقد يأتي الزمن وما يجد فيه من علم ويتسع فيه من آفاق المعرفة بحل هذه الرموز.

أجل، لقد عني جملة من الباحثين بالكشف عنها وصنفوا في ذلك

(١) دلائل الأحكام ج ٨ ص ٨٤. وهذا الفقيه العظيم عين فقهاء بلادنا (القطيف) وله الأيادي البيضاء في نشر العلم والهدى وقد توفي (رضوان الله عليه) سنة ١٣٦٣. ولنجله ومحقق كتابه الشيخ عبدالله كتاب في ترجمته (ذكرى الإمام الخنيزي).

أقول: لعل الفقيه الخنيزي يعني بالمشاهد الصحن الشريف وما بعد من مرقد الإمام المعصوم العظمي أو أنه يختار عدم جريان أحكام المسجدية عليها كما أشير إليه من كلمات الحدائق والجواهري.

(٢) منهاج الصالحين ج ١ ص ٢٥٣.

(٣) الجواهر ج ١٤ ص ٣٣٧.

كافأهم الله بالحسنى، أعرض منهم:

١- الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء في كتابه: الأرض والتربة الحسينية وهو كتاب جليل، ولعله خير ما كتب في هذا المجال، والمؤلف غني عن التعريف لجلالة قدره وشهرة أمره.

٢- الشيخ عبد الحسين الأميني في بحثه: السجود على التربة الحسينية ملحق بسيرتنا وسنتنا وطبع مستقلاً أيضاً.

٣- الشيخ علي بن حسين علي الأحدي في كتابيه: التبرك، والسجود على الأرض.

هذا إلى كثير من المؤلفات والمصنفات الحديثية، وكتب الردود والمنظرات، التي عاجلت هذه الموضوعات بصفة خاصة، أو موضوع الإمام ^{عليه السلام} بصفة عامة.

ثانياً- الخلود في الضمان الحية؛

ومن تلكم المظاهر المتغلغلة بعمق فيما يحلوه للشيخ محمد مهدي شمس الدين تسميته (الوجدان الشعبي) ما أفرزته العقول الحية، والضمان الحرة، وعبرت عنه من طريق الشعر، والكتابة، والتمثيل، والخطابة، والبوح بالحزن والكآبة، وسأوجز القول -رغم سعة مجال البحث في هذه العناوين- خشية الإسهاب واكتفاء بالتدليل بما على الخلود الحسيني المميز.

١- الشعر؛

وقد حفلت ملحمة الطف بكل ما يحرك العواطف ويشير المشاعر ويفيض بالحس، فاستثارت بذلك الوجدان وأفرغت تلكم الأحاسيس شعراً نبض به قلب عشاق الحياة الكريمة، ومن هنا نجد الشعر الحسيني قد تجاوز الحدود والحدود ولم يعد وقفاً على شيعة وأوليائه القائلين بإمامته، بل شاركهم الشعور ذوو الأفكار الحرة من المسلمين والمسيحيين وسواهم، وبالفصح من العربية وغيره وغيرها من اللغات واللهجات، ولم يقتصر

فيض الشعر الزاخر على جوانب الأسي وبواعث الحسرة والشجى، وإنما شمل ملكات الإمام العظيمة، ومكامن شخصيته، ومواطن عظمته.

أجل، للثناء نصيبه الوافر، وسهمه النافذ، فإن هول الخطوب وفضاعة الأحداث والفجائع، ملكت وأسرت الشاعر، ففاضت شعراً ودمعاً^(١).

وإنك لتنوء بالحصر في هذا الثراء الفياض إذا اطلعت على ما ذكره شيخ الباحثين العلامة الشهير آغا بزرك الطهراني (أعلى الله درجاته) في (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) في الأجزاء الأربعة المرقمة بـ (٩) فقد أنسى قائمة (ديوان) بـ (٨٤٨٨) عنواناً للدواوين وأغلبها شعر في الإمام الحسين، بل وبعضها متمحض فيه لم يشرك به سواه.

ويقول السيد علي بن الحسين الهاشمي الخطيب: "ورثته الشعراء في كل جيل ولم يرث قتيل أو فقيد بمقدار ما رثي به الحسين بن علي عليه السلام، ولن يستطيع أحد إحصاء الشعراء الذين رثوا الحسين فضلاً عن مرآتهم"^(٢).

ويقول العلامة الشيخ محمد جواد مغنية: عليه السلام

"وما عرفت البشرية جمعاء، عظيماً من أبنائها قيل فيه من الشعر ما قيل في الحسين بن علي عليه السلام، ولو تصدى متبع للمقارنة بين ما نظم فيه وما نظم في عظماء الدنيا مجتمعين لتعادلت الكفتان، أو رجحت كفة الحسين، وما هي هذه المجموعة (الشبرية) إلا نقطة من بحر، وحبّة من رمل"^(٣).

أما السيد الخطيب الشهير جواد شبر فيقول:

"فليس في الدنيا وقعة كوقعة الحسين هزت العالم هزاً عنيفاً، وأثرت

(١) وتجدر مراجعة ما كتبه السيد الجليل العلامة المكرم عليه السلام في مقتل الحسين ص ١١٦ تحت عنوان (قول الشعر فيهم).

(٢) تأريخ من دفن في العراق من الصحابة ص ١٣٩.

(٣) في مقدمته القيمة لموسوعة السيد جواد شبر (شعراء الحسين) أو أدب الطف ص ١٠.

أثرها الكبير في النفوس، وأهاجت اللوعة، واستدرت الدمعة، بل هي التي كونت فيهم هذا الأدب الثر، والشعور الفياض، وخلقت منهم أكبر عدد من الشعراء، حتى قيل: إن الأدب شيعي، وقيل: وهل وجدت أديباً غير شيعي. ويقول: نعم، إن الشعر الذي قيل في يوم الحسين عليه السلام يحتاج إلى مئات المجلدات إذا أردنا استقصاءه وجمعه، وإن شاعراً واحداً وهو الشيخ أحمد البلادي من شعراء القرن الثاني عشر الهجري نظم ألف قصيدة في رثاء الإمام الحسين عليه السلام ودوتها في مجلدين ضخمين، كما روى ذلك الشيخ الأميني في موسوعته... إلخ^(١).

ونقل السيد الجواد جملة مهمة مما كتبه الدكتور عبد الحسيب طه حميدة في كتابه (أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري)^(٢). ولو أردنا الإحصاء لفاتنا الكثير الكثير، وإن بذلنا الغاية من الاستقصاء، وفي ما أوردناه كفاية.

وللحديث عن الشعر الشعبي (اللهجة الدارجة) مجال خصب وله أصوله ومناهجه، وحفل بفحول وأقطاب^(٣)، وقد أثرت هذه الملحمة

(١) مقدمة السيد جواد لموسوعته ص ١٧ وص ١٨.

(٢) مقدمة السيد جواد لموسوعته ص ١٩... إلخ.

وقد قرظ كتاب الدكتور وأثنى عليه العلامة مغنية ونقل مقتطفات منه ونقده بخاصة في الفصل الثالث منه في طبعته الأولى ونبه على جمل من مواطن الخلط والاشتباه. لاحظ: مع بطله كربلاء ص ١٣٧، (أدب الشيعة). أقول: ولعل الناظر في الكتاب يقف في كثير من فصوله على مجال للنقد والملاحظة كحديثه عن السيد الحميري مثلاً وأنه شاعر الأساطير الشيعية وجهات أخرى عديدة جداً جداً لست الآن في صدد مناقشتها، ولقد سبرت الكتاب كاملاً وقد تعلمت من ذلك أن الوقوف على الحقيقة هو الأمثل في التقييم.

(٣) ومن شعرائه الأفاضل البارزين الشيخ محمد بن نضار العراقي والسيد الشرع وابن منظور والفتلاوي وغيرهم رجالاً ونساءً من العراقيين، والخطيب الشهير ملا عطية الحميري وابن فايز وغيرهما من البحرين، والحاج أحمد العوى والملا عبد الله بن عيد وغيرهما وهم كثر من بلادنا (القطيف) وكذلك في عموم بلاد العرب ومن خوزستان الإيرانية، وقد تجلّى في كثير من الشعر والشعراء الإبداع والفن

الأدب، وأهملت، وراجت به أسواقها وعمرت ميادينها، ولا زالت وسوف تبقى الأجيال تعل وتنهل من المنهل العذب (والمنهل العذب كثير الزحام).
فإذا بموسوعة عن شعراء الغري وثانية عن الحلة^(١) وثالثة البابلديات^(٢)، وهكذا يمددها ويزودها عطاء الحسين الزاخر.

وانبرت الأفكار والأقلام لتحليل هذه الظاهرة، وأملت الدراسات والمحاضرات في هذا المجال، سواء في أدب الطف بعامة، أو أدب بعض شعرائه بخاصة، نظير ما كتب عن السيد حيدر الحلبي وهو (ناعية الطف) للشيخ عبد الجبار الساعدي أو الحاج هاشم الكعبي أو الكميت أو دعبل أو الحميري وغيرهم وهم كثير.

وأود هنا أن أشير وأشيد بالمحاضرة القيمة التي جاد بها الدكتور العلامة الشيخ عبد الهادي الفضلي (دامت أيام فضله) حول شعر الطف وعوامل نظمه، وبدايته وألوانه وأهدافه^(٣). وحيداً لو طورها محاضرها ومقدمها الدكتور وتوسع في أطرافها ودرس فيها شعراء من غير الشيعة وناقش بعض المؤلفين في هذا المجال^(٤)، تجاءت كتاباً حافلاً بالعلم والأدب والتاريخ.

وتجدر الإشارة والتنبيه لما خبرته يراعة المؤلف القدير العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين في الفصل الثالث من كتابه (ثورة الحسين في الوجدان الشعبي) حول الشعر الرثائي. وأكتفي بالإرجاع إلى هذه الكتب والبحوث عن إيراد أحاديث أهل البيت الحائة وبكل تأكيد على نظم الشعر

والرقة والخيال.

- (١) الموسوعتان للأديب الشهير الأستاذ علي الخاقاني.
- (٢) للخطيب المعروف الشيخ محمد علي اليعقوبي.
- (٣) وهذه المحاضرة قرأتها في مجلة (النجف) ثم أضاف عليها محاضرها وقدم لها لموسوعة الخطيب المشهور الشيخ جعفر الهلالي (معجم شعراء الحسين) ولدي نسخة منها بخط كاتبها الشيخ الفضلي.
- (٤) أمثال الدكتور عبد الحسين طه المذكور آنفاً.

في الحسين، ولمزيد الاطلاع تراجع كتب الحديث والزيارة^(١).

ب- الكتابة:

وهي أسلوب أوسع وأشمل، حيث المجال رحب للبحث والتحقيق، والتحليل والتدقيق والتعليل، وهي الأداة الأقدر على التبسط في الحججة والبرهان، وسبحان الله فقد انبرت الأقلام تخط ما تمليه عليها الأفكار ولم ينقطع الخط، ولم يقف الحرف، واتسعت دوائر النشر أكثر من آفاق الشعر، فالفقيه، والمتكلم، والمؤرخ، والقاص، وسواهم، يفيضون في الحديث عن الحسين، كل من زاوية اختصاصه، وكما لم يحصر الحسين في شعر شيعة وأوليائه، فكذلك هو المنطلق في المجال الأرحب على براعة كل كاتب، مسلماً كان أو مسيحياً أو غيرهما. وما ذاك إلا لسر ضمته جوانح هذا العظيم^(٢).



يقول الأستاذ علي محمد دخيل:

”ولو جمع ما قيل في الحسين ^{عليه السلام} من شعر ونثر لكانت أعظم موسوعة عرفها العالم، ولكانت وحدها مكتبة كبيرة، تعد مجلداتها الألوف، فليس هناك من لغة لم يتغن شعراؤها بالحسين ^{عليه السلام}، ولم يسجل كتابها ثورة

(١) كامل الزيارات، وبحار الأنوار، ووسائل الشيعة للشيخ الحر العاملي وغيرها. وأود هنا الإشارة إلى البحث القيم الذي قدمه الأستاذ محمد سعيد الطريحي وشارك به في مهرجان الغدير (في لندن) ونشره في مجلته الموسم (أهل البيت في الشعر العربي والعالمي)، ففي جانب مهم منه أورد قوائم بالمراثي الهندية، والكجراتية، والتركية، والملاحم الفارسية، وبالشعراء الشعبيين، ودراسات حول أدب الطف، إلى كثير من هذا، وإن كان ما لم يذكره أكثر وأكثر. مجلة الموسم العدد السابع، المجلد الثاني ١٩٩٠م ١٤١١هـ ص ٧٨٨... إلخ.

وكذلك أشير وأشيد بما قام به الأستاذ علي محمد علي دخيل في المجموع الخاص عن الشعراء والشعر في أهل البيت من مسلمين وغيرهم (تحت راية الحق).

(٢) (آلام الحسين) وهو نص فرنسي عن فاجعة الطف وفيها استعراض لأراء كبار الكتاب الفرنسيين والمفكرين منهم في القرن التاسع عشر، الموسم ص ٦٢١.

الحسين، ولم يؤرخ مؤرخوها فمضة الحسين، فهو عليه السلام الخالد عبر العصور المتطاولة، والأجيال المتعاقبة^(١).

وجاء في مجلة الموسم:

شعبان سنة ١٤٠٩ وسنة ١٩٨٩م: أعلن مركز الدراسات والبحوث العلمية في بيروت عن المباراة الكتابية عن الإمام الحسين عليه السلام، وما تزال الكتب تترى، ثم ذكر القائمة المقدمة بالكتب والبحوث والدراسات^(٢).

واتجهت الدراسات العليا للكتابة في جوانب متنوعة في قضية الإمام العظيم^(٣).

ومن جملة ما كتب حديثاً الموسوعة الكبرى (دائرة المعارف الحسينية)، وقد عني المشرف عليها الشيخ محمد صادق الكلباسي بجمع ما قيل شعراً ونثراً في الإمام الحسين عليه السلام بما تبلغ به مئات المجلدات، وقد صدرت منها إلى الآن عشرات الأجزاء.



مركز تحيية كويتير علوم ورسول

ج- التمثيل:

وعنيت به المواكب المتحركة، وحلقات العزاء، والتشبيه للشهداء والأسرى.

والحديث متسع هنا، أتيت على شيء منه في دراستي للمنبر وأدواره وأطواره، وحيث أن الحديث يرتبط بمظاهر الخلود في الوجدان الشعبي فمن

(١) الإمام الحسين بن علي ص ١٠٩.

وهذا المؤلف ذو همة عالية ودأب وقد جاد قلمه بالمفيد النافع في مجالات متعددة، وكتبه وإن لم تكن صبغتها علمية إلا أنها جملة الفوائد كثيرة العوائد. جزاه خير جزاء العاملين المخلصين.

(٢) الموسم: مجلة فصلية مصورة تعنى بالأثار والتراث العددان الثاني والثالث سنة ١٤٠٩ هـ سنة ١٩٨٩م ص ٧٢٧ ورئيس تحريرها الأستاذ محمد سعيد الطريحي.

(٣) الحسين في الشعر العراقي (أطروحة ماجستير للدكتور حاتم عبد حبوب الساعدي)، مجلة الموسم العدد السابع المجلد الثاني ص ٨٣٢.

المناسب إيراد نماذج مدللة. وقرأت للشيخ الكاشي حديثاً طريفاً عن جذور التمثيل وأنه يعود إلى زمن الأئمة.

قال الكميّ رحمته الله دخلت على أبي عبد الله الصادق يوم عاشوراء فأنشدته قصيدة في جده الحسين عليه السلام فبكى وبكى الحاضرون، وكان قد ضرب ستراً في المجلس وأجلس خلفه الفاطميات، فبينما أنا أنشد والإمام يبكي إذ خرجت جارية من وراء الستار وعلى يدها طفل رضيع مغمط حتى وضعت في حجر الإمام الصادق عليه السلام، فلما نظر الإمام إلى ذلك الطفل اشتد بكاءه وعلا نحيبه وكذلك الحاضرون^(١).

وقد قرأت للعلامة الشهرستاني رحمته الله حديثاً مستفيضاً عن بدء المواكب في دولة البويهيين وكذلك صوراً عن العزاء في أمريكا الوسطى وعن عزاء التشابيه والتمثيل، وتطوره والتطبير (ضرب الرؤوس بالسيوف)^(٢).

وكذلك تحدث عنها السيد المكرم في المقتل وعن أثرها وجدواها فمن جملة مقاله: وكان عمل الشبيه أوضح المصايد والحجج على القسوة التي جاء بها الأمويون ولفيفهم، من تلاوة الشعر، وذكر المصاب لتسرب ذلك بوضوح إلى أدمغة الأطفال، والعامّة الذين لا يفهمون ما يشتمل عليه القريض والكتب من دقائق الحادثة، وهو أحكم وأأكد في تأثير النفوس واحتدام القلوب، في حفظ الروابط المذهبية بين الأئمة ومواليهم، وله نصيب وافر في رسوخ العقيدة.

ثم ذكر ما يجري في الهند وأشار إلى تداول الشيعة للتمثيل والشبيه من زمن الصفوية... إلخ^(٣).

وقد تطورت وامتدت إلى كثير من بلاد الشيعة بل بلاد الكفر التي

(١) مأساة الحسين بين السائل والحبيب للخطيب الشهرستاني الشيخ عبدالوهاب الكاشي ص ١٥٤.

(٢) فحضة الحسين ص ١٦٠ وص ١٦٥... إلخ.

(٣) مقتل الحسين ص ٩٨ وص ٩٩.

يقطنها جاليات شيعية واتخذت مظاهر وأشكالاً متنوعة من تصوير المعركة بأبطالها جند الحق وجيش البطل ومن موكب سبأيا آل محمد وحكاية لبني أسد ومؤازرتهم لدفن الإمام الشهيد، ومن حرق الخيام بل وإيقاد النار والدخول فيها، كما هو شائع في بلاد الهند وتنقل عنهم الغرائب في ذلك والعجائب، وإلى عرضه مصوراً عبر أجهزة البث المرئي والمسموع (التلفاز والمذياع) ونحو ذلك مما يواكب العصر وتجدد الزمن.

أقول: هنا نقاط ثلاث:

الأولى: إن تأثير التمثيل عظيم جداً، وله فاعليته في النفوس، وتحريكه العواطف، وإثارته للدم، وبقاء الصورة محفورة في ذهن الناظر، ولا سيما لدى الأطفال، وهذا ما يحس ويدرك في انشداد الجماهير للفنانيين الممثلين، حتى عاد للتمثيل مناهج ومدارس وأقطاب.

وكما يقول أحد الأساتذة: إن مشاهدة الطفل أمه تضرب على صدرها في عزاء الإمام الحسين وهو يحاكيها في ذلك يطبع شعوراً محفوراً في نفسه لا يحول ولا يزول. *مركز تحقيق وتطوير علوم إسلامية*

الثانية: إن جملة من تلكم المشاهد والمظاهر حينما يتولاها العوام - وفي الغالب تسيرهم العاطفة فقط - قد يدخلها ما ليس من سنخها وشكلها فتتحرف في مسيرتها.

الثالثة: والعلاج لهذه الأعراض والأمراض يتم بالرجوع إلى رجال العلم والمعرفة بالوظيفة وتقدير الزمان والمكان والشعار واللحن والشكل والمضمون حتى يعود هادفاً مؤثراً بناءً مصطبغاً بالطابع الحسيني، ويرتضيه الإمام الشهيد معبراً عن فمضته، ومبقياً حياً لقيامه وحركته.

وقد عرضت في (المنبر) إلى اختلاف الرأي والنظر الفقهي في مثل هذه الموضوعات، وأقف هنا مشيراً إلى جملة من مواطن البحث والمناقشة في هذه المظاهر من تمثيل وتطبير ونحوهما^(١).

(١) اقرأ عن المناقشات حول (فيلم عن النبي) ما ذكره الشيخ مغنية في مجلة الهادي

١- الخطابة:

وتأتي الخطابة أداة قوية - إن لم تكن أقوى - في الكشف والتعريف للحقيقة، نظراً لما تتمتع به من المواجهة للجماهير، وقراءة الانفعال المنعكس عليه وفيه.

ولها تاريخها العالمي والعربي الحافل بالتأثير، وبعث الحماس، والتشبيط والتخدير، وإماتة الروح، وإطفاء الجذوة.

هذا، وهي الأسلوب الأسرع في الإقناع والمحاورة، والأنفع في الإحاطة بأطراف البحث، وتحليله، وشرح مسأله، والدفاع دونه.

ولذا أهاب أهل البيت عليهم السلام بشيعتهم وشجعوهم على عقد المجالس وإقامتها.

يقول الصادق عليه السلام للفضيل بن يسار:

العدد الأول السنة الثالثة من ٣٠ وموافقته للشيخ ندم الجسر في إنكاره ومنعه، وأورد أدلته على التحريم - وهي بالعناوين الثانوية أشبه - ولست الآن في صدد المناقشة، وكذلك في العدد الثالث من السنة الأولى ص ٤٦ حول عدم موافقة الأزهر على إخراج فيلم عن الحسين أو أي شخصية إسلامية كريمة. وقرأ ما كتبه وقرره العلامة الشيخ مطهري في الملحمة الحسينية ج ٢ ص ١٩٤ وج ١ ص ١٠٦ وتحدث حول المسرح والتمثيل، وأورد نصيحة أبيه للقائمين بذلك ثم أورد حديثاً عن السيد البروجردي (أعلى الله مقامه) ج ١ ص ١٦٢ وكذلك في مواطن. وكذلك ما جاء في النهضة الحسينية للشهرستاني، والسعي إلى إصلاح ذلك في نظره، باستبداله بالمهرجانات الشعرية، والخطابية التي أقيمت في مدينة الكاظمية.

وأيضاً ما حرره حامل لواء المعارضة وداعية إصلاح هذه الشؤون في نظره - السيد الأمين في (التنزيه) وغيره من كتبه.

وما كتبه آخرون كالسيد العلامة محمد حسين فضل الله في عدة من مقالاته. وأخيراً ما جمع من فتاوى الفقهاء والمجتهدين ومراجع الطائفة وتفاصيل الآراء والإطلاق والتقييد فيها من حيث الضرر وعلمه واشتمال العمل على الآلة المحرمة ومن حيث الزمان والمكان ونحو ذلك من ملابسات الموضوع.

أتجلسون وتتحدثون؟ قال: نعم، فقال ^(١): أما إني أحب تلك المجالس فأحيوا أمرنا، فإن من جلس مجلساً يحيي فيه أمرنا لم يموت قلبه يوم تموت القلوب ^(٢).

وقد استجاب الأشياع لهذا الإرشاد والتوجيه، فعمرت تلك المجالس، ونمت وترعرعت - وكل الفضل فيها يعود للإمام الشهيد - وأنت أكلها بإذن رها. أجل، تطورت من استعراض لواقعة الطف، وسرد تاريخها، إلى نشر المعارف الحققة، من عقائد صحيحة، وفقه حياة، ومهذب أخلاق، وتقويم سلوك، وتاريخ حافل، وأدب فياض، وعطاء زاخر في كل جانب، ونظرة في العالم - وأقول: العالم لأنك لا تجد فيه لمة من الشيعة إلا وللخطابة مجالس عندهم، وأندية بينهم، أيام المواسم خصوصاً، وعموم السنة عموماً - توقفك على الأثر الخالد، وتسمعك الدوي الذي أقام دعائمه الإمام أبو عبد الله ^(٣).

تتجأوب الدنيا عليك مآتماً نواعيك فيها للقيامة عكفُ وقد أخذنا بجمل وافرة عن المآتم والمنبر والخطابة في الفصل المعقود لذلك.

(١) مقتل الحسين للسيد المكرم ص ٩٨ والروايات في هذا المجال عديدة.

(٢) قال الشيخ محمد جواد مغنية: كان المنبر فيما مضى الوسيلة الكبرى للدعاية والإعلام ثم تطورت وسائل النشر إلى الكتب ومنها إلى الصحف والمسرح والإذاعة ثم إلى التلفزيون والروايات والألواح الفنية والبعثات التبشيرية وقال: والشيعة لا يملكون من وسائل الإعلام إلا المنبر الحسيني وبعض المؤلفات ولكن جماهير منبر الحسين لا يحلم بما كتب ومؤلف وهو سلاح له خطره ومضاره في محاربة البطل وأهله والزندقة والإلحاد لأن الهدف الأول من هذا المنبر أن يبث في الناس روح الحسين... الخ. مقدمة أدب الطف للسيد جواد شيرج ص ١٤ و ١٥.

أقول: وصلى الله على روح الحسين الطاهرة فعاد منبره وذكره وإحياء أمره علماً مهماً ومؤثراً في نشر الدين ورسالة الإسلام على أوسع نطاق وأرحب مجال، ونال شيعته شرف هذه المهمة وتعاهد هذه الخدمة، وهذا عطاء الحسين والفضل منه وإليه يعود.

وإذا كان لي من كلمة أختتم بها هذا الفصل: الخلود ومظاهره فهي:
 أولاً: إن العناوين المطروحة تتسع لصفحات وصفحات، ولم يكن من
 القصد الإحاطة والشمول، وإنما الإشارة والتدليل.

وثانياً: إنها ليست وحدها مظاهر الخلود في الوجدان الشعبي، فلم
 أعن^(١) الحصر، وآفاق الحسين مترامية، وآثارها المتغلغلة في الأعماق عامرة
 وغامرة^(٢).

وثالثاً: تؤكد على ضرورة إنجاح هذه المظاهر بإصلاحها، وتشبيدها
 على أساس قويم، منبعث عن علم وتركيز، بكل عوامل الإصلاح مضموناً
 وشكلاً، وفي عموم جوانبها وجنباها، حتى تحقق غايتها ورسالتها، فالعلم
 والثقافة ومعرفة الزمان وأهله في شؤونه وشجونته وأساليب إصلاحه،
 واللباقة، والصوت، والحركة وحسن الإشارة، وبداهة الخطر مع الإيمان قولاً
 وعملاً، عوامل لنيل التوفيق، لأداء المهمة الكبرى كما يليق.

ثالثاً: ملحق عن الكرامات والبركات الحسينية ومن هنا

وهناك في عالم الأسرار:

رغبت في هذا الملحق في إيراد أصناف شتى ترتبط بالإمام الحسين
 العظيم ولها صلة وثيقة بأحاديث جاءت في الكتاب تصلح أن تكون لها

(١) فالحسينيات وهي في الغالب مبان من قاعات وساحات موقوفة لإحياء أمر
 الحسين فيها، ومثلها الموقوفات الأخرى من حقول ويساتين وأماكن أخرى
 بصرف ريعها في إحياء الدين من طريق الحسين، وكذلك البئذ السخي للإطعام
 أيام مناسباته وما أكثرها وأجلها، والنذور، وقبضة من بشد الرحال لزيارته نيابة
 عن الأموات بوصية منهم أو تبرعاً عنهم إلى كثير من الممارسات تتجه هذا
 الاتجاه.

(٢) ككتاب (الحسين في المعتقد الشعبي المصري) وهو عنوان أطروحة الماجستير
 للباحث المصري المهندس شريف محمد راشد بكري، كما جاء ذلك في مجلة
 الموسم العدد الثاني والثالث سنة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م ص ٦٤٢.

شاهداً وعليها دليلاً ولا تخلو من طرافة.

١- حول المنبر والقراءة والقراء والحسينية

أ- الشيخ نصار العبسي:

هو أول من أسس إقامة مجالس التعزية في النجف ومن عصره كثرت في المجال، وأجريت سنته حتى يومنا هذا، وكانت وفاته في حدود سنة ١٢٤٠هـ^(١).

ب- حسينية في مكة المكرمة:

الشيخ المولى باقر التستري وكان من الأعظم، حجّ مراراً، وصارت بينه وبين شريف مكة صداقة أكيدة، وصلة وثيقة، وجاور مكة سنين ناظر فيها المخالفين فأفحمهم، واستبصر منهم ببركته جملة.

وقد كتب إلى السيد محمد تقي الشهير بالسيد آغا ابن السيد محمد الموسوي الجزائري الساكن في بمبي يطلب منه أن يرغب شيعة بمبي لببذل كل فرد منهم روبية واحدة لتعمير الحسينية المحروية الواقعة في محلة القرارة بمكة الموقوفة على الشيعة التي كانت تقرأها التعزية في كل عام، وكانت الشيعة تسكنها في غير الموسم، ومنهم المترجم فقد سكنها عشر سنين بعضها متفرقة وبعضها متوالية وانتقل إلى رحمة الله تعالى في ١٣٢٧هـ^(٢).

ج- زيارة عجيبة في المدينة الطيبة:

قال العلامة الشيخ فرج العمران: جئنا إلى مسجد الغمامة للصلاة فيه والدعاء ونحن جماعة كثيرة، فلما رأنا أحد خدام المسجد، وكان عليه إزار فقط، تقدم إلي وأنا في المحراب قائلاً: أتمس منك أن تأذن لي بقراءة دعاء

(١) شعراء الغري ج ٢ ص ٣٢٤ عن تكملة أمل الأمل للسيد حسن الصدر وقد ذكر أسرقم الشريفة صاحب ماضي النجف وحاضرها ج ٣ في مواطن عديدة ومنها ص ٤٧٧ و ص ٤٧٩ وأن العلامة المقدس الشيخ شريف آل العلامة صاحب الجواهر قرأ لهم، ولأجل ماتهم ألف (مثير الأحزان).

(٢) طبقات أعلام الشيعة ج ١ ص ٢١٨.

وجدته في كتاب سيدنا علي (كرم الله وجهه)، فأذنت له فأخرج من إزاره كتاب زيارة مولانا الرضا عليه السلام طبع إيران فشرع يقرأ الاستيذان، ثم قرأ زيارة الرضا عليه السلام، ثم زار الحسين عليه السلام بزيارة وارث، ثم قرأ الدعاء المذكور في زيارة الإمام الرضا عليه السلام، وفي أثناء زيارة الحسين تأثر الحاضرون وبكوا بكاء عالياً على سيد الشهداء عليه السلام.

إذا ذكِرُ الحسينُ فأبى عينُ تصونُ دموعها صوتَ احتشامِ
بكته الأنبياءُ وغيرُ بدع بأن تبكي الكرامَ على الكرامِ

وبعد أن قرأت على الجماعة بعض الأدعية الماثورة انصرفنا من المسجد متعجبين جداً من هذه الصدفة الغريبة التي قلما يشاهد نظيرها في المدينة في مثل هذا المكان من مثل هذا الرجل يمثل هذه الصراحة... إلخ^(١).

د- الضبط والدقة:

الشيخ إبراهيم الخراساني الكاجي الأصفهاني الكرباسي.

وعن كتاب (شفاء الصدور) أن بعض الفضلاء المتدينين قال على المنبر حاكياً عن سيد الشهداء عليه السلام في جملة حكاية أنه قال: يا زينب يا زينب، فصاح به الكرباسي في الملاء العام: كسر الله فمك، الإمام عليه السلام لم يقل يا زينب مرتين وإنما قال مرة واحدة (انتهى)^(٢).

هـ- ناصر الدين شاه وزيارته للإمام الحسين وقراءة الخطيب:

”ولقد سمعت من بعض المعمرين الذين أدركوا عهد قيام الملك ناصر الدين شاه كبير ملوك السلسلة القاجارية في زيارته للعبات المقدسة في

(١) الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية ج ٤ ص ١١٦ صواد شهر ذي الحجة الحرام سنة ١٢٧١ هـ.

(٢) أعيان الشيعة ج ٢ ص ٢٠٦، والسيد الأمين (قدس الله تربته) يهتم كثيراً بإيراد هذا النحو من هذه المسائل تأكيداً لما يهدف إليه من غرض إصلاح المنبر من كل وجه يراه المحسن حسناً، كما جاء في أعيانه ج ٢ ص ٨٨ في ترجمة الملا آقا الدربندي وص ٣٣٣ ترجمة السيد أبو الحسن.

العراق سنة ١٢٨٧ هـ أنه حينما كان يزور مشهد الإمام الحسين عليه السلام وهو عند ضريحه المطهر إذ خطب أمامه أحد خطباء المتبر الحسيني خطبة مؤثرة جداً عن الفجيرة الحسينية وتطرق أثناء كلامه إلى كلمة يقال إنها بدرت يوم عاشوراء من الإمام الحسين عليه السلام في أخرج ساعاته وهي: هل من ناصر ينصرني، فقال الخطيب صارخاً: إن ناصرك قد أتى وهو الآن بين يديك لينصرك، فضج الجميع بالبكاء، وكان نحيب ناصر الدين شاه وبكاؤه أعظم منهم، وأنه رفع تاجه عن رأسه وألقاه بحرارة أمام الضريح من شدة التأثر^(١).

٢ - كرامات الحضرة المقدسة والتربة المشرفة:

١ - نقل العلامة الحجة الشيخ فرج العمران عن فضيلة العلامة الشيخ عبد الكريم الفرغ العوامي ما دونه في بعض مؤلفاته:

«فمن حسن التوفيق ما رأيناه من خوارق العادات عند ضرائحهم المشرفة، وأعجب الحوادث ما صدر في الساعة الحادية عشرة عصر يوم الثلاثاء الثالث من شهر رجب الأصب سنة ١٣٧٠ هـ في المشهد الحسيني، وقد كنت حاضراً مع جمع غفير من الناس يعد بالمئات، وقد ضمنا جميعاً الصحن الشريف الحسيني، وكان هناك جماعة من البنائين قد اشتغلوا بصبغ الإيوان الذهبي المقابل للباب القبلي، وكان من جملتهم رجل يقال له كلظم الحداد على مرتفع ينوف على اثني عشر متراً ارتفاعاً، وكانت هناك أخشاب يصعدونها بالحبال لحاجتهم، فمد هذا الرجل يده إلى الخشب ليعينهم على تصعيدها فعلمت يده اليسرى بالسلك الكهربائي، والقوة مفتوحة، فجذبه الكهرباء من مكانه وبقي معلقاً من يده اليسرى، وهو يلوح باليد اليمنى وقد انقطع صوته، فكأنه يستغيث في خلاصه، فبقي هكذا ما ينوف على

(١) تاريخ النياحة للسيد صالح الشهرستاني ج ٢ ص ٩٥ عن الشيعة والتشييع للسيد أحمد الكسروي، ولم أوردتها نظراً إلى تركية ناصر الدين وإطهار صلاحه، وإنما هي حادثة لافتة موافقة لغرضنا هنا، والله العالم بحقائق الأمور والأحوال.

خمس دقائق وجميع الأنظار شابحة إليه حتى سكنت حركته، فما شك الناس أجمع في أن التيار الكهربائي قد قضى عليه، فبينما الناس كذلك، إذا به قد خرّ على أم رأسه من هذا العلو إلى الإيوان، وكان مفروشاً بالصخر المرمر فأخذت الناس الدهشة والأسف على هذا المسكين، وهو أنه علاوة على خروج روحه بهذه الحالة يتحطم جثمانه، لأنه لم يشك أحد ممن رأى وقوعه في أن يكون كومة لحم وعظام متكسرة، وبالأخص رأسه لوقوعه عليه، ونحن في فكر كيف يحمل وكيف يغسل، وإذا به قد أقبل علينا يمشي على قدميه، والناس قد حفت به يميناً وشمالاً، وهو يتسهم ويقول إلى الناس: ليس بي شيء، ولكن دائرة الصحة لاحتياطها قررت أخذه إلى المستشفى ليكسب راحته، ولو من تجمهر الناس عليه، لأنه من أعجب الحوادث وخوارق العادات.

إلى أن قال: "وهذا بمنظر الجمهور من الناس لأن هذا اليوم موافق ليوم وفاة الهادي عليه السلام، فالأسواق والأشغال معطلة، وأكثر الناس مجتمعة على العادة في الصحن الشريف وقد تجلت العناية الإلهية بأهل البيت ومن لاذ بهم، وظهر أن معاجزهم وكراماتهم متصلة في الحالين (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا)، فالحمد لله على معرفتهم واتباعهم، ونسأله أن يجعلنا معهم في الدنيا والآخرة، وأن يغفر لنا ويرضى عنا بمنه وكرمه وصلى الله على محمد وآله الهادين إلى الحق المبين"^(١).

٢- ومن بركات تربته ما من الله به عليّ:

وذلك حينما كنت مهاجراً لطلب العلم في عش آل محمد قم المقدسة، فكان يعاودني ألم شديد في حزام الظهر، وكنت أشد حزاماً من صوف عليه، وكان الألم يحد من نشاطي وحركتي وتلاحظ آثاره عليّ، وعقيب صلاة الظهرين في البيت ألقى في روعي أن تربة سيد الشهداء مباركة يستشفى بها، فتناولتها ومسحت بها مواضع الألم مبتدئاً - علي ما أذكر - من الطرف الأيسر، فما رفعتها من الطرف الأيمن إلا وارتفع معها

(١) الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية ج ٥ ص ٨ (كرامة حسينية).

وبها الألم، فعرتني حالة خاصة وجرت عبرتي، والحمد لله واهب العطاء مكرم سيد الشهداء بجزيل الحباء.

مولي بتربته الشفاء وتحت قبته الدعاء من كل داع يُسمع
ومن كراماته: النعمة على حسن طالب نعمة:

قال العلامة الشيخ محمد جواد مغنية: حسن طالب نعمة، تشاجر مع آخر قطعته هذا بسكين غاصت بكاملها في أمعائه ومزقتها تمزيقاً، وخرج ما فيها، وأشرف حسن على الهلاك، فعرضه أهله على عدد من الأطباء منهم الجراح المعروف نبيه الشاب الموجود حالياً في صيدا، فأجمع الأطباء كلمة واحدة على أنه ميتٌ بعد لحظات لا محالة، وأن التطبيب لا يجدي شيئاً، وقبل أن يلفظ النفس الأخير أصابته غفوة رأى فيها الحسين بن علي سيد الشهداء عليه السلام فاستغاث به، فوضع الحسين يده الشريفة مكان الجرح، فعاد كل شيء صحيحاً كما كان، وقام الرجل من ساعته معافى كأن لم يكن شيء، وهو الآن حي يرزق، ويعرف ذلك جميع أهل حبوش البالغ عددهم أكثر من ثلاثة آلاف نسمة، ومنهم صديقاي العلامتان الشيخ عبد الله نعمة -صاحب (فلاسفة الشيعة)- وأخوه الشيخ عبد الحسين، وهما اللذان أخبراني بذلك، ومن شاء أن يسمع ويرى فليذهب إلى حبوش، ويسأل عن حسن نعمة^(١).

(١) بين الله والإنسان ص ١٠٢، وتقع بلدة حبوش في جنوب لبنان جبل عامل قرب النبطية، كما جاء في الكتاب.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



المذنب
المنبر
عزيم
واقتراح

مراحل تدرجه

تأكيد أهل البيت عليهم السلام على
إحياء المآتم وإبقائه حياً

النيابة

المواكب واستعراض بعض صورها
عبر التاريخ

مركز تحقيق كتاب ترمذ في علوم الحديث

ارتفاع شأن المنبر

واقع المنبر القائم

نظرة في الإصلاح

اقتراح في طريق الإصلاح

ملحق ذو صلة



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

المنبر الحسيني:

الأحداث تترجم أبطالها، وتحكي واقعهم، وتروي جلائل أعمالهم، فيحتفظ لهم التاريخ المنصف بذلك، ويبقون تراثاً ومجداً، وقد يفني لهم فيبقي لهم عطر الذكر وجميل الثناء، وقد يسدل عليهم بساط النسيان فلا تسمع منهم حساً ولا همساً.

والأحداث الجسام لو قنعت بذلك لما أدت غرضها، وحققت قصدها وغايتها، كيف.. وهي تسعى لتبقى حية طرية خالدة ماثلة نابضة تتحرك وتحرك، وتدعو لقراءة فصولها، ولحياة أيامها، والوقوف على مبتدائها، وخبرها ومنتهاها، ومسايرتها في ثناياها وأطرافها، وأخذ التجربة والدرس والعبرة منها، فلا بد لها من إشاعة وإذاعة، وبيان وإعلان، وصوت قوي وعزم ماضٍ وجلجلة مدوية، استمر انطلاقها من زمن وقوعها وخرق الحجب وشق أثر الزمن ليعرض الوقائع حية كما بدأت، ويوصل ما تقام عهده ونأى أمده بما هو حاضر معيش ومستقبل متوقع.

وقضية بمستوى واقعة كربلاء في بعدها الإنساني وثقلها المعنوي، هي قضية الحياة، وحادثة الدهر، وهي تفرض عرض واقعها بتلاوة شجونها وشؤونها وكل ملابسها، عرضاً معبراً صادقاً وقوياً، يجسدها ويخلدها، ويوجه الأفئدة والأفكار والأرواح والنفوس نحوها، ويعمقها، فتعود بذلك - كما أريد لها - حديث الأحياء، يستجلون جوهرها، ويهتلون بنورها، ويعيشونها روحاً وفكراً وسيرة حياة.

وخير أداة معبرة تفيض بالحس وبراعة الرواية والتصوير، وأفضل ترجمان للأبطال وبطولاتهم بما انطوا عليه من طيب السريرة، وجميل السيرة، وما قلموه من تضحيات بهرت العقول وحيرت الألباب.

أجل هو: المنبر الحسيني.

فهو التالي لسفر الخلود، والحافظ لأسرار نهضة الإمام الشهيد، والمصور الحي لقيامه، والباعث لذكره والمجدد لعهد.

١- مراحل تدرج المنبر:

وما إن وقعت الواقعة، ونزلت الفاجعة، حتى قامت المآتم، واتخذت في ذلك صوراً وأشكالاً:

أ- الحسين الصريع مآتم باق في أرض كربلاء ومآتم متحرك:

كلما رُفِع رأسه الشريف على القنا الخطار، أو وضع بين يدي وغد لثيم قرعه بمخصرته، أو نكت أسنانه بقضيبه، أو نصب في مجمع المتفرجين الشامتين، أو نزل به حاملوه في حاشية من طريق الشام عند صومعة راهب، أو في غلس الليل، هذا ورأسه الشريف بكريمته التي نصل بعض خضابها يذكرهم بالله المنتقم قارئاً لقرآنه، ونظراً لعياله، من عليل ونسوة بلا كفيل وأطفال أبلت المصائب أجسامهم، فعادوا أشباحاً بلا أرواح^(١).

(١) وكلام الرأس المقدس ينضم إلى مجموعة من كرامات الأولياء الخاصة بسيد الشهداء عليه السلام كما أوردنا شطراً مهماً منها في فصل مستقل من هذا الكتاب، وقد أفاض القول في هذا السيد المقرم في المقتل وأسند ذلك إلى عدة مصادر من السنة والشيعه، كالسيوطي في الخصائص ج ٢ ص ١٢٧، وإرشاد المفيد وغيرهما، وأورد عدة أشعار نذكر بعضها وغيرها.
مقتل الحسين ص ٤١٢.

يقول السيد رضا الهندي رحمته الله:

لهفي لرأسك فوق مسلوب القنا يكسوه من أنواره جلابيا

يتلو الكتاب على السنان وإنما رفعوا به فوق السنان كتابا

ويقول الشيخ صالح الكواز في نونيته التي يقارن وبشابه الحوادث الجارية على العترة الطاهرة:

لكنما حمل الرأس على القنا أدهى وإن سبقت به صفين

كل كتاب الله لكن صامت هذا وهذا نطق ومبين

ويقول السيد صادق السيد ياسين الحسيني:

إن كان يحيى قد تكلم رأسه لعظيم ما هتكوا من الأستار

ب- المآثم الحي في حياة آل محمد:

فمن شهد منهم الواقعة استولى عليه ما لا يطيقه، وما لا يقدر على التنفيس عنه بعبارة أو حزن أو كمد، وما لا يقوى على روايته أو وصفه، وهم بأنفسهم مصائب ومآثم، فقد استأصل سيف الجور الغاشم عترة الرسول وبقايا الأسرة النبوية.

عَيْنُ جُودِي بَعْبِرَةٌ وَعُوبِلُ	وَأَنْدَبِي إِنْ نَدَبْتِ آلَ الرَّسُولِ
سَتَّةٌ كُلُّهُمْ لَصَلْبِ عَلِيٍّ	قَدْ أَصَابُوا وَسَبْعَةٌ لِعَقِيلِ
وَأَنْدَبِي إِنْ نَدَبْتِ عَوْنًا أَخَاهُمْ	لَيْسَ فِيمَا يَنْسُوبُهُمْ بِخَنُولِ
وَسَمِيَّ النَّبِيِّ غُودِرَ فِيهِمْ	قَدْ عَلَوْهُ بِصَارِمٍ مَصْقُولِ

... إلخ^(١).

ومن أصاخ بسمعه من إجمال ما تلاه بشير بن حزم قائلًا:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها	قتل الحسين فمدمني مدرار
الجسم منه بكر بلاء مضر ج	والرأس منه على القناة يُدار ^(٢)

فلقد تكلم جسمك العاري على الرمضا ورأسك فوق رمح عار

يتلو الكتاب لسانه وبطرفه يرعى سبيلاه على الأكوار

أجل، لقد خلد الشعراء هذه الكرامة في شعرهم، جزاهم الله خير الجزاء.

ويقول السيد رضا الهندي في شأن الرأس الشريف مع العيال:

إِنْ أَخْرَوْهُ شَجَاهُ رُؤْيَ حَالِهَا أَوْ قَنَعُوهُ فَحَالُهُ بِشَجِيهَا

(١) سليمان بن قتة - أو قبّة - العدوي، المجالس السنية للسيد الأمين ج ١ ص ٢٢٤.

(٢) قال بشير: فلما قربنا منها - المدينة - نزل علي بن الحسين عليهما السلام فحط رحله

وضرب فسطاطه وأنزل نساءه وقال: يا بشير رحم الله أبك لقد كان شاعراً فهل

تقدر على شيء منه؟

قلت بلى يا بن رسول الله إني لشاعر، قال: فادخل المدينة وانع أبا عبدالله، قال بشير:

فركبت فرسي وركضت حتى دخلت المدينة فلما بلغت مسجد النبي ﷺ

رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت أقول - البيتين - ثم قلت: يا أهل المدينة هذا علي

ومن علم من تفصيل الإمام علي بن الحسين -بقية الإمامة والعترة-
ومن أم المصائب عقيلة بني هاشم، ومن حضر الواقعة وشهد الفاجعة، لم
يقو كل السامعين على تحمل ما سمعوه. وأين ذلك من المشاهدة والعيان،
فكانوا هم الخطباء والواصفين لما جرى^(١).

ج- خطبة الإمام زين العابدين في المدينة:

خرج من الفسطاط، ويده خرقة يمسح بها دموعه، وخلفه مولى معه
كرسي، فجلس عليه، وهو لا يتمالك من العبرة، وارتفعت الأصوات
بالبكاء والحنين، فأوماً إلى الناس أن اسكتوا، فلما سكنت فورقم قال عليه السلام:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، بارئ
الخلايق أجمعين، الذي بعد فارتفع في السموات العلى، وقرب فشهد
النجوى، نحمده على عظام الأمور، وفجائع الدهور، وألم الفجائع ومضاضة
اللواذع، وجليل الرزء، وعظيم المصائب الفلظعة، الكلاظة الفادحة الجائحة.

أيها القوم: إن الله تعالى وله الحمد، ابتلاتنا بمصائب جليلة، وثلمة في
الإسلام عظيمة، قتل أبو عبد الله الحسين عليه السلام وعترته، وسبيت نساؤه
وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان، وهذه الرزية التي لا
مثلها رزية.

بن الحسين مع عماته وأخواته قد حلوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم وأنا رسوله
إليكم أعرفكم مكانه قال: فما بقيت بالمدينة مخدرة ولا محجبة إلا برزن من
خلورهن مكشوفة شعورهن مخمشة وحوههن ضاربات خدودهن يدعين
بالويل والشبور ولم يبق بالمدينة أحد إلا خرج وهم يضحجون بالبكاء فلم أر باكياً
أكثر من ذلك اليوم ولا يوماً أمر على المسلمين منه بعد وفاة رسول الله
صلى الله عليه وآله... إلخ والحديث طويل. المصدر السابق ص ١٨٢.

أقول: ذكر الله في كثير من الكتب بأنه بشر بن حذلم.

(١) يقول الشاعر الفارسي:

من از تحریر این غم ناتوانم كه تصویرش زده آتش بجانم
نرا طاقت نباشد از شنیدن شنیدن كي بود مانند دیدن

أيها الناس: فأي رجالات منكم يسرون بعد قتله؟ أم أي فؤاد لا يحزن من أجله، أم أية عين منكم تحبس دمعها وتضن عن انهماكها؟ فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأواجها، والسموات بأركانها، والأرض بأرجائها، والأشجار بأغصانها، والحيتان في لجج البحار، والملائكة المقربون، وأهل السموات أجمعون.

أيها الناس: أي قلب لا ينصدع لقتله؟ أم أي فؤاد لا يحن إليه؟ أم أي سمع يسمع بهذه الثلثة التي ثلمت في الإسلام ولا يصم؟

أيها الناس: أصبحنا مشردين مطرودين منبوفين شاسعين عن الأمصار، كأننا أولاد ترك وكابل، من غير جرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلثة في الإسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا في آباءنا الأولين، إن هذا إلا اختلاق، والله لو أن النبي تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصية بنا لما زادوا على ما فعلوه بنا، فإننا لله وإننا إليه راجعون من مصيبة ما أعظمها وأفجعها وأكظها وأفظعها وأمرها وأفدحها، فعند الله محتسب ما أصابنا وما بلغ بنا فإنه عزيز ذو انتقام^(١)

وكان النبي يبكي ليله وفهاره حتى خيف عليه الموت فيعاتب فيذكر حزن يعقوب وبكائه لغيبه ابنه ولديه أبناء، ويقول: وإني نظرت إلى أبي وإخوتي وعمومتي وصحبي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني، وإني لا أذكر مصرع بني فلطمة إلا خنقتني العبرة وإذا نظرت إلى عماتي وأخواتي ذكرت فرارهن من خيمة إلى خيمة^(٢).

د- السيدة زينب أم كلثوم:

أنشأت تقول:

مدينة جددنا لا تقبلينا
فبالحسرات والأحزان جينا
خرجنا منك بالأهلين طراً
رجعنا لارجال ولا بنينا

(١) مقتل الحسين للعلامة المرقم ص ٤٧٢، ٤٧٤.

(٢) المصدر السابق.

ثم أخذت زينب بنت أمير المؤمنين بعضادتي باب المسجد وصاحت:
يا جداه إني ناعية إليك أخي الحسين.

هـ- السيدة سكينه بنت الحسين:

صاحت: يا جداه إليك المشتكى مما جرى علينا فوالله ما رأيت أقسى
من يزيد، ولا رأيت كافراً ولا مشركاً شراً منه ولا أجفاً وأغلظ، فلقد كان
يقرع ثغري أبي بمخصرته وهو يقول: كيف رأيت الضرب يا حسين؟

و- حرائر الرسالة:

أقمن المآتم على سيد الشهداء، ولبسن المسوح والسواد، نائحات
الليل والنهار والإمام السجاد يعمل لهن الطعام.

وفي حديث الصادق عليه السلام: ما اختضبت هاشمية، ولا أدهنت، ولا
أجيل مرود في عين هاشمية خمس خنجر حتى بعث المختار برأس عبيد الله
بن زياد.



ز- السيدة الرباب عليها السلام: *مررت تحت كعبته يوم رمى*

بكت على أبي عبد الله حتى جفت دموعها، فأعلمتها بعض جواربها
بأن السويق يسيل الدمعة، فأمرت أن يصنع لها السويق لاستدرار الدموع^(١).

ح- الإمام الصادق عليه السلام وتجديده لذكرى جده الشهيد (عليه الصلاة
والسلام):

أمر المنصور الدوانيقي عامله على المدينة بحرق بيت الصادق عليه السلام،
فجاؤوا بالحطب الجزل ووضعوه على باب الصادق عليه السلام وأضرموا فيه النار،
فلما أخذت النار ما في الدهليز تصلح العلويات داخل الدار وارتفعت
أصواتهن، فخرج الإمام الصادق عليه السلام وعليه قميص وإزار، وفي رجليه نعلان
وجعل يحمد النار، ويطفئ الحريق، حتى قضى عليها.

(١) مقتل الحسين للعلامة المرقوم ص ٤٧٢... الخ.

فلما كان من الغد دخل عليه بعض شيعته يسئلونه، فوجدوه حزيناُ باكياً فقالوا: هذا التأثر والبكاء أمن جرأة القوم عليكم أهل البيت وليس منهم بأول مرة؟ فقال الإمام عليه السلام: لا، ولكن لما أخذت النار ما في الدهليز، نظرت إلى نسائي وبناتي يتراكن في صحن الدار من حجرة إلى حجرة، ومن مكان إلى مكان، هذا وأنا معهن في الدار، فتذكرت روعة عيال جدي الحسين عليه السلام يوم عاشوراء لما هجم القوم عليهن ومناديهم ينادي: أحرقوا بيوت الظالمين^(١).

ط- الإمامان الكاظم والرضا عليهما السلام:

فالإمام موسى بن جعفر لم ير ضاحكاً أيام العشرة وكانت الكآبة غالبية عليه، ويوم العاشر يوم حزنه ومصيبته.

ويقول علي بن موسى: فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، إن يوم الحسين أقرح جفوننا، وأذل عزيزنا بأرض كرب وبلاء^(٢).

ي- الإمام الحجة المنتظر (سلام الله عليه وعجل فرجه):

يقول: فلأندبتك صباحاً ومساءً، ولأبكين عليك بدل الدموع دماً^(٣).

٢- تأكيد أهل البيت عليهم السلام على إحياء المآتم وإبقائه حياً؛

أ- الرسول الأعظم ﷺ هو المؤسس لمآتم سبطه وربحانته^(٤)، وقد جرى على ذلك الأئمة عليهم السلام في إقامتهم لمآتم سيد الشهداء عليه السلام، وحثهم المؤمنين على العناية بذلك، وقد عقد الأئمة مجالس للشعراء ناصيين الستور

(١) مأساة الحسين بين السائل والمجيب ص ١٣٦.

(٢) مقتل الحسين للمقرم ص ٢٦٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) يراجع للتوسع سيرتنا وسنتنا لحجة الحق الشيخ الأميني، وقد أورد الكثير الكثير في محاضرنه المهمة من المجالس المتنوعة التي عقدها النبي لسبطه الإمام (عليهما) وأهلها السلام، وصحح الروايات على المصادر القديمة المعتمدة عند القوم، وليغتنم الباحث المنصف مراجعة الكتاب.

بينهم وبين سلالات النبوة وعوائل الإمامة، لإسماعهن مصائب آبائهن وأجدادهن، وكافأوا الشعراء على ذلك، وأكدوا على شيعة آل محمد بإقامة العزاء، وأبرزوا فضل المناحة والبكاء، وعمقوا ذلك في نفوس الموالين.

وإليكم نماذج:

ب- روى الجهني عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

ثم ليندب الحسين عليه السلام ويبكيه، ويأمر من في داره بالبكاء عليه، ويقوم في داره مصيبته بإظهار الجزع عليه، ويتلاقون بالبكاء بعضهم بعضاً في البيوت، وليعز بعضهم بعضاً بمصاب الحسين عليه السلام، فأنا ضامن لهم إذا فعلوا ذلك على الله تعالى جميع هذا الثواب.

فقال له الراوي: فكيف يعزي بعضهم بعضاً؟ قال: يقولون: عظم الله أجورنا بمصائبنا بالحسين عليه السلام، وجعلنا وإياكم من الطالبين بشاره مع وليه الإمام المهدي من آل محمد عليه السلام، فإن استطعت أن لا تنتشر يومك في حاجة فافعل، فإنه يوم نحس لا يقضى فيه حاجة، وإن قضيت لم يبارك له فيها ولم ير رشداً... إلخ^(١).

ج- ومن جملة حديث جليل طويل: عن عبد الله بن حماد البصري عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام:

بلغني أن قوماً يأتونه -يعني مشهد الحسين عليه السلام- من نواحي الكوفة، وناساً من غيرهم، ونساء يندبنه، وذلك في النصف من شعبان، فمن بين قارئ يقرأ، وقاص يقص، ونادب يندب، وقائل يقول المراثي، فقلت: نعم جعلت فداك، قد شهدت بعض ما تصف، فقال: الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد إلينا، وممدحنا ويرثي لنا، وجعل عدونا من يطعن عليهم من

(١) كامل الزيارات ص ١٧٥ للشيخ المقدم ابن قولويه، تحقيق الشيخ الأميني، وهذا الكتاب جليل في بابه حافل بما يتصل بالحسين عليه السلام من أمر زيارته والبكاء عليه وفضل رثائه بالإضافة إلى أنه من الأصول الحديثية القديمة فقد كانت وفاة مؤلفه العظيم سنة ٣٦٧هـ.

قرابتنا وغيرهم يهتوهم (يهددوهم) ويقبحون ما يصنعون^(١).

د- قال سهل صاحب الكميت: قال الكميت: دخلت على أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فقال له: جعلت فداك ألا أنشدك؟ قال: إنما أيام عظام، قال: إنما فيكم، قال: هات وبعث أبو عبد الله إلى بعض أهله، فقرب، فأنشده فكثر البكاء حين أتى على هذا البيت:

يصيبُ به الرامونَ عن قوسٍ غيرهم فيا آخراً أسدى له الغيُّ أولُ
فرجع أبو عبد الله عليه السلام يديه فقال: اللهم اغفر للكميت ما قدم وما
آخر وما أسر وما أعلن وأعطه حتى يرضى^(٢).

(١) كامل الزيارات ص ٣٢٥.

(٢) الأغاني ج ١٥ ص ١٢٣. والكميت بن زيد بن خنيس: شاعر فحل قوي التشيع
نظر وخصم بشعره وانتصر لمذهبه وتحمل البلاء في سبيل ذلك، وهو صاحب
(الماشقيات) والبيت الذي أثار شجى الإمام من قصيدة له عليه السلام في رثاء زيد
الشهيد أولها:

ألا هل عم في رابه متامل وهل مدبر بعد الإساءة مقبلُ

ومنها:

كان حسيناً والبهايل حوله لأسيافهم ما يختلى المتبتلُ

وغاب نبي الله عنهم وفقده على الناس رزء ما هناك مجللُ

فلم أر مخذولاً لأجل مصيبة وأوجب منه نصرة حين يخذلُ

وكان أياً عفيفاً بذل له الأئمة عليهم السلام المال الجزيل، فكان يألئ، ويقول: إنما مدحتكم لله وللدين، وكان يرغب بالتبرك بأثواب لامست أجسامهم، قال المستهل بن كميته: قلت لأبي: يا أبت إنك هجوت الكلبي وغمزت عليه فيها ففخرت ببني أمية وأنت تشهد عليها بالكفر، فألا فخرت بعلي وبني هاشم الذين تسولاهم؟ فقال: يا بني أنت تعلم انقطاع الكلبي إلى بني أمية وهم أعداء علي عليه السلام فلو ذكرت علياً لترك ذكري وأقبل على هجائه فأكون قد عرضت علياً له ولا أجد له ناصرأ من بني أمية ففخرت عليه ببني أمية وقلت: إن نقضها علي قتلوه وإن أمسك عن ذكرهم قتلته غماً وغلبته، فكان كما قال أمسك الكلبي عن جوابه

وروي نظير ذلك مع الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام.

وتكرر إنشاده للإمامين الصادقين، وقالت عنه فاطمة بنت الحسين عليها السلام: هذا شاعرنا أهل البيت. ويقول الشيخ الأميني: كثر دعاء النبي الأعظم والأئمة من أولاده (صلوات الله عليهم) له.

هـ- مجلس العزاء عند الإمام الصادق والمنشد السيد الحميري:

روى علي بن إسماعيل عن أبيه قال: كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد إذ استأذن آذنه للسيد فأمر بإيصاله، وأقعد حرمه خلف ستر، ودخل فسلم وجلس، فاستنشده فأنشده قوله:

امرؤ على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكية
 أعظماً لأزليت من وطفاء ساكية روية
 وإذا مررت بقبره فأطل به وقف المطية
 وابك المطهر للمطهر والمطهرة النقية
 بكاء معولة أنك لوأحدها المنية

قال: فرأيت دموع جعفر بن محمد تتحدر على خديه، وارتفع الصراخ والبكاء من داره، حتى أمره بالإمساك فأمسك^(١).

فغلب عليه وأفحم الكلبي، وقد ولد سنة ٦٠هـ ومات سنة ١٢٦هـ وعند احتضاره أغمي عليه ثم أفاق ففتح عينيه ثم قال: اللهم آل محمد اللهم آل محمد ثلاثاً، أنظر الغدير أيضاً ج ٣ ص ١٨٠، وخزانة الأدب ج ١ ص ٦٩، ومعاهد التنصيص وله في أعيان الشيعة ج ٩ ص ٣٣ الطبع الجديد ترجمة مبسطة قيمة وللشيخ عبد المتعال الصعيدي الأزهرى كتاب خاص بعنوان (الكميت بن زيد الأسدي).

(١) اسمه إسماعيل والسيد لقبه، قوي التشيع ولد من أبوين قويي النصب وقيل له في ذلك فقال: غاصت علي الرحمة غوصاً، وكان جريشاً شديداً المنظرية والمخاجة ولاسيما فيما يتعلق بأمر الإمامة، وكان مكثراً في ذكر آل الله لهجاً بهم ولذلك هوجم وخصوصاً وله أخبار ملاح مع سوار القاضي وغيره.

روى عبد الله بن أبي بكر العتكي أن أبا الخلال العتكي دخل على عقبة بن سالم والسيد عنده، وقد أمر له بجائزة، وكان أبو الخلال شيخ العشيرة وكبيرها، فقال له: أيها الأمير أنتعطي هذه العطايا رجلاً ما يفتر عن سب أبي بكر وعمر؟ فقال له عقبة: ما علمت ذلك، ولا أعطيته إلا على العشرة والمودة القديمة، وما يوجب حقه، وجواره، مع ما هو عليه من موالة قوم يلزمنا حقهم ورعايتهم، فقال له أبو الخلال: فمره إن كان صادقاً أن يمدح أبا بكر وعمر حتى نعرف براءته مما ينسب إليه من الرفض، فقال: قد سمعتك فإن شاء فعل، فقال السيد:

إذا أنا لم أحفظُ وصاةَ محمدٍ	ولا عهدَةَ يومِ الغديرِ المؤكدا
فإني كمن يشري الضلالةَ بالهدى	تنصَّرَ من بعدِ الثَّقَيِ وقوِّدا
ومالي وتيم أو عدي وإنما	أولو نعمتي في الله من آلِ أحمدِا
تتم صلاتي بالصلاةِ عليهم	وليست صلاتي بعد أن أتشهدا
بكاملةٍ إن لم أصبِلْ عليهم	وأدعُ لهم ربُّا كريماً مجدا
بذلت لهم ودي ونصحي ونصرتي	مدى الدهرِ ما سميتُ يا صاحِ سيِّدا
وإن امرأ يلحى على صدقٍ وتيمِّمُ	أحسُّ وأولى فيهم أن يفندا
فإن شئتَ فاخترْ عاجلَ الغمِّ ظلَّةَ	وإلا فامسكْ كي تصلِّا وتحمدا

ثم نهض مغضباً، فقام أبو الخلال إلى عقبة، فقال: أعذني من شره، أعاذك الله من سوء، أيها الأمير، قال: قد فعلت على أن لا تعرض له بعدها. وقال الحسن بن علي بن المغيرة: حدثني أبي قال: كنت مع السيد على باب عقبة بن سالم ومعنا ابن لسليمان بن علي ننتظره وقد أسرج له ليركب إذ قال ابن لسليمان بن علي يعرض بالسيد: أشعر الناس والله الذي يقول:

محمد خير من يمشى على قدم	وصاحباه وعثمان بن عفانا
فوئب السيد، وقال أشعر والله منه الذي يقول:	

سائل قريشاً إما كنت ذا عمه	من كان أثبتها في الدين أوتادا
من كان أعلمها علماً وأحلمها	حلماً وأصدقها قولاً وميعادا
إن يصدقوك فلن يعدوا أبا حسن	إن أنت لم تلق للأبرار حُسَّادا

ثم أقبل على الهاشمي فقال: يا فتى، نعم الخلف أنت لشرف قومك، أراك تهدم شرفك، وتثلب من سلفك، وتسعى بالعداوة على أهلك، وتفضل من ليس أصلك من

و- وتكرر منه الإنشاد لشعره في مجالس أخرى عند الإمام الصادق عليه السلام ومنها ما أنشده فيها قصيدته العصماء فضيل الرسان:

لأم عمرو باللوى مربعُ دارسةً أعلامُسه بَلَقَعُ
حتى وصل إلى قوله:

فالناسُ يومَ البعثِ رايأثمهم
قائدُها العجلُ وفرعوئهم
ومارقٌ من دينه مخرجُ
ورايةً قائدُها وجهُه
خمسٌ فمنها هالكٌ أربعُ
وسامريُّ الأمةِ المفظعُ
أسودٌ عبدٌ لكع أو كعُ
كأنه الشمسُ إذا تطلعُ

فسمع النحيب من داره من وراء الستور^(١).

ز- ومن جملة من استنشده الإمام الصادق عليه السلام فأنشده أبو هارون المكفوف، ويرغب الإمام في إيقاع الإنشاد شجياً حزيناً فقال له مرة: كما تنشدون، وكما تربيته عند قبره، ومرة أخرى قال له، أنشدني كما تنشدون، يعني بالرقعة^(٢).

أصله، على من فضلك من فضله... إلخ. ومما قاله للقاضي سوار في بعض ما جرى بينهما:

ونحن على رغمك الرافضون لأهل الضلالة والمنكر

الأغاني ج ٧ ص ٤-٢٤، وأفاض القول في الغدير ج ٢ من ص ٢١٣ إلى ص ٢٧٨ وذكر له كثيراً من الملح والنوادر وكرامته عند وفاته ومنظرته عن الرجعة، ونلفت نظر الباحثين إلى مناقشة محقق الباحثين الشيخ الأميني للسكتور طه حسين، ومنظرته مع الكميت حول أبيات له ومحاجة السيدة فاطمة الزهراء لأبي بكر وعمر في أمر فلك. وكانت ولادته عليه السلام سنة ١٠٥هـ في عُمان وتوفي في سنة ١٧٣ أو ١٧٨هـ، وله تراجم في عموم كتب الأدب وغيرها وله ديوان.

(١) الأغاني والغدير وقد ذكر من شرحها وخمسها، وإشادة الأئمة بها، وألف فيه كتاباً خاصاً السيد محمد تقي الحكيم بعنوان (شاعر العقيدة).

(٢) الرقة: أي بأسلوب شجي نائح حزين متعارف عندهم في رثاء سيد الشهداء،

يقول أبو هارون، فبكى وتمايح النساء وسمعت البكاء من خلف الستور^(١).

ح- مجلس آخر:

عن عبد الله بن غالب قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فأنشدته مرثية الحسين عليه السلام فلما انتهيت إلى هذا الموضع:

لبليّة تَسقي حَسِيناً بِمِسْقَاةِ الشَّرَى غَيْرِ التَّرَابِ
فصاحت باكية من وراء الستر واأبتاه^(٢).

ط- ومجلس آخر:

عن سفيان بن مصعب العبدي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال: قولوا لأم فروة تجيء، فتسمع ما صنع بجدها، قال: فجاءت فقعدت خلف الستر ثم قال: أنشدنا، قال: فقلت: «فرو جودي بدمعك المسكوب».

قال: فصاحت وصحن النساء فقال أبو عبد الله عليه السلام: الباب الباب، فاجتمع أهل المدينة على الباب قال: فبعث إليهم أبو عبد الله عليه السلام: صبي لنا غشي عليه فصحن النساء^(٣).

ويحتمل أن تكون الرقة هي البلدة المعروفة بين سوريا والعراق وأن يكون الشيعة آنذاك يعتقدون مجلس الرثاء - وهذا مما يحتاج إلى إثبات تاريخي - وما يصلح للاستشهاد أن هارون الرشيد لما سمع قصيدة الشاعر منصور النميري في رثاء الحسين عليه السلام غضب غضباً شديداً وأمر أحد جلاوزته بالذهاب إلى الرقة وقتل الشاعر فلما وصلها رأى جنازة النميري فعاد وأخبر هارون فعاتبه على عدم إحراق جثته ميتاً.

(١) كامل الزيارات ص ١٠٤ و ص ١٠٥ و ص ١٠٦.

(٢) كامل الزيارات ص ١٠٥.

(٣) روضة الكافي لثقة الإسلام الكليني ص ١٨٢، حديث ٢٦٢، و ٢٦٣ ويلاحظ أن الرواية تحكي واقع الحرج والتضييق والخنة، فلذا مال الإمام إلى التقية وذلك من محاسن التورية. وللسيد المقدم تعليقة رائعة في المقتل ص ١١٨.

ويقف الباحث على كثير من هذه المجالس في أيام الصادق عليه السلام (١) وما قبلها وما بعدها وإن كانت في أيام الإمام جعفر بن محمد أكثر وأشهر (٢).

ي- إنشاد دعبل نأيته العصماء في مجلس الإمام الرضا عليه السلام:

دخل دعبل بن علي الخزاعي على أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام بمرو، فقال: يا ابن رسول الله إني قد قلت فيكم قصيدة، وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك، فأنشدها، وكان الإمام الرضا عليه السلام يتفاعل مع الشاعر العظيم تفاعلاً خاصاً فلما بلغ إلى قوله:

أرى فيشهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيشهم صفرات

بكى وقال: صدقت يا خزاعي، ولما بلغ إلى قوله:

إذا وتروا ملدوا إلى واتريهم أكفأ عن الأوتار منقبضات

جعل أبو الحسن يقلب قلبه كفيه، ويقول: أجل والله منقبضات، وبكى الإمام كثيراً، وأغمي عليه، وهكذا في تعداد الشاعر مرآة الأئمة، وشهداء

(١) المصدر السابق.

(٢) فقد كان أبو الرميح الخزاعي يزور آل محمد فيجتمعون إليه ويقرا عليهم مرثيته في الحسين عليه السلام، ودخل على فاطمة بنت الحسين بن علي عليه السلام فأنشدها في الحسين عليه السلام:

أجالت على عيني سحائب عبيرة	فلم تصح بعد الدمع حتى ارمعلت
تبكي على آل النبي محمد	وما أكثرت في الدمع لا بل أقلت
أولئك قوم لم يشيموا سيوفهم	وقد نكأت أعداءهم حين سلت
وإن قتيل الطف من آل هاشم	أذل رقاباً من قريش فذلت

فقلت فاطمة: يا أبا الرميح هكذا تقول؟ قال: فكيف أقول جعلني الله فداك؟ قال: قل: أذل رقاب المسلمين فذلت، فقال: لا أنشدها بعد اليوم إلا هكذا... إلخ. أدب

الطف للخطيب الشهر السيد جواد شبر ج ١ ص ٥٩.

أقول: وقد ذكر السيد الأمين في (إقناع اللاتم ص ١٥٢) أن كنيته أبو الرجح.

أهل البيت، وذكر قائم آل محمد ودعائه له بقوله: أمنك الله يوم الفزع الأكبر^(١).

كـ. مجلس جامع للشاعر دعبل في المسجد الجامع في قم: وذلك بعدما أنشدتها الإمام الرضا، وقفل راجعاً إلى قم، وقد حباه الإمام بجة خز مع صرة فيها مائة دينار رضوية، وجرى عليه أثناء سيره ما جرى من هجوم اللصوص، وتمثل رجل بقول دعبل في قصيدته:

أرى فيئهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات
فسمعه دعبل فقال له: لمن هذا البيت؟ فقال: لرجل من خزاعة يقال له دعبل بن علي قال: فأنا دعبل، حتى وصل إلى قم فسأله أهلها أن ينشدهم القصيدة فأمرهم أن يجتمعوا في المسجد الجامع، فلما اجتمعوا

(١) ولد دعبل في سنة ١٤٨ هـ وتوفي سنة ٢٤٦ وقيل غير ذلك، وشاعريته غنية عن الإطراء وولاؤه لأهل البيت غني عن التعريف فقد كان ينتسب إليهم (صلوات الله عليهم) فقد قال للأعرابي: أنا أنتمي إلى القوم الذين قال فيهم الشاعر:

أناسٌ عليّ الخير منهم وجعفرٌ وحمزة والسجاد ذو الثفتات
إذا فخرُوا يوماً أنوا بمحمدٍ وجبريلَ والفرقانِ والسوراتِ

فوثب الأعرابي وهو يقول: ما لي إلى محمد وجبريل والفرقان والسورات مرتقى، وتأثيته العصماء من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة في أهل البيت عليهم السلام كما يقول في الأغاني وعدة أبياتها ١٢١ بيتاً كما قال الشيخ الأميني. وله ملح ونوادير ولسان يخشى منه الخلفاء، والحديث عنه مستفيض في عموم الكتب المعنية، وليراجع الأغاني ج ١٨ ص ١٣١ إلى ص ١٦٣ والغدير ج ٢ من ص ٣٤٩ إلى ص ٣٨٦ والسيد الأمين في أعيان الشيعة ترجمه بتوسع، إذ أورد قصيدته كاملة ج ٦ من ص ٤٠٠ إلى ص ٤٢٠ الطبع الجديد. وله ديوان مطبوع، بتحقيق وجمع وتقديم الأستاذ عبد الصاحب عمران الدجيلي وآخر بتحقيق الدكتور عبد الكريم الأشر، وأورد له شيخ الإسلام المجلسي أبيات في زيارة الإمام الحسين عليه السلام ومن جملتها:

رُزُّ خَيْرِ قَبْرِ بِالعِراقِ يُزارُ واعصر الحمارَ فمن نكأ حماراً... الخ

بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٢٣٥ عن مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ١٠٠.

صعد المنبر فأنشدهم القصيدة فوصله الناس من المال والخلع بشيء كثير^(١).

(١) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٩٥ للشيخ الأقدم أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه الصدوق القمي رحمه الله وحفلت الكتب بذكر الحادثة وإكرام الإمام لشاعر أهل البيت وكرامته عليهم وبركة الجبة وبذل القميين - وهم المعروفون بخالص الولاء لآل محمد - المال الجزيل لشراء الجبة وإصرارهم على ذلك، حتى أخذوها وأعطوه منها كما جاء به دعبل إلى منزله وعالج به جاريته، ذات الحظوة لديه المبتلاة بالرمد، الميؤوس من برئها، فمسحها على عيني الجارية، وعصبتها بعصابة منها من أول الليل فأصبحت وعيناها أصح ما كانتا قبل، ببركة الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، الغدير والطيرسي في أعلام الوري، والأربلي في كشف الغمة وغيرهم، ومناسبة ذكر مجلس دعبل عند الإمام وفي مسجد (قم) الجامع أود إيراد جملة من أبياتها:

فكيف ومن أتى يطالب زلفه	إلى الله بعد الصوم والصلوات
سوى حبّ أبناء النبي ورهطه	وبغض بني الزرقاء والعبلات
وهند وما أدت سمية وابنها	ألو الكفر في الإسلام والفجرات
تراث بلا قربى وملك بلا هدى	وحكم بلا شورى بغير هداة
وما سهلت تلك المذاهب فيهم	على الناس إلا بيعة الفلتات
ولو قلدوا الموصى إليه زمامها	لزُمت بمأمونٍ على العشرات
مدارس آياتٍ خلّت من تلاوة	ومنزّل وحيٍ مقفّر العرصات
أفطم لو خلّت الحسين مجدلاً	وقد مات عطشاناً بشطّ فرات
إذا للطمّ الخدّ فطمّ عنده	وأجريت دمع العين في الوجنت
أولئك لا منتوج هند وحزما	سمية من نوكى ومن قذرات
سئسأل تيمّ عنهم وعديها	وبيعتهم من أفجر الفجرات
هم منعوا الأباء عن أخذ حقهم	وهم تركوا الأبناء رهن شتات
وهم عدلوا عن وصي محمد	فبيعتهم جاءت على الغدرات
وليهم صينو النبي محمد	أبو الحسن الفراج للغمرات

وتعقبت ذلك فترة حياة الأئمة: الجواد والهادي والعسكري، والجو العام محفوف بالمخاطر - ولا سيما فترة حكم المتوكل - ولم تسعفنا النصوص بشيء عن ذكر عقد الأئمة عليهم السلام لمجالس العزاء بشكل معروف، وإن كنت إخال أنهم لم يتركوا ذلك، ولعلمهم كانوا يتكتمون بها خشية بطش السلطة. نعم، عقيب هذه الفترة العصبية نلاحظ ثمناً آخر في رثاء الإمام الحسين عليه السلام ألا وهو النياحة.

٢- النياحة:

ومن نماذج ذلك:

١- خلب النائحة:

كانت ببغداد، نائحة مجيدة حاذقة، تعرف بـ خلب، تنوح بهذه القصيدة:

أيها العينان فيضا وأسستها لا تغيضا

فسمعناها في دور بعض الرؤساء، لأن الناس إذ ذاك كانوا لا يتمكنون من النياحة إلا بعز سلطان، أو سراً لأجل صلاية وعداوة الحنابلة. ولم يكن النوح إلا مرثي الحسين، وأهل البيت عليهم السلام فقط من غير تعرض بالسلف. فبلغنا أن البرهاري قال: بلغني أن نائحة يقال لها خلب تنوح، اطلبوها فاقتلوا^(١).

(١) والبرهاري الحسن بن علي بن خلف، رئيس الحنابلة في بغداد آنذاك وكان يدفعهم إلى كثير من أعمال العنف فأخذوا يكبسون الدور ويعترضون البيع والشراء، وأرهبوا كل من لا يرى رأيهم، حتى أن الإمام الطبري عليه السلام، صاحب التفسير والتاريخ ظل حبس داره مدة ولما توفي حالوا دون تشييعه ودفنه وزاد شرمهم وفتنتهم واستظهروا بالعميان الذين كانوا يأوون إلى المساجد، فإذا مرهم شافعي المذهب أغروا به العميان فضربوه حتى يكاد يموت، الأمر الذي اضطر الخليفة الراضي أن يصدر بشأنهم منشوراً قال فيه: إن من نافق بإظهار الدين وتوثب على المسلمين وأكل به أموال المعاهدين كان قريباً من سخط رب العالمين، وغضب الله وهو من الضالين، مات البرهاري سنة ٣٢٩، نشوار

وقد أورد العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين بعض النواحي

المخاضة ج ٢ ص ٢٢٣ وأورد عدة مصادر تراجع. أقول: ذكر ابن الأثير في الكامل ج ٦ ص ٢٤٨ تحت عنوان (ذكر فتنة الحنابلة ببغداد) عظم أمرهم وقوة شوكتهم، وكبسهم دور القواد والعمامة، وإراقتهم النبيذ، وضرهم المغنية، وكسر آلة الغناء واعتراضهم مشي الرجال مع النساء والصبيان ثم ذكر توقيع الراضي بما يقرأ على الحنابلة ينكر عليهم فعلهم ويوبخهم باعتقاد التشبيه وغيره فمنه: تارة إنكم تزعمون أن صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال رب العالمين وهيئتكم الرذيلة على هيئته وتذكرون الكف والأصابع والرجلين والنعلين المذهبين والشعر الققطط والصعود إلى السماء والتزول إلى الدنيا تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً ثم طعنكم على خيار الأئمة ونسبتكم شيعة آل محمد ﷺ إلى الكفر والضلال... إلخ.

وذكر ابن الأثير ج ٦ ص ٢٨٢ سنة وفاته بما تقدم وأن عمره كان ستاً وسبعين سنة. أقول: ذكر المعلق على الكتاب في المورخين الدفاع عن الحنابلة وشيخهم وأن لا ذنب لهم إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيدهم إن استطاعوا، وأشاد بعلو شأن شيخهم بما ذكره عن البداية والنهاية من أن البرهاري عطس يوماً وهو يعظ فشمته الحاضرون ثم شمته من سمعهم حتى شمته أهل بغداد فانتهت الضجة إلى دار الخلافة فغار الخليفة من ذلك وتكلم فيه جماعة من أرباب الدولة فطلب فاختمت عند أخت بوران شهراً ثم أخذه القيام - داء - فمات عندها فأمرت خادمها فصلى عليه فامتلات الدار رجالاً عليهم ثياب بيض - هكذا شأن أهل السنة والجماعة يحضرهم عند موقف الملائكة نصلي عليهم - ودفنته عندها ثم أوصت إذا ماتت أن تدفن عنده وكان عمره يوم مات ستاً وتسعين سنة، وقد سبق أنه وسبعين، ويبدو أن الظرف آنذاك متوتر للغاية قد نشطت فيه العصبية بين أرباب المذاهب عموماً وعلى مذهب الشيعة خصوصاً، ولحن مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكن في حدوده الشرعية وبأساليبه الصحيحة ويظهر أن هذه العطسة وما أعقبتها من الغيرة من الخليفة كانت سبباً للنقمة وتقويض كيان الشيخ البرهاري، ورب عطسة أودت بحياة، ويلاحظ استتار شيخ الحنابلة وممارسته للتقية العملية وتجلى حب المعلق وإقحامه جملته بأن "هكذا شأن أهل السنة والجماعة يحضرهم عند موقف الملائكة" وهذه منه دعوى كبيرة لغرض إثبات المقام الأعلى من الإيمان، وللنظر في ذلك مجال والله العالم بحقائق الأحوال.

المتخصصين والنائحات فذكر خلب وأما كانت تنوح بقصيدة الناشي^(١)،

(١) ثورة الحسين في الوجدان الشعبي ص ٢٥٩ وقصيدة الناشئ بضعة عشر بيتاً منها:

بمثل مصابي فيكم ليس يسمعُ	بني أحمدٍ قلبي لكم يتقطعُ
ويسطو عليكم من لكم كان يخضعُ	عجبتُ لكم تفنون قتلاً بسيفكم
وليس لكم فيها قتيلٌ ومصرعُ	فما بقعةً في الأرض شرقاً ومغرباً
ويسلمني طيبُ الهجوع فاهجعُ	ظلمتم وقُتلتُم وقُسمَ فينُكم
فأجسامكم في كل أرض نوزعُ	كأن رسول الله أوصى بقتلكم

ولهذه القصيدة حديث طريف ينم عن علو شأنها وعناية سيده نساء العالمين عليهن السلام بإذاعتها وإليكه:

قال ابن عبد الرحيم: حدثني الخالغ قال: كنت مع والدي في سنة ست وأربعين وثلاثمائة وأنا صبي في مجلس الكبودي في المسجد الذي بين الوراقين والصاغة وهو غاص بالناس، وإذا رجل قد وافي وعليه مرقعة وفي يده سطحية وركوة ومعه عكاز وهو شعث فسلم على الجماعة بصوت يرفعه ثم قال: أنا رسول فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها)، فقالوا: مرحباً بك وأهلاً، ورفعوه فقال: أتعرفون لي أحمد المزوق النائح؟ فقالوا: ما هو جالس، فقال: رأيت مولانا فاطمة عليها السلام في النوم فقالت لي: امض إلى بغداد واطلبه وقل له: نح على ابني بشعر الناشئ والذي يقول فيه: بني أحمد قلبي لكم يتقطع... الخ وكان الناشئ حاضراً فلطم لطمًا عظيمًا على وجهه وتبعه المزوق والناس كلهم، وكان أشد الناس في ذلك الناشئ ثم المزوق، ثم ناحوا هذه القصيدة في ذلك اليوم إلى أن صلى الناس الظهر وتقوض المجلس وجهدوا بالرجل أن يقبل شيئاً منهم فقال: والله لو أعطيت الدنيا ما أخذتها، فإني لا أرى أن أكون رسول مولاتي عليها السلام ثم أخذ عن ذلك عوضاً وانصرف ولم يقبل شيئاً. وللناشئ حديث مماثل عن قصيدة أخرى تلاحظ في ترجمته في معجم الأدباء ج ٧ من ص ٢٨٠ إلى ص ٢٩٩ وهو علي بن عبد الله بن وصيف - أبو الحسين - وكان كما يقول يا قوت في المعجم قزوماً بالكلام والجدل يعتقد الإمامة وينظر عليها بأجود عبارة فاستنفذ عمره في مديح أهل البيت حتى عرف بهم وأشعاره فيهم لا تحصى كثرة، وأورد له منظرات مع بعض المعتزلة وحكايته المشهورة مع الأشعري الذي ناظره فصفعه فقال: ما هذا يا أبا الحسين؟ فقال: هذا فعل الله بك فلم

وكانت حية سنة ٣٢٣ هـ، وأمر بقتلها البرهماري.

٢- وأورد اسم النائح المحترف في بغداد - كما عبّر عنه - أبو القاسم عبد العزيز الشطرنجي وأنه كان ينوح عند الحسين في كربلاء.

٣- وكذلك أحمد بن المزوق، وكان فيما يبدو يتمتع بشهرة لا بأس بها في بغداد، وأيضاً أورد اسم ذرة النائحة قائلاً: ورد عند النيسابوري كما ذكر ذلك الشيخ المفيد في أماليه.

٤- والسيد المقرم ذكر هذه النائحة وأسندها إلى مناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ص ١٨٩ ط إيران عن أمالي المفيد النيسابوري ورجعت إلى المصدر (مناقب الطالبين ج ٣ ص ٢٢٠ ط النجف) فرأيته قد أسند ذلك إلى أمالي المفيد النيسابوري وأن النائحة اسمها زر.

٥- وأورد أيضاً: علي بن أصدق الحائري:

وللنايح هذا حديث مشير^(١)، ومن المؤسف حقاً عدم توفرنا على

تغضب مني، فقال: ما فعله غيرك وهذا سوء أدب وخارج عن المناظرة، فقال: ناقضت إن أقمت على مذهبك فهو من فعل الله وإن انتقلت فخذ العوض فانقطع المجلس بالضحك وصارت نادرة وكذلك منظرته مع بعض المجبرة فحرك الجبري يده فقال للناشي: هذه من حركها؟ فقال الناشئ: من أمه زانية، فغضب الرجل فقال له: ناقضت إذا كان المحرك غيرك فلم تغضب. وانتصر للمغلوبين يا قوت ووصف فعل الناشئ بالكفر والبهت وناقشه في ذلك السيد الأمين في أعيان الشيعة في ترجمة الناشئ ج ٨ ص ٢٨٢ الطبع الجديد، وإن انتصار يا قوت للأشعري والمجبر بارد فلتراجع.

(١) نشوار المحاضرة ج ٢ ص ٢٣٠. خرج إلينا يوماً أبو الحسن الكاتب فقال:

أتعرفون رجلاً يقال له ابن أصدق؟ قال: فلم يعرفه من أهل المجلس غيري، فقلت: نعم فكيف سألت عنه؟ فقال: أي شيء يعمل؟ قلت: ينوح على الحسين ~~عليه السلام~~ قال: فبكى أبو الحسن وقال: إن عندي عجوزاً ربتني من أهل كرخ جرآن عفتية اللسان الأغلب على لسانها النبطية لا يمكنها أن تقيم كلمة عربية صحيحة فضلاً عن أن تروي شعراً وهي من صالحات نساء المسلمين كثيرة الصيام والتهجد، وإنما انتبهت البارحة في جوف الليل ومرقدها قريب من

مصادر تعرفنا هؤلاء سوى ما ذكرنا عنهم، ولعل من الموانع حراجه الظروف آنذاك وانصراف جملة من المؤلفين عن تدوين مثل هذه المسائل وانشغالهم بذكر غناء جوارى الخلفاء ولياليهم الحمراء وأيام لذاتهم. ونظرة لما ألف في هذا المجال تظهر تفاهة أولئك الخلفاء وكيف آل أمر الخلافة والمسلمين إلى هذا الحد من الانحطاط، وحقاً إنها صحائف سوداء مشوهة.

وأودّ قبل أن أختتم حديث النياحة الإشارة إلى أننا والحمد لله، بفضل

موضعي فصاحت بي يا أبا الحسن، فقلت: ما لك؟ فقال: الحقني. فجننتها فوجدتها ترعد فقلت: ما أصابك؟ فقال: إني كنت قد صليت وردي فتمت فرأيت الساعة في منامي كأنني في درب من دروب الكرخ فإذا بحجرة لطيفة بيضاء مليحة الساج مفتوحة الباب ونساء وقوف عليها فقلت لهم: من مات؟ وما الخبر؟ فأومأوا إلى داخل الدار، فدخلت فإذا بحجرة لطيفة في نهاية الحسن وفي صحنها امرأة شابة لم أر قط أحسن منها ولا أهدى ولا أجمل وعليها ثياب حسنة، بياض مروى لين، وهي ملتحفة فوقها بإزار أبيض جداً وفي حجرها رأس رجل يشخب دماً فقلت: من أنت؟ فقلت: لا عليك أنا فاطمة بنت رسول الله ﷺ وهذا رأس ابني الحسين عليه السلام قولي لابن أصدق عني أن ينوح:

لم أمرضُهُ فأسـلو لا ولا كان مريضاً

فانتبهت فزعة، قال: وقالت العجوز: لم أمرطه بالطاء لأنها لا تتمكن من إقامة الضاد فسكنت منها إلى أن نامت، ثم قال لي: يا أبا القاسم مع معرفتك بالرجل قد حملتك الأمانة ولزمتك إلى أن تبلغها له، فقلت: سمعاً وطاعة لأمر سيلة نساء العللين قال: وكان هذا في شعبان، والناس إذ ذاك يلقون جهداً جهيداً من الحنابلة، إذا أرادوا الخروج إلى الحائر فلم أزل أتلف به حتى خرجت، فكنت في الحائر ليلة النصف من شعبان، فسألت عن ابن أصدق، حتى رأيت فقلت له: إن فاطمة عليها السلام تأمرك بأن تنوح بالقصيدة (التي فيها):

لم أمرضُهُ فأسـلو لا ولا كان مريضاً

وما كنت أعرف القصيدة قبل ذلك، قال: فانزعج من ذلك فقصصت عليه وعلى من حضر الحديث فأجهشوا بالبكاء وما ناح تلك الليلة إلا بهذه القصيدة وأولها:

أيها العينان فيضاً واستهلاً لا تغيضاً

وهي لبعض الشعراء الكوفيين، وعدت إلى أبي الحسن فأخبرته بما جرى.

ما غللك من واضح الحجة وقوي البرهان على مانعته في قضايانا، لسنا بحاجة إلى الركون إلى مثل الرؤى والأحلام، وما أوردناه أو نوردته، فله من الشواهد والقرائن الباعثة للتصديق به ما يجعله حقاً وخبراً صدقاً، ما دامت آثار الصدق عليه شاهدة. والمسألة بعد مما عني بما في مجالها اللاتقة بما^(١). وامتدت فترة طويلة- وإلى القرن الثالث الهجري- وقضية الحسين عليه السلام خالدة في الشعر الحزين الذي يستولي به شاعره على مستمعيه، وينطبع في نفوسهم، بعد أن خالط أرواحهم، وتعيه أذن واعية، فترويه ألسنتهم، فيعود حديث المنتديات، ثم أخذت يوم وانتهت الظروف المساعدة تتوسع وتبرز بأسلوب معبر رائع، حينما بدأت قوافل المواكب أمام الملا، وفي الأرجاء الرحبة، زمن تولى معز الدولة البويهبي وسائر ملوك البويهيين، أيام الدولة العباسية (٣٥٢هـ).

وهكذا وكلما سنحت فرصة لمن ينتمي لآل محمد، ويطيب خلطه لتجديد ذكراهم، ويحزن قلبه لما حل بهم، كالفاطميين في مصر، والحمدانيين

مركز تحقيق وتصوير علوم إسلامية

(١) وأرغب أن أختتم هذا الفصل بهذه الرؤيا العجيبة: نظم المرحوم الشيخ محمد علي الأعمش يائته في الحسين عليه السلام التي يقول في أولها:

قد أوهمت جلدي الديار الخالية من أهلها ما للديار وما ليه

وعرضها على ولده الشيخ عبد الحسين لينظرها فنظرها وقال: هذه قافية قاسية فتركها الناظم تحت مصلاه فما كان إلا أن طرقت الباب سحراً فإذا الشيخ محمد علي القاري الشهير يقول: إني رأيت البارحة كأني دخلت الروضة الحيدرية فرأيت أمير المؤمنين عليه السلام جالساً فسلمت عليه فأعطاني ورقة فيها قصيدة وقال: اقرأ لي هذه القصيدة في رثاء ولدي الحسين عليه السلام، فقرأت له وهو يبكي فانتبهت وأنا أحفظ منها:

قست القلوب فلم تلبس لهداية تبأ لهاتيك القلوب القاسية

فبهت الشيخ الناظم وأخرج له الورقة التي تحت مصلاه ففكر الشيخ محمد علي القاري وقال: والله لكان هذه الورقة والقصيدة هي بل هي التي أعطانيها أمير المؤمنين عليه السلام فاشتهرت هذه القصيدة وحفظت. ماضي النجف وحاضرها

في حلب، والصفويين في إيران وغيرهم في غيرها.

٤- المواكب واستعراض بعض صورها عبر التاريخ؛

ولإعطاء صورة عن تلك المواكب الكبيرة وترعرعها في ظل الحكام الموالين لأهل البيت أعرض نماذج منها:

١- قال ابن الأثير في أحداث سنة ٣٥٢:

في هذه السنة أمرت الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم في العاشر من محرم، ويعطلوا الأسواق، والبيع والشراء، ويظهروا النياحة على الحسين، ففعل الناس ذلك، ولم يكن للسنة قدرة على المنع لكثرة الشيعة، ولأن السلطان منهم^(١).

وفي العراق بعد غلبة البويهيين، كانوا يقرأونها في المحافل والمشاهد وفي المنازل على ما هي عليه الآن.

ولم تخل العصور المذكورة من طبقة المنشدين والقراء والذاكرين وهم قوم انقطعوا لهذا العمل، أي للقراءة والإنشاد في مواسم معينة من السنة

(١) ثورة الحسين في الوجدان الشعبي ص ٢٦٣، وعلق الأستاذ القدير والكتائب الشهر السيد حسن الأمين على ما كتبه الدكتور حسن منيمنة في كتابه (الدولة البويهية) قائلاً: ومن أوهام الدكتور وأوهام غيره قوله: (وصبغ البويهيون التشيع الشعبي بصبغة لم تمح فسئوا سنة الاحتفال بعاشوراء على مثل بكتاتهم أمواتهم وانتحاهم عليهم في منتصف القرن الرابع وجعلوا عيد غدِير خم عيداً شعبياً كعيد الربيع).

قال: ليس البويهيون هم الذين سئوا سنة الاحتفال بعاشوراء بل إن الاحتفال كان متصلاً قبلهم بأبعد الأزمان ولم يكن يجري بشكل جماهيري لأن السلطات كانت تمنع وكان يجري ضمن البيوت الرحبة الواسعة ويضم من الناس ما يتسع له كل بيت وكانت تنشُد في هذه الاحتفالات الأشعار الرقيقة التي تبكي الناس وتشجعهم وكل ما فعله معز الدولة هو أنه أباح الاحتفالات الجماهيرية ومنع أصحابها حريتهم فأخرجوها من دائرتها الضيقة إلى الدائرة الأوسع... الخ.

وخصوصاً المحرم. والأمثلة غير قليلة في تاريخ المائتين السادسة والسابعة على ذلك. وقد ورد ذكر بعض هؤلاء القراء والمنشدين في تاريخ ابن الساعي ومنهم: أبو منصور محمد بن المبارك الكرخي (المنشد)، ذكره في وفيات سنة ٥٩٨ ووصفه بما يأتي: «حافظ للقرآن الجيد، قرأه بالقراءات، جيد الأداء، طيب الصوت شجيّه، كان يتشيع وينشد في المواسم والمشاهد المقدسة ويعظ في الأعزّية». فهذا مثال حسن لهذه الطبقة من القراء المنشدين في المواسم والمشاهد أو الواعظين في الأعزّية، كما نراه في عصرنا هذا^(١).

٢ - صورة من الأندلس:

فقد حظي شاعر أهل البيت في الأندلس صفوان بن إدريس ٥٦٠ - ٥٩٨ هـ بشهرة واسعة خاصة بالمغرب والأندلس، إذ كان يقوم بتهيئة العزاء الحسيني في عاشوراء، ويسير أمام المواكب لينشد الناس المشاركين في المسيرة المهيبه قصائد تمثل صوراً للمأساة التي حلت بالحسين عليه السلام، ومصراع أهله وأصحابه في واقعة كربلاء سنة ٥٦١ هـ، وسبى نسائه وأهله وأطفاله، وقد وصف ابن الخطيب صورة العزاء الذي كان يعرف بالأندلس بالحسينية وهي عادة قديمة لا يعرف تاريخها على وجه التحديد، لكنها كانت تقام في مرسية وبلنسية، إذ انتشر الولاء والحب لأهل البيت عليهم السلام في هذه المدن، كما كان الناس يسرون في مواكب مهيبه توقد فيها الشموع، وتنشد قصائده في جو من الخشوع يصور فيها المأساة ضمن مراسم، يقام فيها مشهد جنائزي ترتفع فيها أصوات المنشدين الجماعية بالبكاء على الحسين عليه السلام^(٢).

(١) مستدرک أعيان الشيعة ج ١ ص ٢١٣.

(٢) مجلة الموسم العدد السادس المجلد الثاني ١٩٩٠م - ١٤١٠هـ ص ٥٩٧، وهي مجلة فصلية تعنى بنشر التراث، يرأس تحريرها الأستاذ محمد سعيد الطريحي وختم كاتب ترجمة صفوان الدكتور عدنان محمد آل طعمه الترجمة بمخمسة الشاعر في الإمام الحسين عليه السلام ومن جملة أبياتها:

ألا إن سرّ البغي بالطفّ أعلننا غداة جنى حلو الشهادة من جنى
وأزمع لا يلوي عناناً على الدن أتاحت لها بيض موهة السنا

وجرت على ذلك سيرة شيعة أهل البيت في ظل الحكام والقائمين على الأمور المواليين. فالحمدانيون والفلمطيون وغيرهم أجروا ذلك، وشجعوا عليه قولاً وعملاً، ولديّ كشف قام به بعض أعزائنا^(١)، واستخرجه من بطون كتب التاريخ، فقد نقل أحداث ذلك، وما واكبه من الشدة والرخاء، تبعاً لظروف الحياة المذهبية والسياسية، وما حفلت به من ملابسات.

فتتبع ما أورده شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي في كتابه (العبر في خبر من غبر) ابتداء من حوادث سنة ٣٤٩ هـ إلى سنة ٦٥٥ هـ في الجزئين الثاني والثالث.

وما ذكر ابن الأثير في الكامل ابتداء من حوادث سنة ٣٥٢ هـ إلى سنة ٥١٧ هـ في السابع والثامن من أجزائه.

وما دونه أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ابن الجوزي) في كتابه: (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) ابتداء من حوادث سنة ٣٥٣ هـ إلى سنة ٥١٧ هـ في السابع والثامن والتاسع من أجزائه.

وما أفاده أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي (سبط ابن الجوزي) في مؤلفه: (مرآة الزمان) الجزء الثامن ق ١/٣٥٨-٣٥٩، وق ٢/٥٥٦، من حوادث سنة ٥٧٥، وسنة ٦٠٨ هـ.

وختم ذلك بما ذكره المقرئ في (الخطط) ١/٤٩٠: «وفي مصر فلما زالت الدولة الفاطمية - اتخذ الملك من بني أيوب يوم عاشوراء يوم سرور،

ومستوننة زرق كانياب اغوال

وتلاحظ موسوعة السيد جواد شبر (أدب العطف) ج ٤ ص ١٠ نقلاً عن محاضرة عبداللطيف السعداني حول: حركات التشيع في المغرب ومظاهره، وإقامة الشعائر الحسينية والتمثيل حتى القرن الثامن الهجري. وتراجع: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية للسيد حسن الأمين المجلد الأول ج ٤ ص ٢٦... الخ في بحثه الموسع عن الأدارسة.

(١) فضيلة الشيخ حسين المصطفى (وفقه الله).

يوسعون فيه على عيالهم ويتبسطون في المطاعم ويصنعون الحلوات ويكتحلون ويدخلون الحمام".

هذا والباحث في عموم كتب التاريخ والأدب والمذاهب يقف على الكثير من هذه القضايا وما واكبها، وما أوردناه ليس إلا لحة وإشارة.

قال السيد حسن الأمين في ترجمة (أبو منصور محمد بن المبارك الكرخي): قال الشيخ محمد رضا الشبيبي في الجزء الثاني من كتابه (ابن الفوطي):

جرت العادة من قديم الزمان أن تقرأ قصة مقتل الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين يوم عاشوراء في جملة من محافل بغداد وغير بغداد من حواضر العراق، وذلك في أواخر عصور بني العباس أو قبل ذلك قليلاً، وعرفت وشاعت قراءة هذه القصة في دمشق، إذ كان خطباء الدماشقة يقرأونها في جمعة المحرم، وينعون الإمام الشهيد على منابر الشام، والدليل على ذلك أن ابن تيمية أنكره على خطباء جوامع الشام في كتابه (منهاج السنة)، وعرفت قراءة المقتل في القاهرة منذ عصور الفاطميين.

٣ - صورة عن المآتم الحسيني في أندونيسيا:

وتاريخ المآتم وإظهار الشعائر الحسينية في أندونيسيا قديم مرتبط بدخول الإسلام والتشيع إلى هذه البلاد في أوائل القرن الرابع الهجري ومستمر والحمد لله إلى الآن.

وكان المآتم الحسيني رمزاً لشعار التشيع، وكلمة: (لافتي إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار) عنواناً للبطولة، ولا يزال موجوداً إلى اليوم مدفع عظيم قديم مكتوب عليه: (لافتي إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار)، وهذا المدفع موجود في مدينة بانتن القديمة بجاوا الغربية ويأتي إلى هذا المحل الكثير من السواح والزوار من أجناس شتى لمشاهدة هذه الآثار.

وتقام المآتم هنا بطرق وأساليب متعددة، منهم من يقيم المآتم بقراءة سيرة الإمام الحسين واستشهادته، ومنهم من يقرأ المراثي، ومنهم من يلقي

الخطب، ومنهم من يقيم التمثيل الرمزي^(١).

٤ - صورة من الهند وباكستان:

ففي عهود سلاطين المملكة القطب شاهية في الهند، وابتداءً من عهد السلطان قلي قطب شاه الأول الذي يعزى نشر المذهب الإمامي الجعفري في الدكن وضواحيها إليه، اقترن ذلك بتأسيس الحسينيات وإجراء المبرات والخيرات، فقد أنشأ هذا الشاه الأول حسينية باسم: (باد شاهي عاشور خانه) الحسينية الملكية، وكذلك السلطان محمد قطب شاه الرابع أنشأ حسينية أخرى، وكان السلطان الخامس منهم ينفق الأموال الطائلة على إقامة المآتم الحسينية، وللعالمين الجليلين اللبنانيين: جمال الدين بن علي الحسيني الجبعي المتوفى سنة (١٠٠٨ هـ)، ومحمد بن علي بن خاتون العاملي، عظيم الأثر في إحياء أمر المذهب وترويج أحكام الدين^(٢).

وعلى هذا النسق الأمر في باكستان لتشابه حالهما وكونهما سابقاً بلاداً واحدة ثم تقسمت^(٣). وكانت جماعات من الإيرانيين والعراقيين

مركزية كويتية

(١) دائرة المعارف الإسلامية الشيعية المجلد الثاني ج ٧، و ٨ ص ٣٥ وما بعدها وفيه بحث موسع عن دخول التشيع وقدمه وآثاره الماضية والباقية جدير بالمطالعة والمراجعة.

(٢) مجلة الموسم، العدد الأول: المملكة القطب شاهية في الهند ص ٧٣... إلخ وهو بحث مستفيض وأيضاً تلاحظ دائرة المعارف الإسلامية الشيعية المجلد الثالث ص ٣٧٧... إلخ ففيه إحاطة وشمول عن الهند وباكستان وانتقال التشيع إليها وأسبابه وأعيان العلماء والخطباء ومن لهم دور بارز من شهرات النساء، وأود هنا أن ألفت الأنظار وأشيد بإكبار لهمة الكاتب القدير والأستاذ الشهير السيد حسن الأمين ومناقشاته للشيخ الندوي وشاكلته ص ٣٧٨ وهذه ناحية مهمة وبارزة وغير دينية في قلم السيد الأمين وإنه ابن أبيه والفتى سر أبيه جزاهما الله خير جزاء المحسنين.

(٣) المصدر السابق ج ١٢ المجلد الثالث ص ٢٨٢، وقد أورد أسماء جملة من العلماء الأجلاء الذين كان لفضل جهودهم الأثر الكبير في إحياء التشيع وآثاره هناك كالشيخ فتح الله الشيرازي والشيخ مبارك وولديه أبي الفضل وأبي الفيض والسيد نور الله التستري.

والكشميريين قد استقرت في لاهور، وكان الشيعة قد استطاعوا أن ينشئوا الحسينيات، وقيموا المآتم، ويخرجوا بالمواكب، وشاركهم في ذلك غير الشيعة مشاركة فعالة، وإن أستاذ تاج كان من أوائل المؤسسين للمآتم الحسينية من غير الشيعة.

٥- وصورة من زنجبار:

ويعود تاريخ إقامة المآتم الحسينية فيها إلى العام ١٨٥٠م في عهد السلطان برغش، حيث كان عنده قائد عسكري إيراني أدى له ولبلاده الكثير من الخدمات، مما حمل السلطان على أن يبدأ بإقامة المآتم في زنجبار، وأقيم أول مآتم في قصر السلطان نفسه^(١).

٦- وصورة من ألبانيا:

وللألبانيين مشاركات في المآتم، وملاحم رائعة في الأدب والشعر الحسيني^(٢).

٧- ومن صورته جملة من بلاد إيران السنية:

أ- "وكان بعض الحنفيين والشافعيين في الري يقيمون مراسيم العزاء في يوم عاشوراء"^(٣).

ب- "وأشار القزويني في جوابه إلى المراثي التي يقرأها الشافعية والحنفية، وقال: ومراثي شهداء كربلاء الذي يقرأها أصحاب أبي حنيفة والشافعي لا تحصى عدداً.

ويواصل كلامه قائلاً: ثم عرّج بنا على أصفهان فستجد الخواجه بو منصور ما شاده، وهو قدوة المذهب السني في زمانه، كان يقيم مراسيم العزاء في يوم عاشوراء كل سنة مع النياحة والبكاء والعبيل ... ثم تعال معي إلى

(١) المصدر السابق ص ٦٧.

(٢) مجلة الموسم العدد الثاني والثالث السنة الأولى ص ٦٦ (ملحمة كربلاء من روائع الأدب الألباني).

(٣) الشيعة في إيران، دراسة تاريخية، من البداية حتى القرن التاسع الهجري / ٢٢٩.

بغداد مدينة السلام ومقر دار الخلافة، فستلقى الخواجه علي الغرنوي الحنيفي كيف يقيم هذه المراسم إلى درجة أنه كان يبالي في لعن السفياتين يوم عاشوراء ... وكانت بغداد حديثة عهد بعزاء الحسين الموسوم بعزاء عاشوراء مع النياحة والعيول. وأما همدان، فعلى الرغم من كثرة المشبهة فيها بسبب وجود راية السلطان وجيش الأتراك، بيد أن مجد الدين الواعظ الهمداني كان يقيم العزاء يوم عاشوراء كل عام بشكل كان يعجب منه القميون. وكان الخواجه الإمام نجم أبو المعالي بن أبي القاسم البزازي يقيم العزاء في أحسن صورته بنيسابور مع أنه كان حنفيًا. وكان يأخذ المنديل وينوح، وينشر عليه التراب، ويصرخ عاليًا خارجًا من طوره. وأما الري التي كانت من أمهات الحواضر في العالم، فقد كان واضحًا ماذا يفعل فيها الشيخ أبو الفتوح نصرآبادي، والخواجه محمود الحدادي الحنفي وغيرهما يوم عاشوراء من العزاء ولعن الظالمين في محط القوافل بكوشك والمساجد الكبيرة. وهكذا كان الخواجه الإمام شرف الأئمة أبو نصر الهسنجاني يقيم مراسيم العزاء يوم عاشوراء سنويًا بحضور الأمراء والأتراك والوجهاء الكبار، والحنفيين المعروفين، وكان يتفق معه هؤلاء كلهم، ويعينونه على ما هو بسبيله ... ورأى الناس الخواجه الإمام أبا منصور حفيده، وهو مقدم بين أصحاب الشافعي، عندما كان في الري، كيف كان يتلو قصة عاشوراء في جامع سرهنك، ويفضل الحسين على عثمان، ويسمي معاوية باغيًا. وكذلك كان يفعل القاضي عمدة ساوي حنفي المتكلم المعروف في جامع طغرل بحضور عشرين ألفًا من الناس، إذ يتلو قصة عاشوراء وقيم العزاء برأس حاسر وثوب ممزق، ولم يفعل أحد مثله. وإذا كان مصنف الكتاب رازيًا، فلا بد أنه رأى وسمع ذلك. وشهد الناس الخواجه تاج شعري حنفي نيسابوري كيف كان يبالي في إقامة العزاء يوم عاشوراء بعد الصلاة في الجامع العتيق، وذلك في سنة ٥٥٥ هـ بإجازة القاضي وحضور الأمراء والأكابر. ويستشف من معلومات الرازي أن الحنفيين والشافعيين كانوا يفعلون كما يفعل الشيعة في إقامة مراسيم العزاء في القرن السادس. وكانوا يبدأون بقراءة المقتل على عثمان، وعلي عليه السلام أحيانًا وذلك حفظًا للتوازن، ثم ينتقلون إلى

مقتل الحسين (عليه السلام) (١).

وبعد، فما أوردته ليس إلا شذرات من هنا وهناك حاكيات عن سير المنبر في بعض صورته وأشكاله، وكيف انطلق هذا الصوت المدويّ فعمّ الأرجاء، واستوطن البلاد النائية، ولم يكن من القصد السير والاستقصاء (٢).

٥ - ارتفاع شأن المنبر واستقراره:

وأما ما استقر عليه واقع المنبر والمآتم منذ زمن طويل - في القطاع الشيعي بصورة خاصة - فلا أملك تعبيراً يفني بوصفه إلا أنه: ضرورة حياة، إذ الفترات السابقة - وبطبع تدرجها وترقيتها - كانت ضيقة الدائرة، محدودة بموسم معين، كالعشرة الأولى من محرم الحرام، أو يوم الأربعاء، أو أيام زيارة مرقدته ومنحدره، وبعد المد والجزر، وقرون من المعاناة المريرة في سبيل إحياء المآتم وإماتها وبعد تبلورها واستقرارها، أو فقل انتصارها هي، لأنها قضية حق، يجب أن تنتصر، طال أو قصر الزمن، تمكنت في حياة شيعة الحسين، وملكت قلوبهم، فغدت لهم الروح والفكر، كالغذاء والهواء للأجسام الحية.

ونظرة واسعة لديار الشيعة أينما كانوا أو حلوا أو ارتحلوا، توقف الباحث (من غيرنا فإننا نحياها) على الحقيقة الراهنة. وإن السنة إذا آذنت بافتتاح أول ليلة من شهر محرم الحرام، فمعنى هذا أن لون الحياة قد تبدل، والنفسيات قد اضطبغت بشكل آخر، هو شعار المأساة بادياً بجلاء، منطبعاً على الزمان والمكان. وكلما أوغلت الأيام قرباً من العاشر، وإذا بالعواطف والمشاعر تبلغ ذروتها، فيعيش المواليون الذكرى بألم ممض، وحزن وكمد، وانفعال قوي، يتمثل ذلك ويظهر في صور وأشكال:

في كل عام لنا في العشر واعية

(١) الشيعة في إيران / ٣٤٥-٣٤٦.

(٢) ويلاحظ للإحاطة بتاريخ المجالس وانتشارها في البلاد والعباد (تاريخ النياحة على الإمام الشهيد الحسين بن علي) بجزئيه لمؤلفه الأستاذ السيد صالح الشهرستاني (قمضة الحسين) للحجة المصلح السيد هبة الدين الشهرستاني.

تُطَبَّقُ الدُّورَ والأَرْجَاءَ والسُّكَا
وكلُّ مُسَلِّمَةٍ تُرْمِي بِزِينَتِهَا
حَتَّى السَّمَاءِ رَمَتْ عَنْ وَجْهِهَا الحَبْكَ^(١)

وتتعاقب الأيام، ويعاد فيها ذكر ما وقع من أحداث أيام الكوفة المشومة على آل الله وعتره رسوله، وأيام الشام والسير الحثيث العنيف، ثم تتجدد أيام كربلاء برجوع سبأيا آل محمد إليها بعد أربعين يوماً من مغادرتها^(٢)، ملئت بما لا يقوى الجنان والبيان على سردها ووصفها.

«فما مرت الأيام والأعوام إلا والمزارات قائمة، وعليها الخيرات جارية، والمدائح تتلى والحفلات تتوالى، ووجوه العظماء على أبوابها، وتيجان الملوك على أعتابها.

وامتدت جاذبية الحسين عليه السلام وصحبه من حضيرة الحائر إلى تخوم الهند والصين وأعماق العجم وما وراء الترك والديلم، وإلى أقصى من مصر والجزيرة والمغرب الأقصى، يرددون ذكرى فاجعته بممر الساعات والأيام، ويقيمون مأتمه في رثائه ومواكب عزائه، ويجدلون في إحياء قضيته في عامة الأيام، ويمثلون واقعه في عمر الأعوام»^(٣).

وإذا رجعنا إلى ما كتب في تاريخ العزاء والمآتم والنياحة والمواكب، فإننا نقف على اللافت للنظر، الجالب للانتباه والتفكير. وإذا ذكر الحسين، وقضيته الكبرى، تملأ الدنيا: بلاد الإسلام - عرباً وغيرهم - وبلاد الكفر على اختلاف مللهم ونحلهم.

تتجلوب الدنيا عليك مآتماً نواعيك فيها للقيامة عكفاً

(١) من قصيدة للشاعر السيد جعفر الحلبي رحمته الله.

(٢) المواكب والجموع المؤمنة تضيق بهم كربلاء المقدسة - يوم العشرين من صفر - ويحيون بها (ذكرى الأربعين) ورجوع السبأيا مع الرأس الشريف، وقد تشرفت بالحديث عن موضوع (الأربعين) في فصل آخر.

(٣) نغمة الحسين للحجة السيد هبة الدين الشهرستاني ص ١٣٥.

ومهما كانت الدواعي والبواعث لإقامة الذكريات والإشادة بها فالسر هو المحور، والسبب هو ذلكم القطب سيد الشهداء أبو عبد الله، فروحه الكبيرة، وجاذبيته القوية، والمقومات الأخرى - التي كان بها الحسين حسيناً - مؤثرات دائمة لفتح الطريق لنهضة الحسين أن تنطلق، ولفكرته أن تغزو الدنيا، ولا يقف في وجهها حدود ولا سلود، وكانت على مر العصور بين مد وجزر، تنبسط كلما انبسط الزمن، وتنكمش كلما انقبض وتلبدت سماؤه، وفي إطار ذلك أنشئت للنياحة بيوت^(١) سميت بأسماء تدل على المغزى وتبعث على استيحاء المعنى - وعلى مستوى عموم الموالين لأهل البيت وبلغاقتهم - وبذل لها من الدعم ما يحفظ بقاءها ويعمل على رفعتها، وهكذا بعد أن طافت عقائل النبوة بالعراق والشام تعود إلى المدينة:

مدينة جَدُّنا لا تقبلينا فبالحسرات والأحزان جينا
وتطوف ذكرياتها في النفوس، ويعود إحيائها في المحافل والمجالس،
وكأنما تذكر حدثاً فجيعة، وقع للساعة جديداً.

إذن فأيام محرم وصفر أيام سوداء، ملئت حزنًا وكمداً، أيام شؤم في حياة أهل الولاية، لما جرى على آل رسول الله الأصفياء. ولم يقتصر وضع المآتم على هذه الفترة، بل يستعرض في ثلثي العام ما وقع من أحداث ومآسي.

وتغلغلت فكرة المآتم بنحوها الواسع، فصار شهر رمضان موسماً لانعقادها على نطاق واسع، وكذلك أيام مناسبات الزيارات، وأيضاً بالدواعي المتكررة من نذور وأوقاف، وليال مخصوصة في الأسبوع، وهي متوافرة ولها غاية الأهمية في نظر شيعة أهل البيت، فشغلت عامة أيام السنة بعقد المآتم، وإن تنوعت كما وكيفاً.

وهذا العرض المنبسط على عموم أيام السنة نلاحظ انبساطه في

(١) ففي متعارف العرب عموماً: الحسينية، وعند الهنود (إمام باره) وعند الفرس والأتراك: مآتم سرا أو حسينية. تاريخ النياحة ج ٢ ص ٤٢.

صورتين:

الأولى: إنه شامل تقريباً لعموم بلاد الشيعة، فمنطلق الخليج الأخضر^(١) والعراق وإيران وباكستان والهند وأفغان وما سواها تحيا هذه الشعائر وبشكلها الواسع.

الثانية: وأما من جهة الكم فلا أبالغ إن عبرت عنها بأنها متناهية الكثرة جداً، ولعل من غير اللائق التعبير عنها بأنها وصلت إلى حد التخمة، كما عبر بعضهم ولا سيما أيام عاشوراء المميزة، ولو أجري إحصاء المجالس المعقودة في رقعة واسعة من بلد واحد لوصل الرقم إلى مئات كما عشنا ونعايش ذلك في منطقتنا وفي غيرها مما أقمنا فيه^(٢).

هذا وللنساء نصيب وافرجداً من أمثال هذه المجالس والمحافل، ولهن في ذلك تشكيلات خاصة، وأماكن مخصوصة. ويعاصر الجيل وبكل أفراد، من صغار وكبار، وشيوخ وشباب، وكهول الرجال والنساء هذه المظاهر المتكررة الدائمة، يحيون عليها ممارسة مستحكمة، وصلت، كما عبرنا فيما سبق عنها ضرورة حياة، بل يودع الميت بقراءة مصاب الإمام الحسين الشهيد على قبره^(٣).

وبلغ المنبر الحسيني أوجه وغاياته وارتقى ماكان ينبغي له من جلال المرتقى فأصبح مدرسة متكاملة، تفيض بالعلم الجسم، والحكم العالية، والمعارف الحقة، والتربية الفاضلة، وعبر التاريخ، يشع بالهداية والنور.

(١) قرأت هذا التعبير عن الخليج فيما كتبه الدكتور الشيخ الفضلي في محاضرة حول أدب الطف وأفادني أن هذا تعبير ابن خلدون في المقدمة ورجعت إليها فرأيت أنه ذكر ذلك ص ٤٧.

(٢) ومنذ فترة ليست بالقصيرة وقريتنا التي يبلغ سكانها أكثر من ٥٠٠٠ نسمة يصل تعداد المآتم الرجالية في اليوم والليلة أكثر من ٢٠ مآتماً، وغيرها على شاكلتها أو أكثر.

(٣) وينص كثير من المؤمنين على ذلك في وصاياهم كنصهم على إقامة مجالس الفاتحة المقرونة بالعزاء للرجال والنساء.

وإذا المنبري يبحث العقيدة ومسائلها، ويحلل اختلاف الأمة فيها، وبواعث ذلك، ويبين أحكام الله لعباده، من الحلال والحرام، وسائر الأحكام، ويرشد إلى معالي الأخلاق، ومحامد الصفات، ويسرد تاريخ الإسلام، وأيامه السود والبيض وما سبق من حياة الأمم وأنبيائها وقصصهم ومواطن الدرس والعبر، ويجول في ميدان الثقافة من علم وأدب، ويتغلغل في أعماق المجتمع، مستنبطاً واقعهم، واضعاً حلول المسائل وعلاج المشاكل، يصلح بذلك حالهم ومآلهم، يغذي العقول ويشحذ الهمم والعزائم^(١).

هذا ودنيا الأمم قد تقاربت، فيقع النظر ويصل الصوت إلى البعيد ومن البعيد، بفعل ما أنتجه العلم من أجهزة الإرسال والاستقبال، من مسموع ومقروء ومرئي، وأشرطة تحفظ الصوت والصورة فإذا المنبر منارة تشرف على الدنيا ويحيط بخبرها ويطرح آراءه وأفكاره في عموم مجالاتها، دينها ودنياها.

ومصدر الخير، والفيض والعطاء، والنبع المبارك هو من انتسب شرف المنبر إليه وانتمى، ذلك هو أبو عبد الله الحسين بن علي (عليه آلاف التحية

(١) وقد أور السيد محسن الأمين في كتابه (إقناع اللاتم على إقامة المآتم) في الفصل السادس منه جملة من الفوائد الدينية والدينية المترتبة على إحيائها فذكر ١٩ فائدة:

منها: أنها نادي تبشير بالدين الإسلامي ومنهـب أهل البيت في جميع أنحاء المعمورة بأقوى الوسائل وأنفعها وأسهلها وأبسطها وأشدها تأثيراً في النفوس بما تودعه في قلوب المستمعين من بذل أهل البيت الذين هم رؤساء الدين الإسلامي أنفسهم وأمواهم ودماءهم في نصرة دين الإسلام وما تشتمل عليه من إظهار محاسن الإسلام ومزاياه وآياته ومعجزاته ص ١٧٨.

ومنها: وهو من أهمها أن المصلحة التي استشهد الحسين عليه السلام من أجلها وفي سبيلها والغاية السامية التي كان يرمي إليها وهي إحياء دين جده عليه السلام وإظهار فضائح المنافقين تقضي باستمرار هذه المآتم طول الدهر وإقامة التذكار لها في كل عصر وإظهارها للخاص والعام تقوية لتلك المصلحة وثبوتاً لها، فلولا قتل الحسين عليه السلام لما ظهر للخاص والعام فسق يزيد وكفره وفجوره وقبائح من مهّد له ومكنه من رقاب المسلمين... إلخ ص ١٧٩.

والثناء) الباذل وجوده لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، فهو القوة الروحية والجنبة الإلهية، التي تعشقها القلوب، وتمفو إليها النفوس، وترتاح لها الأرواح، فالمطلع والختام شريف ذكره وما بينهما من حديث الخير والحق، من فضله وبره، فالخير منه يبدأ وإليه يعود:

تقيمُ هضتُك الدنيا وتقعدهُما للحشرِ ما بين إكبارٍ وتقديسٍ
 ناهيكَ من هضبةِ غصنِ الزمانِ بها لما تضمُّ وتحموي من نواميسٍ
 خلدتها فهي للأجيالِ مدرسةٌ تناوح المجدَ في بحثٍ وتدريسٍ^(١)
 وإن شأواً عظيماً للمنبرِ لجدير بأن يوفر له عوامل النجاح، ومقومات البقاء، لأداء رسالته كما يليق.

٦- واقع المنبر القائم:

إذا استوعبنا بنظرة دقيقة فاحصة للأمور التالية:

١- واقع المآثم وكمها الهائل *تيتا كوميتر علوم رسيدي*

٢- وفرة المنتسبين إلى المنبر.

٣- المادة المنبرية المطروحة.

ولاحظنا بإزاء ذلك مهمة المنبر العظيمة، فإنه يبعث فينا روحاً وإحساساً واهتماماً بالغاً لغربة القضية وملابساتها.

إذن فلنستعرض، ولنمشي في هذا الدرب، هادين إلى الصراط المستقيم، متجنين مواطن العثرات، بغية أن نوّدي بذلك خدمة للمنبر

(١) للعلامة السيد عباس شبر كما أفاد العلامة الشيخ عبد الهادي الفضلي (دامت بركاته) ووقفت على نسبتها لشاعرها في (أدب الطف) للخطيب الشهير السيد جواد شبر ج ١٠ ص ٢٦٢ وقد أورد ٢٢ بيتاً وقبل أول الأبيات الثلاثة هذا البيت:

للمصلحين قواميسٌ مخلدةٌ في الأرضِ واسمُك عنوانُ القواميسِ

العظيم، ومن ينتمي إليه وينتسب.

١- الكم الهائل:

وقد ألحقت إلى الكثرة المتناهية في عالم المجالس الحسينية إلى حد استوعبت به أغلب ساعات الليل والنهار أيام محرم و صفر، وكثيراً من الأوقات أيام العام، وعلى نحو التعدد في القرية الواحدة الصغيرة فضلاً عن غيرها، ولم تعد خاضعة لنظام أصلاً فتشروع ابتداء من بين الطلوعين وتشغل تمام النهار إلى حد غير مبالغ فيه تعقب وقت تناول طعام الظهر مباشرة، وهكذا تستمر إلى ما بعد منتصف الليل. وقد سمعت أحد أجلاء المشايخ يتحدث عن منطقته التي عاش فيها حياته العلمية أنها نشأت وتربت على الحزن، نظراً لتكيف حياتهم وانطباعها على المآتم ليلاً ونهاراً.



٢- وفرة المنتسبين:

ولهذا الكمّ الجمّ أسباب متعددة منها:

١- باعته التربية وحفظ وظيفه الأباء والأجداد.

٢- الملازمة للوضع كجملة من يحرم نعمة البصر وينعم عليه بنعمة الحافظة.

٣- الهدف المسبق والتصوير المدروس.

٤- وقد يلتقي في اتخاذ المنبر مهنة ووسيلة للكسب عند بعض إن لم يكن هو الغرض المهم عند آخرين.

والشيء الجدير بالملاحظة أن الساحة تملأ بكمّ هائل متفاوت المؤهلات، مختلف القابليات، دوئماً مراعاة لتقسيم وتصنيف، في حين أن تصنيفها يجعل منها عدة فئات وأقسام:

١- طبقة عامية محضة ترتفع عن الأمية بدرجة، ومع ذلك فلم يطرق سمعها كلمة نحو أو مسألة في فقه فضلاً عن عقائد ومعارف.

- ٢- وأخرى أرقى منها قد تحسن القراءة لكن بدون تدبر وتمييز.
- ٣- كثرة الاطلاع والقراءة في عموم المعارف بيد أنها لا تحمل علماً يضبط ما قرأت ويحكم على ما اطلعت، فقد تخبط خبط عشواء في مسائل ومسائل لا تهتدي للغاية سبيلاً، وقد يعتمد كثير من هؤلاء على حفظ المسطور من كتب السيرة والتفسير وكتب المنبر وموضوعاته بصفة عامة، وكثيراً ما يرتاحون لحفظ نتاج خطباء آخرين عن ظهر قلب من أشرطة مسجلة، مع عدم فقههم لما يحفظون أحياناً على نسق ما يحفظون من الكتب تماماً.
- ٤- نمط آخر لا يقاس بمن عداه في تركيزه وعمق فكرته وسبك موضوعاته وأسلوب طرحه، ويلاحظ على بعض هذا الصنف الاعتداد بالرأي وعدم الدقة في جملة من المسائل.
- ٥- وقسم آخر مميز إلا أنه نادر وهو ما يجود به الزمن من علماء خطباء من الطراز الرفيع ممن اتصف بالاجتهاد والفقاهة وأحرز مؤهلات المنبر وملكة الخطابة^(١).

(١) كالشيخ المرزا محمد رضا الهمداني ١٢٦١-١٣١٨هـ، قال عنه شيخ الباحثين الطهراني: حتى نبغ وحاز درجة عالية وأصبحت له خبرة وبراعة في الفقه والأصول والتفسير والأدب والكلام والفلسفة، واشتغل بالخطابة فكان ابن بجدقا وفارس حلبتها، أجمعت الكلمة على أفضليته وأنه أجل أهل المنبر والوعظ بعصره، وكان موهوباً في سعة اطلاعه وحلاوة بيانه وتفننه وغزارة مادته العلمية فكان إذا رقي المنبر أفاد كلاً بحسبه ولم يترك فرداً من حضار مجلسه مهما كان سلمي المكانة في العلم إلا وأسمعه جليداً، فخطابته نظير البحث الخارج الذي يلقيه المجتهدون، طبقات اعلام الشيعة ص ٧٦٤. وكالشيخ المحقق العلامة الأميني، والعلامة الكبير الشيخ الوحيد الخراساني أحد أساتذة الخارج في (قم) المقدسة، والخطيب الشهير الشيخ حسين علي التريبي المشهور بـ (راشد) ترجم له الشيخ الطهراني في طبقات اعلام الشيعة ص ٦٧٢ وقال عنه: واشتهر في (طهران) بالخطابة وذاع اسمه وامتاز بذراية اللسان وغزارة المادة والبراعة في العلوم القليعة والحديثة وحسن الأداء... الخ، وخطيب وطننا الكبير الشيخ الميرزا

وبين هذه الأقسام رتب متفاوتة كما نلاحظ ذلك في أطرافنا وغيرها، وكما يلاحظ في قوائم المنتسبين في كتاب (خطباء المنبر الحسيني) لحيدر المرجاني، وحسبنا أن نذكر أن في شبه القارة الهندية اليوم ما يزيد على عشرين ألفاً من الخطباء والذاكرين، مجلة الموسم العدد السابع ص ٨٣١.

ونلمس تناسب الكم الهائل في المجالس مع الكم الهائل في المنتسبين، كما يبدو أيضاً تناسب كيف المجالس مع كيف المنتسبين. فجملة من المجالس والمناسبات يقنع فيها بأفراد من الصنف الأول والثاني، وجملة أخرى يرغب فيها إلى آخرين، حسب مناسبة المقام للمقال ومقتضى الحال. وقبل الانتقال إلى القسم الثالث أود التنبيه على أمر مهم يرتبط بالحديث وذلك:

إن المجتمع ورغم انفتاحه وتعاقب الموجهين وتعايشهم معه إلا أن الانغلاق لازال سائداً ومطبّقاً، والمقاييس والموازن لا محدودة ولا مضبوطة، بل ومغلوبة، حتى أن التمييز مفقود لدى كثير - والتصنيف غير موجود، فقد اختلطت المفاهيم، ولم يبق تحت تحديد وتقسيم للمنتسبين، فإذا هم لا يفرقون بين المعوج والمستقيم، ولا بين الصحيح والعليل، فالتسمية (خطيب)، أو أي لقب آخر ثابتة للجميع، والجزاء والمكافأة المادية قد يعلو قدر الوضيع فيها على الرفيع.

وفي قبالة ذلك نفسيات بعض المنتسبين وتفاعلهم مع المجتمع والمهنة وردة الفعل المعاكسة. وكم قضية تقع جراء هذه التصورات، ونتاج هذه

حسين البريكي والخطيب الشهير عماد تقى فلسفي وهو خطيب (إيران) المعروف بطول الباع وسعة الاطلاع وحسن المقال، والخطيب الشهير الشيخ أحمد الوائلي خطيب العرب وقد لقبه بعضهم (بأمير المنبر الحسيني) والذي يقول فيه أحد الأساتذة:

منابرُ الحسينِ وهي جمّة	مدرسةٌ لعالمٍ وجاهل
فإن تردّ عرفانٌ ما جاء به	محمدٌ خلّصني جيلٍ فاضل
من اجتماعٍ واقتصادٍ حكمة	فلسفةٌ تحلّو لدى الأفاضل
عليك فالزم منبراً يصعدُهُ	خطيبٌ جيلك الكبير الوائلي

الأفكار، وهي بدورها تبعث على البلبلة في صفوف المجتمع، وتنعكس منها صور غير نقية في أذهانهم، وما دامت الأوضاع هي هي والنفسيات هي هي فلا يبشر الحاضر بمستقبل خير، وهذا باب واسع تجرح فيه العواطف ويمس فيه الشعور بما لا يلائم الطبايع المختلفة والأذواق المتفاوتة، ولم أقصد من إثارته إلا السعي لإجلال المنبر لا النكايه أو الإقلال من شأنه، والله من وراء القصد.

٣- المادة المنبرية: لدى الرجال والنساء:

١- وقد منيت -ومن القلم- بما يعني به غيرها من أعراض وأمراض، والباحث- بتجرد وعمق- يقف على الرواية المكنوبة، والقصة المشوهة، والحدث المختلق، والحقيقة الضائعة، ويجد أمامه مؤلفات في السيرة والتاريخ، والمجاميع الروائية ودواوين شعر المناسبة، فينهل منها ثقة بأصحابها واعتماداً على أربابها، وهو قاصر عن إدراك الغث من السمين، وتمييز الصحيح من المغشوش، فيصبح بذلك راوية مردداً، ومعيداً مجدداً. وتبعاً لاتساع الأحاديث المنبرية يتسع الفتق على الراقع، فلم تعد المسألة محصورة في استعراض أحداث تمت إلى الطف بصلة، بل شمل ذلك كل الموضوعات المطروحة، فزاد ذلك من الخلط وعدم التثبيت والضبط من المتحدثين، لقلّة بضاعتهم، وكثرة إضاعتهم. والشواهد المتوافرة الحية، تكشف بوضوح أبعاداً ومناحي يعجز القلم عن تصويرها، كما هو واقعها، فالمواسم المهمة تضح وتعج بمتحدثين يجوبون عموم الموضوعات عرضاً وطولاً، وعمقاً وارتفاعاً، يتناولون التفسير، ويبحثون العقائد، ويخوضون في الفقه، ويسرون في التاريخ، ولا يبخلون على المستمعين بالتحليل والاستنتاج، والتوفيق بين نظريات العلم الحديث في كثير من المجالات، وبين الآيات والروايات، فإذا بالمتحدث -وما أكثرهم- وكأنه عبقرى زمانه، وعلامة دهره، ولكنه مع الأسف قد يرتفع عن العامي المحض شيئاً قليلاً.

نعم، قد أسعفته حافظه قوية، ورطته في تسجيل بحث أصولي، أو فلسفي، أو مقالة رائعة، لكاتب مبدع، أو أديب لامع، فحفظها، وأفرغها

أمام جمهوره، وهو لا يستوعب ما حفظ وتلا.

٢- وأوضاع المجالس النسائية عموماً وما نحن بصدد، خصوصاً بأمس الحاجة إلى الإصلاح الجذري والتهذيب، وما يسمى عندهن بالمجاميع محشوة بكثير من الأساطير والخرافات والأفكار البالية والقصاص الخيالية، وللبحث تنمة مهمة نرجو التوفيق لتجليتها فيما يأتي.

٧- نظرة في الإصلاح؛

١- إصلاح الكم الهائل؛

فمن واقع التصور والواقع المعاصر، تنبعث القناعة بأن ضبط المجالس وتحديداتها ونظمها أدعى لتأدية غرضها من هذه الأرقام الكثيرة الذي يخشى من كثرتها إذ هما للانشداد للمنتبر والتشويق له، والتفاعل معه، وارتباط الأرواح به، والنفوس تسأم من التكرار والإكثار والاستمرار، حتى ولو على النوع الممتاز من عموم الأمور كما هو الحال القائم في المجالس، فتمل النفوس الدأب على استعادة المصائب والأحزان، وتميل إلى تبديلها بالأفراح، وينتظرون انقضاء محرم وصفر، لتنتعش نفوسهم بدخول الربيع، فيستشعرون المسرات.

ولو كانت المجالس على نظم وترتيب يبقي أثرها حياً، ووجودها طرياً، بانتخاب الأوقات المناسبة، لكانت أنفع في إنجاح الغرض، وإيفاء المقصد، ولذا فإننا نلاحظ في بعض المنطق التي تشرف على إقامة المجالس فيها جهة منظمة، رعاية هذه الناحية، بترتيب المجالس في الأوقات والعدد، وطبيعي جداً أن هذه الجهة من الإصلاح تتصل بما جهات وجهات، ترتبط بأرباب المآتم، وذوي الأوقاف، ومن يمت إليهم، وإذا انضم إذعافهم وتقبلهم لأهمية هذه الناحية إلى إصلاح النواحي الأخرى، تحققت الضالة المنشودة.

٢- إصلاح وضع المنتسبين؛

وما يكون من مقولة التشكيك قد تدعو الحاجة إلى تصنيفه، حتى تتحدد موضوعاته، فينسب إليها الحكم الموافق لها. أما الوضع القائم فقد انحسر فيه التقييم، فقسم كبير من المنتسبين لا يدركون قدر إمكاناتهم، ولا يخبرون طاقتهم، وقسم كبير من المجتمع تختلط عليه الأعداد الهائلة من المنتسبين، فيفقد التركيز والتصنيف. وكم يكون مهماً لو عرف الناس أقدار أنفسهم وأقدار غيرهم، رحم الله امرأ عرف نفسه فوضعها موضعها (وأنزلوا الناس منازلهم)، فيمارس كل صنف حدود قدرته، ويعامل طبق مستواه، فلا هو بمتجاوز حده، ولا الناس تخفضه أو ترفعه دون موجب. فالنائحة يختار شعر المأساة وينشده بالرقبة الباعثة على الأسى، كما كان الوضع في الأدوار الأولى لإحياء واقعة الطف، ومع الأسف فإن البعض قد لا يرتاح إلى الوقوف عند هذا الحد، وإن كان غير قادر على الانطلاق إلى ما هو أبعد.

والرتبة الثانية يشغل ويعنى وفق ما يقوى عليه، من استعراض سيرة منقولة عن الأثبات.

وهكذا كل صنف في حدود ما يحسنه من التعرض لمسائل الفقه والأحكام وبالطبع مع الفهم والإتقان - مقتصراً على مجرد النقل والشرح، متجنباً ما يورط به البعض أنفسهم من تصوره لإيراد الدليل الكليل والتعليل العليل إن لم يكن من أهل النظر والرأي كما هو العام الغالب.

وكلما سمت منزلته وعلت رتبته، أو اهتم بمجال معين أسهم بما ينفع، من غذاء العقول والأرواح، والمجالات خصبة، والأفاق رحبة، والتدرج ينبغي أن يتم طبقاً لهذا الاشتقاق والتوصيف من الترقى مرقاة مرقاة، وفي ذلك صون للمعارف، وحفظ للحقوق، وجري طبق النهج القويم والصراط المستقيم^(١).

(١) ومن الضروري بمكان وضع معايير علمية، ومقاييس تحدد درجة الخطباء، لئلا

ومما يحز في النفوس، ما نلاحظه من اضطراب في محاكاة بعض المنتسبين لمن هم أعلى منهم رتبة، وأقدم سابقه، وتقمصهم لشخصياتهم، وخوضهم فيما لا يحسنون من حديث. والتصنيف تمليه ضرورة تفاوت المدارك والاستعدادات وتنوع القابليات، كما هو سنة قائمة متبعة في شتى المجالات، فما كل من ينخرط في السلك العسكري يصنف أيام تدريبه الأولى مع من تجاوز مرحلة مهمة في الدراسة والعمل حتى ترقى لما هو أعلى، وليس طالب العلم الديني أو غيره يصنف مع كوكبة الفقهاء والمجتهدين، وهكذا في كل حقل واختصاص.

إذن لماذا هذا الخبط والخلط؟

ومن الخير أن نسترشد بأفكار جملة من الباحثين: يقول العلامة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي:

ومن أهم الشروط التي ينبغي أن تتوفر في الخطيب هي:

١- أن يكون ذا ثقافة عامة تقوم على ركائز وأسس علمية، يعي معلوماته وقيمها على ضوء تلكم الركائز والأسس.. وبعبارة موجزة أن يكون عالماً عاماً.

٢- أن يكون ذا نظرة اجتماعية بعيدة تفهم مقتضيات المناسبة ومتطلبات الموقف.

٣- أن يكون ذا أفق فكري يستوعب في مداركه مختلف ذهنيات مستمعيه.

٤- أن يكون واعياً لغة الجماهير أو المستمعة الذين يخاطبهم ومتخذاً منها وسيلة لعرض الفكرة.

٥- أن ينوع ويلون في معروضاته وداخل الإطار العام لفكرة

تختل المقاييس والضوابط، ويتسلق التهريج، وتدفن كثير من الكفاءات من جراء عدم قدرة الجمهور على التمييز، مجلة الموسم العدد الثاني والثالث ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م ص ٥١٢.

موضوعه.

٦- أن يكون متوفراً على وسائل العرض والتأثير أمثال: حسن الصوت وطلاقة اللسان وذنوبة المنطق وفنية الإشارة ومناسبة الهيئة وما شاكلها.

٧- أن يعيش فكرته ويحب أهدافها ليتفاعل وإياها حينما يعرضها بغية نجاح التأثير والتأثر.

٨- أن يكون ذا جرأة أدبية^(١).

ويتحدث العلامة الشيخ محمد مهدي الأصفى:

فالمجالس الحسينية تضم طبقات مختلفة من الناس يختلفون في النوق والفكر والعاطفة، وكل منهم ينشد الفائدة من المجلس، وليس من اليسير أن يجمع الخطيب كل هذه الطبقات ثم يرضيهم جميعاً بمختلف مستوياتهم ويشبع فيهم العقل والعاطفة معاً، ثم يكون حذراً بعد ذلك أن يتسلل الملل إلى نفوس الجمهور. وكل ذلك يتطلب من الخطيب كثيراً من الجهد، وتفريغاً لشؤون المنبر، ومعرفة واسعة بمختلف شؤون الفكر، وإحاطة بالتاريخ والأدب، وقبل ذلك كله تجربة طويلة في معرفة نفسية الجمهور، وتحسس مواضع الضعف والقوة والإثارة والاندفاع في نفوس الحضور^(٢).

وأود أن أضيف هنا:

١- أن يكون مراقباً لله العظيم في السر والعلن، وهذا هو الركن الوثيق والعروة الوثقى.

٢- أن يكون محباً للخلق - وهم عيال الله - ويدافع من هذا الحب يخلص في النصيحة ويحسن إيرادها، فيرفق في مواطن الرفق جالماً نحو ذلك مهما أمكن، ويشدد حينما تكون الشدة هي العلاج.

(١) مجلة الإيمان، العدد ٧ و١٠، ص ٩٢ وهو عدد خاص عن فقيه العلم والأدب

والخطابة الشيخ محمد علي اليعقوبي.

(٢) مجلة الإيمان ص ٢٦٨.

٣- ومن آثار المراقبة والإيمان أن ينبعث في عموم أوامره ونواهيه وسائل شؤونه الخطابية من مصادر العلم الحقة المأمونة، فيعرض للأمة قول مرجعها، فيكون بذلك كما يقول العلامة المحقق فخر الشيعة الشيخ آغا بزرك الطهراني عن المرحوم خطيب عصره الشيخ اليعقوبي بأنه:

(رسول من رسل الخوزة العلمية وموضع ثقة الهيئة الروحانية حمل رسالتها بأمانة وبشر بمبادئها بإخلاص)^(١).

٤- أن يكون متحلياً بالأخلاق الفاضلة قلباً وقالباً حتى يتم له ما يريد من الإصلاح. ويقول الشيخ المحقق الطهراني عن المقدس الخطيب العالم محمد علي الخراساني: "فقد كان لاتباعه لأوامر الشرع، وعمله بالخير والصالح قبل الأمر به، وابتعاده عن الشر والإثم قبل النهي عنه أثره في نفوذ نصائحه وأوامره ومواعظه في القلوب والنفوس"^(٢).



٣- إصلاح المادة المنبرية:

فيجب فيها أن تتصف بالصدق، وتتجرد عن التشويه، بالخلط بين

(١) طبقات أعلام الشيعة (ترجمة الشيخ محمد علي اليعقوبي) ص ١٥٦٠.

(٢) المصدر السابق ترجمة الشيخ محمد علي الخراساني ص ١٣٧٥، وينقل حضرة المؤلف أن الحجة السيد إسماعيل الصدر المتوفى سنة ١٣٣٨هـ توجه إلى الشيخ الخراساني وكان حاضراً في مجلسه قائلاً: "أقاي شيخ قدرني ماراً موعظة كنيذ" حضرة الشيخ عظونا قليلاً، فشرع بالوعظ وقراءة التعزية جالساً دون ارتقاء المنبر وهكذا كان باقي علماء عصره، انتهى.

روى الحر العاملي... قال: وقال عليه السلام: رأيت ليلة أسري بي إلى السماء قوماً تقرض شفاههم بمقاريض من نار ثم ترمى، فقلت: يا جبرائيل من هؤلاء؟ فقال: خطباء أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون، وعقبه بوصيته لأبي ذر: يطلع قوم من أهل الجنة إلى قوم من أهل النار فيقولون: ما أدخلكم النار وأنا دخلنا الجنة بفضل تعليمكم ونأديبكم؟ فيقولون: إنا كنا نأمركم بالخير ولا نفعله، وسائل الشيعة ج ١١ ص ٤٢٠.

وللوقوف على شرح الحديث وتوجيهه يقرأ: (الأنوار النعمانية) للسيد الجزائري - رضوان الله عليه - ج ١/٢١٦.

الغث والثمين، فتؤخذ وتستسقى من مصادرها- لا يؤخذ الشيء إلا من مصادره- فالفقه يؤخذ من أهله، والتفسير من معدنه، والتاريخ من رجاله الأثبات، والسيرة الحسينية تنتقى والشعر يختار، وهكذا كل ما يتصرف فيه الخطيب من مادة حديثه، والنهج القويم كفيل بتقويم الخطيب، وجمعه لزيد خطابته جمعاً يأخذ بمستمعيه نحو العلم الصحيح، والتربية الحقة، والطرق المثلى، في بناء الحياة على أسس وقواعد مركزية.

أما وكما نسمع، أن يتلقف المتحدث ما هبّ ودبّ، مما خُطّ وكتب، وفي مختلف المجالات، فيقرأ ويذيع، رغبة في تجديد مادته المنبرية، وإتحاف السامعين بالحديث الحادث، وإن لم يميزه هو، ويعرف دخيلته ولبه، فقد يكون في بعض صورته وأشكاله خيانة للمنبر وللمجتمع.

هذا وواقعنا المعاصر لم تعد كتب خاصة فيه للمنبر، بل كل ما تخرجه المطابع ودور النشر، يقع في أيدي المنبريين، عرضة للنظر فيه ولقراءته، ثم يتصرف في ذلك من واقع إدراكه وإيمانه وتجدد الإشارة هنا لجملة من العينات والنماذج التي كانت ولا تزال إلى حد ما مصادر ومراجع لفئة من المنبريين وكأها فحج للخطابة الحسينية.

١- كتب مرتبة على المجالس:

قد يحفظها جملة منهم، ويلقيها كما هي، دون زيادة أو نقصان وعلى علائقها^(١).

٢- مجاميع النساء:

وهي محشوة بأشتات وأصناف من هنا وهناك، وهي بأمس الحاجة إلى التنقيح والإصلاح والاستبدال^(٢).

(١) ككتاب الشيخ محمد مهدي الحائري المازندراني: معالي السبطين وشجرة طوبى، وكالمنع الإلهية وكفاية الخطيب، وإرشاد الخطيب.

(٢) مجموعات لا يعلم مؤلفها ولعله الذي يتولى خطتها فيجمع فيها كثيراً من الروايات والقصص والشعر الفصيح والدارج، وقسم منها ينظم بوحي النائحة ذاتها فترغب باستنساخ ما يروقها وتضم إليه من هنا وهناك حتى يتألف من

٣- الشعر:

ولا سيما في الدارج منه الرائج في أطرافنا^(١).

٤- كتب الموالي:

وهو مايتلى في الأفراح ومناسبة ولادة المعصومين عليهم السلام^(٢).

وهي بشكل عام بحاجة إلى تمذيب وإصلاح وتحقيق وتمحيص وتجريد عن كثير من الفضول المبتوثة في كثير من الفصول.

٥- كتب المقاتل:

وهي كسابقتها مبتلاة بالضعف وعدم الضبط، وتعتمد ما يثير الأسى والبكاء وإن لم يكن موثقاً^(٣).

ذلك مجموع يخصصها.

(١) وله شعراؤه المميزون والبارزون كالشيخ محمد بن نزار العراقي والملا عطية الجمري البحراني والقتلاوي والحاج أحمد العوي، وابن منظور وغيرهم، وقد طبع من هذا الشعر دواوين كثيرة جداً، وعموم شعرائها ينظمون وفق أفهامهم الخاصة دونما ملاحظة أو تحقيق إلا من كان من أهل العلم والاطلاع وكذلك من النساء شاعرات دارجات كثيرات.

(٢) ككتاب الشيخ أبي الحسن البكري من علماء العامة- وله أسلوب مميز في عرض المولد النبوي الشريف في التوصيف والسجع وإيراد شعر الغزل والمدح وهو محشو بما لا يصح ولا يليق أن يقرأ، ولقد حاول في الآونة الأخيرة أستاذنا المقدس فضيلة العلامة الشيخ منصور البيات رحمته الله في تأليف مواليد للأئمة المعصومين عليهم السلام.

(٣) يقول العلامة المطهري عن ثراء المادة التاريخية حول شهادة الإمام الحسين: في السابق كنت أتصور أن سبب هذه الأكاذيب التي الصقت بهذه الحادثة يكمن في عدم معرفة الوقائع الصحيحة للواقعة، ولكنني بعد المطالعة والتدقيق لاحظت أنه ربما تكون واقعة كربلاء واحدة من أندر الوقائع التاريخية المدعمة بكل تلك الأسناد التاريخية الباقية منذ ذلك التاريخ البعيد أي منذ أربعة عشر قرناً خلت، وقال: والروايات الموجودة في هذا الشأن إما متطابقة أو قريبة جداً من التطابق مع بعضها البعض... إلخ. الملحمة الحسينية ج ١ ص ٢٢.

وأمر عظيم ومقام شامخ وأثر حيوي فعال في عقل المجتمع وروحه وحركته وتوجيهه ينهض به المنبر الحسيني، وإنه لحقيق ببذل الجهود المؤثرة، والأعمال المتضافرة لإصلاحه، حتى يتم به إصلاح المجتمع، فهو بمركز القلب والروح^(١).

ولعمري إنه العمل الكبير الذي تنوء به العصبة أولو القوة،، نظراً لما يستدعيه الموقف من علم وبيان بجهة الإصلاح أولاً وصبر وتحمل للمشاق والعقبات ثانياً، ولما يثيره طبع الإصلاح من ردة الفعل ثالثاً.

أجل، لقد ساهم في هذا المجال جملة من المصلحين بما اقتضاه نظرهم في نحو الإصلاح فثارت في وجوههم العواصف، وضاق بهم ذرعاً من لم ترق لهم تلك الدعوة، فكانت ردة الفعل غير لائقة في كثير من جوانبها وأطرافها^(٢)، وكم تضيق صدور في مثل هذه المناقشات فتخرج بالجدل

أقول: وقد لاحظت ما ذكره الشيخ في كثير من كتب التاريخ بصورة عامة.

(١) ومن جهات الإصلاح استبدال الكتب غير النقية حتى تأخذ أثرها، ولجهد في هذا المجال - مما يصلح أن يكون البديل المفيد- المجالس السنية للسيد الأمين، والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين، ونهضة الحسين للسيد الشهرستاني، ومقتل الحسين للشيخ كاشف الغطاء، ومقتل الحسين للسيد المكرم، ودراسات أخرى ألت بحديث كربلاء أو غيرها مما نعارف القراء على إيراد.

(٢) وقد قرأت كثيراً عن فترة العاصفة التي أثير فيها تطوير المنبر وإصلاح صور العزاء قرأت عنها في كتاب السيد الأمين الأعيان، وخطط جبل عامل ورحلاته، ومقدمة المجالس السنية، وإقناع اللائم، والتنزيه، والشيعه بين الحقيقة والأوهام، وكذلك في الذريعة، في ما ألف رداً على السيد الأمين، وفي تراجم المؤلفين وبعض الفقهاء المراجع الذين كان لهم دور، وفي مجلة الإيمان (العدد الخاص بالشيخ اليعقوبي. وغير ذلك) ولا أود -شهد الله- إثارة القضية وإعادة ذكرها وتجديدها والخوض في تفصيلها وإنما أود تسجيل كلمة هنا، ألا وهي: إن مثل هذه المطارحات العلمية والمناقشات فيما يصح ويليق أو لا يصح ولا يليق يناسب أن تدور في فلكها العلمي وبين رجالات العلم لا في الفلك العاطفي وبين العامة من سواد الناس لئلا تخرج عن واقعها إلى الفضول وكثير من اللغو، والعلماء وحدهم أهل النظر وملاحظة الأدلة بعناوينها الأولية والثانوية،

العلمي والنقد النزيه إلى المشاحنات والتشكيك في سمو القصد وشريف الغاية والخروج على أفكار ومعتقدات المذهب والنسبة إلى المروق عن الدين. وكم هو جميل ورائع حقاً أن تأخذ أمثال هذه المسائل والمشاكل المسار العلمي المستقيم وتتسع لها الصدور، وإن تباينت فيها الآراء. فاختلاف الرأي لا يفسد للود قضية.

ويجنب خوض العوام وفضولهم في الأمور الفاضلة.

وأدوار الإصلاح ينبغي لها أن تكون مستوعبة فلا تقتصر على جهة دون أخرى فالكمال المنشود لا يتم إلا بالتوجه لكل ماله دخل في الإصلاح من الأمور السابقة وغيرها.

٨ - اقتراح في طريق الإصلاح:

وبعد، فأتصور أن جملة من سبل الإصلاح تتمثل في مايلي:

١ - قيام لجنة مؤهلة بتمام معنى الكلمة علماء وإيماناً وتجربة، تتولى إعداد الخطباء وتربيتهم التربوية المثلى وتعددهم رجال إصلاح أكفاء قادرين على تحمل المسؤولية والنهوض بها^(١).

وكم رأينا من تطفل المتطفلين في إثبات أو نفي جملة من القضايا العلمية والتاريخية وما تجره هذه الجراءة منهم، هذا والمسائل المطروحة لا تخرج عن دائرة العلم واللائق أن يرجع فيها إلى حملته، ولا غضاضة في اختلاف النظر بين عالم وآخر، فإجراء مراسم العزاء، وحديث زواج القاسم بن الحسن، ومسائل أخرى من هذا القبيل يمكن أن تناقش بما يمليه حق العلم وجلاله وأصول المناقشة والمخاطبة. وأكتفي بهذه الإشارة راجياً أن تصان الحقائق عن الابتذال والامتهان.

(١) ولم تعدم هذه الفكرة أنصاراً مساهمين في إحيائها والعمل على توسعة دائرتها نعد منهم:

(١) الشيخ محمد رضا المظفر والسيد محمد نقي الحكيم ومن أزرهما في جمعية منتدى النشر في النجف الأشرف، لاحظ ثورة الحسين في الوجدان الشعبيص ٣٠٥... إلخ.

(٢) المحلولة الهادفة التي تبناها سماحة الفقيه آية الله السيد محمد كلظم شريعتمداري في

٢- رعايتهم في الابتداء والانتهاؤ والإشراف على ممارستهم المنبرية ومدى تقدمهم ونجاحهم في مهماتهم، وتزودهم بالجدید النافع من الأفكار حتى تواكبهم مسيرة الحياة.

٣- إلتفات المنتسب-على الأقل- لتكمیل ذاته على يد أهل العلم والإيمان، فحقق الخطاب كسائر حقول العلم والمعرفة جدير بالدراسة.

٤- اهتمام لجنة أو أفراد بإصلاح المآثور-من مواد الخطاب- وتهدیها

مؤسسته (دار التبلیغ الإسلامی) فی مدينة (قم) المقدسة، وقد تحدث (أعلى الله مقامه) عنها فی افتتاحیه العدد الأول من مجلة الهادي العربية التي أصدرتها دار التبلیغ الإسلامی.

(٣) مدرسة الواعظین فی (لكنهو) أنشئت لتخريج الدعاة والمبلغین والخطباء كما جاء ذلك فی دائرة المعارف الإسلامیة الشیعیة المجلد الثالث ج ٢ ص ٣٨١.

(٤) المعهد الإسلامی للتبلیغ والخطابة أسس فی لندن أواخر عام ١٩٨٨م وعنوانه: (٤٤٦ Edgware road, London W٢ Tel: ٢٢٤٨٢١٢).

مجلة الموسم العدد الخامس السنة الثانية ص ٣٣٩. وجاء فی الموسم ص ٢٣٦ من العدد السابق الذكر قصیة بعنوان (رسالة المنبر) للسید حسین الصدر عمید المعهد ليلة افتتاحه مطلعها:

عبقُ الولاءِ وهديُّ آلِ محمدٍ غمرا بطيبيهما رحابَ المعهدِ

ومنها:

يا معهدَ الإسلامِ يومُك زاهرٌ وأراك وضاحَ الملامحِ في الغدِ

وختمها:

ولقد فرشنا للكرامِ قلوبنا مترقبين لقائهم في الموعدِ

أقول: ويا للأسف ويا للعجب كيف تضيق بلاد الإيمان وحواضر العلم عن احتضان معاهد الخطابة والمنبر وتتسع لها بلاد الكفر. أجل وإن كان في هذا ما يحز النفوس إلا أنه يعبر من زاوية أخرى عن امتداد صوت الإمام الحسين (عليه السلام) وامتناعه على الحدود والسدود، وكما يقول فخر الطائفة السيد شرف الدين في كلمته الخالدة: لا ينتشر الهدى إلا من حيث انتشر الضلال.

(٥) وتبلو طلاب الخير وبشارته في إعداد خطيبات والعمل قائم على إنجاح ذلك (في منخلقنا) نرجو للقائمين والقائمات التوفيق والنجاح.

طبق أصول الشرع وأحكام الدين وحقائق التاريخ وما يرتبط بمواد الخطابة.
٥ - الاهتمام بالتوجيه للمنبرين الممارسين لهذه المهمة الشريفة بكل ما يعمل على تقويم أمر خطابتهم.

٦ - العناية اللائقة بإعداد الخطيبات وتربيتهن تربية صالحة تعمل على الانتفاع بمشاركتهن في إصلاح شأن المرأة المؤمنة^(١).

٧ - عقد اجتماعات ولقاءات بين المنبرين وبصورة مثمرة - للتدارس في الشجون والشؤون.
إلفات^(٢):

وقد عرض مؤلف كتاب (تمهيد الحسن وقيام الحسين عليهما السلام) ص ٥٦٧ فصلاً بعنوان: (المجلس الحسيني ومنبره هدفه وتطوره)، وذكر ص ٥٨٩ ما نصه:

"وبذلك يتضح خطأ من وضع شروطاً لمرئادي المنبر الحسيني ترتبط بالمستوى التعليمي والعلمي والثقافي للخطيب فاشتراط حصوله على مواد معينة أدبية واجتماعية وتاريخية وغيرها".

وعنى بذلك كما ذكر في هامش الصفحة ما جاء في كتابي (الحسين في موكب الخالدين) ص ٢٦٠.

فأقول:

إني قد عرضت في الفصل السادس المعنون: (المنبر الحسيني) شؤوناً عدة وأوردت فيه جملة من آراء الباحثين حول إنجاحه وإصلاحه.

وأحسب خلوه من المساس بقدمية المنبر الحسيني الشريف ولا علاقة لما ذكر بما تصوره الناقد المحترم، بل هو تصنيف لواقع المنبرين واقتراح في الارتقاء بمستواهم حيث يتسمنون ذرى المنبر ومراقبه الشريفة دونما انتقاص

(١) وقد أعدت (مجلس الزهراء عليها السلام) ضمن نشاطاته وأعماله برنامجاً (الخطابة النسائية) نرجو له التوفيق لإنجاحه وتحقيق غايته.

(٢) وهو من زيادات الطبعة الثانية.

لمن هم في رتبة الرائي والنائح، والمتأمل في الفصل المذكور ليقف على هذه الحقيقة بجلاء.

وأعتقد أننا نلتقي فيما عنونه بـ (تصنيف الخطباء) وما ذكر من شروط فإنما تصب في هذا المجال، ويعود النقاش لفظياً.

وبالتالي فلا داعي لقوله ص ٥٨٩: "وبالجملة فتلك الدعوة نابعة من خيال وتصور أصحابها ولا دليل عليها من آية أو رواية تصوراتهم" بل الوارد على خلافها.

نعم هي عاطفته الإيمانية وغيرته الدينية وتصوره أن ما ذكر يشكل عقبات أمام من يتشرف بخدمة سيد الشهداء عليه السلام من خلال ما يحسن.

هذا وقد جاء اشتباهاً مطبعياً ذكر اسم كتابي هنا بـ (الحسين في ركاب الخالدين) بل هو (الحسين في موكب الخالدين).

وبعد، فله شكري المكرر وخالص دعائي وجميل تقديري.

ورغبة في توفير مراجع تعين الباحثين على التوسع في دراسة الموضوع أذكر جملة مما وقفت عليه، وقد لاحظت أن لغة كثير منها لا تخلو من قسوة، وأرجو أني قد استرحت منها فيما كتبت فمناها:

١- سموم التكية، مقال للسيد صدر الدين شرف الدين (العرفان، الجزء الثاني، المجلد الثاني والأربعون، ربيع الثاني ١٣٧٤هـ - ص ١٣٥).

٢- الهدم الباني، مقال للسيد المزبور. (العرفان، الجزء الثالث، المجلد الثاني والأربعون، جمادى الأولى ١٣٧٤هـ - ص ٢٥٤) ويتسم بالجرأة والصراحة.

٣- كيف أصلح السيد محسن الأمين المنابر الحسينية. (العرفان، الجزء الرابع، المجلد الثاني والأربعون، جمادى الآخرة ١٣٧٤هـ - ص ٤٥٨) بقلم محمد علي مروة.

٤- الخطابة والمنبر، للعلامة الشيخ مرتضى مطهري من سلسلة

محاضرات في الدين والاجتماع (١٠)، وهو بحث مستفيض ألم بموضوعات عديدة حول آثار وشروط المنبر والخطابة.

٥ - مقدمة العلامة الشيخ محمد جواد مغنية لموسوعة (أدب الطف) للخطيب الفاضل السيد جواد شبر، الجزء الأول.

٦ - مجلة الإيمان عدد خاص عن الخطيب الشيخ محمد علي اليعقوبي.

٧ - ماجاء في كتب السيد محسن الأمين وفي ترجمة حياته.

٨ - كتب الخطابة عموماً والمنهجية التعليمية خصوصاً كصناعة الخطابة من كتاب المنطق للشيخ محمد رضا المظفر.

٩ - الخطابة والبيان، لخطيب إيران الشهير الشيخ محمد تقي فلسفي.

١٠ - تجاربي مع المنبر، لخطيب العرب الشهير الشيخ أحمد الوائلي.

١١ - المنبر الحسيني، للخطيب الشيخ محمد باقر المقدسي.

١٢ - اللؤلؤ والمرجان، للشيخ النوري الطبرسي، وقد تُرجم إلى العربية.

مركز تحقيق كويت علوم إسلامي

١٣ - نفس المهموم، للشيخ عباس القمي.

ملاحظة هامة:

كل هذا ونظيره مما له دخل في إجماع الغرض وتحقيق المقصد لا بد أن يراعى فيه جوانب الاحتياط وتمام المراقبة والتوقي من الوقوع في العثرات وإصلاح الفاسد بمثله.

أجل، إنه للمطلب الصعب والعمل الجبار ولكنه على الغياري المخلصين ذوي الهمم العالية غير عزيز.

خاتمة:

أود هنا رفع ما يحتمل انقداحه في أذهان البعض ودفع ما قد يخطر في تصورات آخرين، فيحملون دعوتي هذه على أنها تهجم على المنبريين أو حط

من أقدارهم أو تدخل غير سائغ في شؤون المنبر^(١).

كلاً، فالذي قصدته وأهدف إليه هو الإجلال والإكبار لهذا النبع الفياض والمنهل العذب الذي يستمد من سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام العطاء الخير المبارك. فجدير بمثل هذا السلسبيل الزلال أن لا يكدر، وجدير بمن يرتوي ويروي أن يظهر بالمقام اللائق بمقتضى شرف النسبة والإضافة والانتماء.

أقول هذا وكلي ثقة بالله وتوكل عليه وتوسل بحبل أبي عبد الله (صلوات الله على روحه الطيبة) وتعلق به وتشرف بأن أشرف نفسي وقلمي بالخدمة في إحياء أمره والإشادة بذكره.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢).

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٣).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) هذه من زيادات الطبعة الثانية.

(٢) سورة يوسف: الآية ١٠٨.

(٣) سورة فصلت: الآية ٣٣.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

ملحق عن بعض كتب السيرة الحسينية وإصلاحها وبعض ما ينفع

المنبريين

لاحظت من خلال معالجاتي لواقعة الطف العظيمة أن العلامة الشيخ مرتضى المطهري رحمته الله من أشد المنتقلين ودعاة النظر والإصلاح في ملابسات الواقعة إن لم يكن أشدهم وأجراهم.

وشهد الله أني أعرضت عن إيراد جملة من النقد ونقاط الضعف حول المنبر والمنبريين، خشية من توهم الإقلال من شأنهم والتضعيف من جلال المقام، وأن تظن بي الظنون، وأرشدني إلى ترك تلك الجملة أو الجمل من أسترشد برأيه وأهتدي بفكره والآن مع المطهري إشير إلى نتف مما أثار النقد والعجاج حوله وبلهجة قاسية أحياناً:

١- (روضة الشهداء) ومؤلفه الملا حسين الكاشفي، توفي (٩١٠هـ) تقريباً وقد ناقشه في مواطن عدة ووصف المؤلف والمؤلف بكل وهن وضعف في المعتقد والعمل^(١).

٢- (أسرار الشهادة) ومؤلفه المرحوم الملا آقا الدريندي^(٢)، ونقده نقداً لا دعاً جداً، رغم أنه يصفه بالإيمان والإخلاص لسيد الشهداء عليه السلام.

(١) الملحمة الحسينية ج ١ ص ٤٣ و ص ٢١ و ص ٨٤ وقد كرر مناقشاته مراراً كلما دعت مناسبة كما يقف على ذلك المتتبع.

أقول: سبق أن أشرت إلى تقييمي إلى (الملحمة الحسينية) فهي تثير في ذهن التفكير وتحرك الساكن، ولكن لا يعني هذا موافقة المؤلف المحاضر في كافة آرائه المطروحة ففيها مواطن للمناقشة، وهي على نفاستها جاءت مفرغة من عدة أسرطة لمحاضرات ودروس في فترات متعددة، ولذا يلاحظ تفاوت نتائجها قوة وضعفاً بالإضافة إلى التكرار، ويبدو أن عناية المترجم (جزاه الله خيراً) دعت إلى ترجمة كل لفظ نطق به الشيخ المحاضر أو حرف خطه الشيخ المؤلف، ومن سير الملحمة وقف على ما أقول وعلى صحته أيضاً.

(٢) المصدر نفسه.

٣- (محرق القلوب) والظاهر أنه للنراقي رحمته (١) وتناوله الشيخ بنحو آخر من المناقشة.

٤- وقد أورد رحمته قضايا وأساليب خطابية متنوعة غريبة سمع بعضها ونقل بعضها عن آخرين، وبعضها لغرابتها تدخل في عالم الخيال، فليقرأها من يعنى بذلك أو يكون له غرض يدعوها إليها.

وأختم هذا الفصل بما أنقله من ملحمة مما رواه عن الشيخ النوري: «أن أحدهم ذهب يوماً إلى المرحوم صاحب المقامع وقال له بأنه قد رأى مناماً موحشاً في الليلة الماضية، ولما سأله عن المنام قال: رأيت نفسي وأنا أقطع لحم الحسين عليه السلام بأسناني! فصار السيد يرتجف وبعد أن اطرق برأسه إلى الأسفل واخذ يفكر قليلاً قال له: لعلك كنت من قراء التعزية؟ فقال له الرجل: نعم هو كذلك، فقال له السيد: إذن ينبغي عليك ترك هذه المهمة من الآن فصاعداً أو أن تعود إلى المراجع والمصادر الصحيحة حول واقعة الطف.

إذ أنك بالكاذب التي تنقلها على المنبر تبدو وكأنك تقطع بدن الحسين عليه السلام بأسنانك! وقد كان هذا من لطف الله عليك إذ جعلك ترى هذه الرؤيا حتى تعود إلى الحق وتسترشد بكتب الصالحين» (٢).

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر السابق ص ٤٤.



الفصل الأول: دور المرأة في واقعة الطف

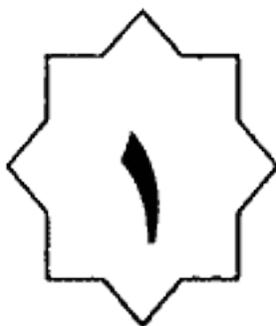
الفصل الثاني: وفي الشام
تتذكر كويتيون علومهم

الفصل الثالث: نساء لهن شأن بحديث الطف

الفصل الرابع: مناقشات سريعة



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



المرآة
المرآة
المرآة
المرآة
المرآة
المرآة
المرآة

❁ مقدمة واستعراض

❁ مشاركة حرائر الرسالة في

النهضة الحسينية

❁ بطلة كربلاء

❁ نساء الأنصار الشهداء

❁ عودة إلى بطلة الطف



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

مقدمة واستعراض:

من الحقائق المسلم بها أن الدين الإسلامي العظيم احدث تغييراً جذرياً في المجتمع وفي عموم المجالات، فقوم وأصلح وأنشأ وبنى فكر الإنسان وروحه ومشاعره وعواطفه وسائر شؤون حياته.

ومن أهم الظواهر التي تناولها الإسلام بالإصلاح هي: نظرة العرب للأنثى مولودة وامرأة.

ولنقرأ من كلمات الله بعض الآيات الكريمة والتي تصور لنا جانباً من واقع هذه الظاهرة في مجتمعهم الجاهلي.

يقول تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾

ويقول الله تعالى أيضاً: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾

والإسلام بهذا اللون من التنديد لهذه الظاهرة وبما يمتلك من مقومات الصلاح والإصلاح وفق في مهمته غاية التوفيق فاقطع جذور الكراهية والاحتقار للأنثى، وأعدّها عضواً فعالاً وعنصراً مهماً يشطر العضو الآخر والعنصر الثاني العمل في الحياة. والحق ان هذا من روائع الإسلام وإعجازه وسره الخاص، فنظرة عجلى على ما واكب أيام الإسلام الأولى توقفتنا على مدى تغلغله في أعماق المرأة التي لا تملك ولا يسمح لها أن تملك من أمرها شيئاً فحتى التفكير محظور عليها، فإذا هي واقفة متحدية لأسيادها وزعماء المجتمع بإيمانها العميق لكفرهم الشرس.

(١) سورة النحل: الآية ٥٧-٥٩.

(٢) سورة الزخرف: الآية ١٧.

وللتدليل على ذلك أورد أنموذجين ممثلين في شخصية المؤمنة الأولى السيدة أم المؤمنين خديجة، والسيدة سمية أم عمارة.

أم المؤمنين خديجة (سلام الله عليها)؛

المرأة الأولى في الإسلام والمثل الأعلى للمرأة المسلمة، أسبغ الله عليها الجمال والجلال والكمال، فعرفت كيف تتصرف في هذه النعم وبوحي من عبقريتها وحصافة رأيها اختارت محمداً أولاً بعلاً كريماً، وعميق وعيها اختارت دينه وفكره متحدية بذلك رأي المجتمع من الأقربين والأبعدين من النبي الأعظم، ولم يكن اختيارها للإيمان عن تبعية عمياء ومحاكاة جهلاء وإنما هو الرأي الحر والإدراك الواعي، وقد برهنت على صدق ذلك بأن سخرت كل ما تملك في سبيل مبادئها التي آمنت عن قناعة بها.

وقد كانت الغنية مالاً وثراءً عريضاً بذلته بسخاء في إنعاش أمر الدين الجديد، فعادت بذلك قوة الاقتصاد للإسلام في أيامه الأولى.

وضحت بشخصيتها الاجتماعية لتؤازر النبي العظيم فنالتها من جراء ذلك الجفوة، وإن في ما جاء عن النبي الأعظم ﷺ لأبلغ تعريف عما تحمله هذه المرأة الجليلة الطاهرة المباركة: «أفضل نساء الجنة أربع: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»^(١).

وكفى في فضلها ما روي أن جبرائيل كانت حاجته أن يقرأ رسول الله ﷺ على خديجة من الله ومنه السلام^(٢).

وقد أفاضت كتب السير عن ثناء النبي عليها وتخليده لجلال أعمالها وتعاهده لأعزائها مما كان بشير حفيظة عائشة وغيرها كثيراً^(٣)، وكذلك عن

(١) كحل البصر في سيرة سيد البشر ص ٧٠ للعلامة المؤرخ الشهير الشيخ عباس القمي رحمته الله.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) أحاديث أم المؤمنين عائشة ص ٢٤، وقد أورد في هذا المجال جملة مما رونه الصحاح

حزنه الشديد عليها.

أقول: هكذا كانت هذه المرأة المثالية، آمنت وصدقت وبرهنت على ذلك فكتب لها الخلود، وفخر عظيم للمرأة أن تشارك الدعوة أول أيامها.

سمية أم عمار بن ياسر:

ولما انكشف أمر إسلام عمار وأبيه وأمه وغيرهم من الموالي والمستضعفين أتفتت قريش على تعذيبهم والتنكيل بهم ليكونوا نكالا لغيرهم.

وجاء أبو جهل ومعه جماعة من المشركين إلى دار ياسر وأضرموا فيها النار، ووضعوا عمارا وأبويه في الأغلال، ثم ساقوهم بأسنة الرماح ورؤوس الحراب والسياط حتى انتهوا بهم إلى بطحاء مكة، فأمالوا عليهم بالضرب، إلى أن سالت دماؤهم، ثم سلطوا النار على صدورهم وأيديهم وأرجلهم ووضعوا الأحجار الثقيل على صدورهم.

ومر النبي على عمار وأبيه وأمه وهم يعذبون في بطحاء مكة بالسياط والنار، فإذا تعب الجلادون وضعوا على صدر كل واحد صخرة وتركوهم على ظهورهم يستقبلون بوجوههم شمس الصحراء المحرقة، فدعا لهم النبي ﷺ بالفرج وبشرهم بالجنة: "صبرا آل ياسر إن موعدكم الجنة".

وارتفع صوت سمية وهي تقول للرسول: أشهد أنك رسول الله وأن وعدك الحق، وعاد إليهم الجلادون بالضرب والكي بالحديد المحمي بالنار إلى أن غشي عليهم، واشتد عليهم غضب أبي جهل وصاح بسمية: لتذكرن آلهتنا بخير ومحمدا بسوء أو لتموتن، فقالت له: يؤسأ لك ولآهتك، فلم يمهلهما أن ضرب بطنها برجله، وعادت تشتمه وآهته، فطعنها عند ذلك

والمسانيد فقد نقل عن البخاري قول عائشة: ما غرت على امرأة لرسول الله كما غرت على خديجة لكثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها وثنائه عليها وقد أوحى الله إلى رسول الله أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب. وأكتفي بهذه الرواية وهذا المصدر وإلا فإن الباحث يقع على الشيء الوفير من ذلك.

بحرية كانت في يده في ملمس العفة من بدنها، ومضى يطعنهما في ذلك المكان حتى قضى على حياتهما، فكانت أول شهيدة في سبيل محمد ورسالته... إلخ^(١).

أقول: إنه فعل الإيمان وصنع الانصهار بصدق دعوة الحق التي صدع به النبي، فلقيت من القلوب الواعية الأذن الصاغية، فسمت بذلك وشمخت، ولم تمن ولم تنكل لتعذيب الجبابرة، هذا وهي في عداد الإماء اللاتي لا يحسب لهن قيمة ولا اعتبار، وفي ذلك أعظم الدروس والعبر للثبات على المبادئ والقيم.

وهكذا يربي وينشئ وفق هديه وتعاليمه حتى أبدع في ذلك، وضرب الأروع متجلياً في شخصية سيدة نساء العالمين فاطمة بنت محمد (صلى الله عليها وعلى أبيها وبعليها وبنيتها) التي كانت أنموذج التربية الإلهية على يد أبيها النبي وبعليها الإمام الوصي^(٢).

وكلما أخذ الدين الجديد أثره في نفوس المؤمنين ظهرت آثاره المباركة في جنسهم الثاني كما هي ظاهرة في جنسهم الأول.

مركز تحقيق كويت مركز الدراسات والبحوث الإسلامية

(١) سيرة المصطفى ص ١٤٣ للعلامة الشريف السيد هاشم معروف الحسيني رحمته الله بتصرف وتلخيص.

(٢) السيدة فاطمة الزهراء نشأت وترعرعت في ظل والدها النبي المرئي فكانت بذلك كما يراد لها ومنها، وإن ما صدر منها من قول وفعل ليحكي عظيم ما ضمته جوانحها وحمله فكرها وقلبها، فخطبتها في مسجد أبيها تبيان شيء من علمها الغزير وبراعتها الخطابية وقوة روحيتها ودفاعها عن الإمامة والإمام دليل على نفسية مميزة من نمط مخصوص وطرز فريد، وقد لقيت في سبيل ذلك العناية وتقبلته ما دام إحقاق الحق وتجلية الموقف منوطاً به. وكفى بقول أبيها (صلى الله عليهما وأهلها): فاطمة أم أبيها، فاطمة بضعة مني من أذاها فقد أذاني، يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها. وقد قيل فيها: تفرغ عن لسان أبيها، ولا تخرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ وأحسب أن المشية ليست نهج السير في الطريق وإنما هو نهج السير والمشي في الحياة بما يعني العصمة والاستقامة.

وقد وفقني الله لشرح خطبتها وجملة من شؤونها وخطوبها في (فاطمة صوت الحق الإلهي).

فإذا بكوكبة من النساء - جملة من قرينات النبي المؤسس - ممن انعكست فيهن آدابه وتعاليمه، فعدن ذوات دين قويم وعقل مستقيم، برهنت على ذلك تصرفاتهن وسلوكهن في عموم ما يعرض لهن من شؤون^(١).

وإذا بصحبايات جليلات أصبح وأمسى لهن الدور البارز والمشاركة الفعالة، ففقن بذلك جملة من الرجال الذين لهم في تاريخ أشياعهم الإكبار والإجلال^(٢).

دور الإمام علي؛

وكما ربي الرسول الأعظم ﷺ واعتنى ورفع المستوى، فكذلك وصيه وخليفته في أمته واكب العمل، رب أسرة وإمام أمة.

وقد ملئت صحائف غرّ بجلال أعمال وأقوال قامت بها شرائف وسيدات المجتمع من نصرة للحق وإذلال البطل مواجهة ومشافهة ومجاهمة مع معاوية^(٣).

مركز تحقيقات كويتية للدراسات والبحوث

(١) أم سلمة المرأة الجليلة والتالية في الفضل لخديجة، نصرت الحق وأزرت يوم عز فيه النصير فقد كانت مخلصه لآل محمد فناها من ذلك بعض ما أصابهم فمنعت من عطائها تلك السنة (دلائل الإمامة للطبري ص ٤٠).

ونصحت لعائشة بإلحاح لتدع حرب الإمام أمير المؤمنين وإمام المسلمين ويا للعجب... فعائشة مع موقفها من الخليفة الشرعي الإمام علي وخروجها عليه، نالت من الحظوة عند المسلمين وأولياء أمورهم قلباً وحدثاً ما أوصلها عندهم لمقام الخلفاء، وأم سلمة نالها ما نالها من الإعراض والجفاء حتى من الخلفاء.

(٢) نسيبة أم عمارة البطلة التي ما فتىء رسول الله بطريها ويشني عليها ويكبر روح الإخلاص فيها حتى قال عن دفاعها واستماتتها يوم أحد: لمقام نسيبة بنت كعب خير من مقام فلان وفلان، ولقد فر ذلك اليوم جمع من الصحابة منهم: أبو بكر وعمر وعثمان. يراجع الفصل الممتع في سيرة المصطفى من ص ٤٠٩ إلى ص ٤٢١ للوقوف على الحقيقة.

(٣) وقد أورد السيد الأمين في مجالسه السنوية ج ١ ص ٣٨٨... إلخ فصلاً مهماً في

وقد تمّ للوصي ما تمّ للنبي (عليهما وآلهما السلام) من إبداع وإعجاز، فكانت عقيلة الطالبين زينب بنت علي وفضلته أنموذج التربية الإلهية

الوافدات على معاوية نقله عن العقد الفريد والمستطرف وعدّ منهن:

- ١- سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية، ٢- بكارة الهلالية، ٣- الزرقاء بنت عدي،
- ٤- أم سنان بنت خيثمة المذحجية، ٥- عكرشة بنت الأطرش، ٦- دارمية
- الحجونية، ٧- أم الخير بنت الحريش بن سراقه البارقى، ٨- أروى بنت الحارث بن عبد المطلب.

وأود هنا تسجيل قضيتين من ذلك:

الأولى: سأل معاوية دارمية الحجونية: علام أحببت علياً وأبغضتني وواليتي وعاديتني؟ قالت: أو تعفني؟ قال: لا أعفيك قالت: أما إذا أبيت فإني أحببت علياً على عدله في الرعية وقسمه بالسوية، وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالأمر وطلبتك ما ليس لك بحق وواليت علياً على ما عقد له رسول الله ﷺ من الولاء وحبه المساكين وإعظامه لأهل الدين وعاديتك على سفك الدماء وجورك في القضاء وحكمك في الهوى، قال: فلذلك انتفخ بطنك وعظم ثديك وربت عجيزتك، قالت: يا هذا تمدد والله كان يضرب المثل في ذلك لا بي، ومما قال لها: يا هذه هل رأيت علياً؟ قالت: إي والله رأيت والله لم يفتنه الملك الذي فتتك ولم تشغله النعمة التي شغلتك، وسألها عن سماع كلامه قالت: نعم والله كان يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت صداً الطست قال: صدقت... إلخ، المجالس ص ٤٠٠، ويراجع الفصل لمتعته وطرافته.

الثانية: روي أن معاوية أرسل إلى أبي الأسود الدؤلي هدية منها حلواء يريد بذلك استمالة وصرفه عن حب علي بن أبي طالب فدخلت ابنة صغيرة له خمسي أو سداسي عليه فأخذت لقمة من تلك الحلواء وجعلتها في فمها فقال لها أبو الأسود: يا بنتي ألقيه فإنه سم، هذه حلواء أرسلها إلينا معاوية ليخدعنا عن أمير المؤمنين ﷺ ويردنا عن محبة أهل البيت، فقالت الصبية: قبحة الله يخدعنا عن السيد المطهر بالشهد المزعفر تبا لمرسله وأكله فعالجت نفسها حتى قاءت ما أكلت ثم قالت:

أبالشهد المزعفر يابن هند نبيعُ عليكِ إسلاماً وديناً

معاذ الله كيف يكون هذا ومولانا أمير المؤمنيننا

سفينة البحار للمحدث الشيخ القمي ج ١ ص ٦٦٩.

كأمها، على يد أبيها وأمها وأخويها.

بجلال أحمد في مهابة حيدر قد أنجبت أم الأئمة زينبا^(١)
وتشاركها في جملة الفضائل الشريفة الأحساب الطاهرات الأنساب
أخواتها وبنات أخويها، ومن ينتمي إلى دوحه المجد ومعادن الطهر والشرف
من كرائم الوحي وعقائل النبوة.

مشاركة حرائر الرسالة في النهضة الحسينية:

يشير خروج الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق بثقله وجل أهل بيته
وفيهم وفرة من النساء والشباب والصغار، وبعضهم يعاني مرضاً شديداً،
يشير كل ذلك سؤالاً بل أسئلة.

وانبرى البعض إلى الاعتراض والأخبر إلى التماس السبب والعذر
قائساً ذلك على أشباهها ونظائرها من حروب العرب، ومن جملتها:

١ - دافع إثارة الحماس في نفوس ذويهم المقاتلين.

٢ - التحذير من التفكير في النكوص والفرار.

٣ - القيام بدور التمريض والمعالجة.

٤ - التخوف عليهم من إهلاكهم في أوطانهم.

والغريب أن هذا التساؤل لم يكن جديداً في نهضة الإمام عليه السلام، فقد
سئل عنه الإمام نفسه بهذه الصيغة:

إذن فما معنى حملك لهؤلاء النسوة؟

وكان الجواب: شاء الله أن يراهن سبائياً^(٢).

(١) من قصيدة العلامة المرحوم الشيخ الأردوبادي.

(٢) قال العلامة المحدث الكبير الشيخ القمي: إخبار أمير المؤمنين عليه السلام بنته زينب بما
يجري عليها بقوله: وكأن بك وبنساء أهلك سبائياً بهذا البلد أذلاء خاشعين
تحافون أن يتخطفكم الناس فصيراً صبراً. سفينة البحار ج ١ ص ٣٧٣.

وهو جواب من نوع بيان العاقبة لعلمه بذلك، حيث أنبأه أبوه عن جده عن الله تعالى، لا أن السبب الباعث لحملهن أن يسبين.

ولقد صدق أبو عبد الله، فلقد سبين بأبشع وأفضع وجهه وصورة وخص السبي من وحدهن.

ونساء الأنصار الموجودات في الواقعة شفع فيهن أهلهن، فبقين في الكوفة ولم يزعجن بالخروج إلى الشام^(١).

ونحن في هذا البحث سنسائر ركب الحسين وطمعنه لنقف على الأدوار التي مارسنها في رحلتهم الجهادية، ونرصد المواقف، ونسمع الخطبة تلو الخطبة والمحاورة تلو المحاورة.

ونخلص بعد طي ذلك السفر وتلك المراحل إلى حصيلة السبي الذي شاءه الله لكرائم الوحي والحرائر المصونة، كما قال أبو عبد الله عليه السلام.



ثقل النبوة في كربلاء:

جاءت الأنصار غير الطالبين مع الحسين عليه السلام بدون عوائل إلا ثلاثة:

١ - جنادة بن الحرث. ٢ - مسلم بن عوسجة. ٣ - عبد الله الكلبي^(٢).

ولنسائهم دور ومؤازرة ومشاركة سنعرض لها إن شاء الله.

وأما نساء بني هاشم فهن:

١ - فخر المخدرات زينب بنت أمير المؤمنين.

٢ - الرباب أم عبد الله بن الحسين.

٣ - ليلى أم الأكبر، على بعض الروايات^(٣).

٤ - رملة أم القاسم بن الحسن.

(١) إِبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام للبحاثة العلامة الشيخ السماوي رحمته الله

ص ١٥٨.

(٢) إِبصار العين في أنصار الحسين ص ١٥٢.

(٣) وهذه من جملة قضايا الطف التاريخية التي ناقشها الباحثون وكثير ينفيها.

- ٥ - بنت الشليل أم عبد الله بن الحسن.
- ٦ - رقية بنت الإمام علي أم عبد الله بن مسلم.
- ٧ - أم محمد بن سعيد بن عقيل.
- ٨ - فاطمة بنت الحسين.
- ٩ - سكينه بنت الحسين.
- ١٠ - أم كلثوم بنت أمير المؤمنين^(١).

وأخريات، فقد كان ركب الأسر من كربلاء إلى الكوفة يضم عشرين امرأة^(٢). ولا تخفى نساء الأنصار حقها وشأنها وكذلك غيرها ممن هن نصره، كزوجة زهير بن القين.

إلا أن لعقائل النبوة الأثر الأهم في المشاطرة، فهن في لب القضية وصميمها، وكأنهن يمثلن دور الزهراء في المباهلة^(٣).

(١) بناء على أنها غير السيدة زينب الكبرى بل هي زينب الصغرى التي خطبت في الكوفة، كما لم يستبعد ذلك السيد الأمين في أعيانه، ويرى السيد المكرم أن العقيلة زينب هي أم كلثوم، وأن ما ينسب إلى أم كلثوم من خطبة في الكوفة إنما هي للسيدة زينب الكبرى.

(٢) مقتل الحسين للسيد المكرم ص ٣٧٧.

(٣) ولفيلسوف الإسلام تحليل حول مشاركة أبطال المباهلة نقتطف جملاً منه: "والمباهلة والملاعنة وإن كانت بحسب الظاهر كالمحاجة بين رسول الله وبين رجال النصارى لكن عممت الدعوة للأبناء والنساء ليكون أدل على الظمينان الداعي بصدق دعواه وكونه على الحق لما أودعه الله سبحانه في قلب الإنسان من محبتهم والشفقة عليهم فتراه يقيهم بنفسه ويركب الأهوال والمخاطرات دونهم وفي سبيل حمايتهم والغيرة عليهم والذب عنهم".

"وقد أطبق المفسرون وانفتحت الرواية وأيده التاريخ أن رسول الله ﷺ حضر للمباهلة ولم يحضر معه إلا علي وفاطمة والحسنان ﷺ فلم يحضر لها إلا نفسان وابنان وامرأة واحدة وقد امتثل أمر الله سبحانه فيها".

"فلمن حضر مع رسول الله ﷺ وهم علي وفاطمة والحسنان ﷺ شركة في الدعوى والدعوة مع رسول الله ﷺ وهذا من أفضل المناقب التي خص الله به أهل بيت

فحرائر الرسالة بدان مع سيد الشهداء في نهضته وشهدن مشاهدته وحضرن مقتله ومصرعه، وجرى عليهن من الخطوب ما لا تقوم له الجبال الرواسي، وقابلن ذلك بقوة الإيمان والعزيمة والصبر وإظهار الحق والدفاع عنه وإبراز المظلومية وحمل العيب، فحفظن بذلك كله النهضة وقوتها وتمثيلها للعيان بلسان الحال والبيان، وبقين على ذلك نائحات ناديات شاقيات باقيات لم يهن ولم يكللن.

من مواقف البطولة:

وليس الحديث ترجمة عن تلكم الشخصيات المشاطرات حتى يرجى منه الإفاضة في القول والبسط في البحث، وإنما هو فصل من كتاب نتناول فيه ما له مساس بالغرض وعلاقة بالمقصد.

ولنبداً مع السيدة الجليلة تبعه الجلال والكمال، مع بطلة كربلاء بحق وسيدة النساء بعد أمها، فتلك بنت محمد وخديجة، وهذه بنت علي وفضلمة.

مركز تحقيق كويت علوم إسلامي

بطلة كربلاء:

مقومات شخصيتها:

١ - العلم. ٢ - الإيمان. ٣ - الصبر.

أما العلم:

فكان مصدره باب مدينة علم رسول الله ﷺ وقد انفتح لها هذا الباب فنهلت منه وعلت وهي ربة الإدراك وسعة العقل، وكان مصدره

نبيه ﷺ كما خصهم باسم الأنفس والنساء والأبناء.

أقول: يجدر بالباحث الحر مراجعة هذا الفصل المهم من ج ٣ ص ٢٢٢... إلخ من الميزان في تفسير القرآن.

وأقول أيضاً: ما صنعه سيد الشهداء من إخراج أهله وثقله، ولا سيما ابنه الإمام علي والسيدة زينب بنت أمير المؤمنين ﷺ وتشريكهم في مهمته وما تم على أيديهم من نصر لنهضته فهم ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾.

سيدي شباب أهل الجنة سبطي رسول الله، وكان مصدره فاطمة روح رسول الله ويضعته.

وكفى بتعريف الإمام زين العابدين عليه السلام بقوله:

«أنت بحمد الله عالمة غير معلمة فهمة غير مفهمة»^(١).

أجل، عالمة محكمة العلم في الاعتقاد والمعارف العالية. عالمة مستوعبة في الفقه واقفة على أسراره. عالمة في السلوك والأخلاق الشريفة الفاضلة.

وهكذا بكل ما يرتبط بالكمال فهو رداؤها وشعارها وعنوانها، هذا وهي في مساندتها لإمامها الحسين واقفة على المعنى والمغزى، تدرك قبل أن تتحرك وظيفتها والمهام الجسام التي تناط بها، إذن فهي عالمة بالبلايا والمنايا^(٢).

وخير برهان على علمها لسانها النطق بالحق وبيانها المشرق بالصدق،

(١) مقتل المقيم ص ٣٨٨، وعن احتجاج الطبرسي ص ١٦٦.

(٢) وقد نقل حجة الإسلام وثقته الشيخ المجلسي عن كامل الزيارات حديثاً مطولاً (وقد تقدم نقل جملة منه قريباً عن سفينة البحار) ومن جملة الأخرى قول السيدة زينب لابن أخيها الإمام زين العابدين لما عظم عليه ما رأى من مصارع أهل بيته وسبي النساء وصار يجود بنفسه فقالت (سلام الله عليها): لا يجزئك ما ترى فوالله إن ذلك لعهد من رسول الله ﷺ إلى جندك وأبيك وعمك، إلى قولها: وينصبون هذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء عليه السلام لا يدرس أثره ولا يعنى رسمه على كرور الليالي والأيام وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد إلا ظهوراً وأمره إلا علواً، فسألها الإمام عن العهد فحدثته بحديث أم أيمن واجتماع الرسول وأهل بيته في منزل الزهراء وأنسه بذلك ثم تبدل ذلك إلى البكاء وإخباره لهم بنزول جبرائيل وإعلامه عن الله بما يجري على ذريته من بعده تفصيلاً ومن جملة ذلك حديث كربلاء وما يجري من الخطوب وما يرفعه الله من شأن كربلاء وزوار الحسين في الدنيا والآخرة، إلى أن قالت السيدة زينب: فلما ضرب ابن ملجم (لعنه الله) أبي عليه السلام ورأيت أثر الموت منه قلت له: يا أبا حدثني أم أيمن بكذا وكذا وقد أحبيت أن أسمع منك فقال: يا بنية الحديث كما حدثتني أم أيمن، وكأنني بك وبينات أهلك سبيلاً بهذا البلد... الخ، وقد أجاب العلامة المجلسي عن الاعتراض كيف تخبر السيدة الإمام مع علمه بذلك فراجع ج ٢٨ ص ٥٥... الخ من البحار.

ترتجل الخطبة في معترك الخطوب، فتفيض بالعلم الجرم والأدب الفياض.
وأما الإيمان:

فناهيك بمثال التقوى ومجسمة الفضيلة في عموم أبعادها وصورها.
فلاستقرئ أيام حياتها لتقف على إيمان خالط الروح والجسد فعاد جبلة
وطبعاً لا تكلف فيه.

وقد تمثل في قوة اعتقاد ورسوخ معرفة تزول الجبال ولا يزول ولا
يحول، وفي تجسيد حي للصلاة، حتى صلاة ليلها فما انفكت عنها حتى ليلة
الحادية عشرة من المحرم.
وأما الصبر:

وهو شعبة من الإيمان والعلم، إلا أنه لما كان أمراً بارزاً في حياة
الصديقة الصغرى خصصته بالذكر والإشادة.

فإليك حديثه: إن واقعة بصورها الإمام ويصفها المعصوم بقوله:

«أشهد أن دمك سكن في الخلد وأشعرت له أظلة العرش وبكى له
جميع الخلائق وبكت له السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما
بينهن ومن يتقلب في الجنة والنار من خلق ربنا ما يرى وما لا يرى»^(١).

وإن فجائع الطف التي تستولي على الشعور وتقهر القوى فلا يقوى
الفكر على تصويرها واللسان على تعبيرها والبنان على تحريرها، فهي
لذلك خارجة عن حوادث الدهور كيف تتحمل؟ وكيف تطلق؟
ولكن من انتخبت للاضطلاع بالمهمة قامت بها ووفت على أجل
وجه وأعظمه.

بأبي التي ورثت مصائب أمها فغدت تقابلها بصبر أبيها^(٢)
وقد أفاض عليها وعلى العقائل الإمام الصابر من صبره وتطمينه

(١) كامل الزيارات ص ١٩٩.

(٢) للسيد رضا الهندي.

حين قال لمن ساعة الوداع: استعدوا للبلاء، واعلموا أن الله تعالى حاميتكم وحافظكم، وسينجيكم من شر الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذب عدوكم بأنواع العذاب، ويعوضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة، فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم^(١).

فإذا بما -ويا لشخصيتها الفذة- تتوزع حركاتها بين تمريض لمريض كربلاء وحيطة للصبية وأمها تم ووقوف إلى جنب أخيها الحسين.

هذا وقلبيها متعلق بجلال الله وقده لا تفتر عن صلاة وابتهاال ونفسها راضية مطمئنة مستقرة.

لم تله عن جمع العيال وحفظهم بفراق أخوتها وفقد بنيتها^(٢)

تقف على مصرع ابن أمها وأبيها فتري شقيقها موزع الأعضاء، وقد أثنى بالجراح، قد أخذت منه السيوف والسهام والحجارة والعطش مأخذها، فتقف على جسده ماذا عساها أن تصنع آنذاك؟ هل طاش سهمها فندت منها كلمة غير موزونة؟ هل غلب عليها هول المصاب فتصرفت بشيء آخر؟ كلا، وإنما رمقت السماء بظرفها وأضعة يديها تحت جثمان أخيها رافعة قائلة: "اللهم تقبل منا هذا القربان".

لا إخالني بل ولا إخال الكلمات تعبر وتصور مثل هذا المشهد في قوة إيمان وسداد وربطة جاش، وجميل تسليم ورضا بالقضا.

ويعود همها بعد أن فقدت أملها إلى حفظ وصيته في بقايا النبوة، فإذا هي تتفقد كل أحد وقلبيها عند ابن أخيها تحوطه بعنايتها لئلا تخلو الأرض من حجة، تسكن روعة الثكلى، تجول هنا وهناك، تبحث عن طفلة أفقدها هول المصائب قرارها فهامت في صحاري كربلاء، وقد رأت فاطمة بنت الحسين رجلاً يسوق النساء بكعب رمح وهن يلذن بعضهن ببعض وقد أخذ ما عليهن من أخرة وأسورة ولما بصر بها قصدها ففرت منه فأتبعها

(١) مقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرم ص ٣٣٧ عن جلاء العيون للمجلسي.

(٢) للسيد رضا الهندي.

رجمه فسقطت لوجهها مغشياً عليها ولما أفاقت رأت عمته أم كلثوم عند رأسها تبكي^(١).

وأزمعوا التشهير بينات رسول الله وعترته فمروا بهم على جثث القتلى وتبينت السيدة زينب من الإمام علي بن الحسين حاله المتأثرة فأخذت تقول: ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وأخوتي، فو الله إن هذا لعهد من الله إلى جدك وأبيك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض وهم معروفون في أهل السموات، إنهم يجمعون هذه الأعضاء المقطعة والجسوم المضرجة فيوارونها وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره ولا يمحي رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وتظميسه فلا يزداد أثره إلا علواً^(٢).

ويبدو منها بوادر أخذها بالزمام واستثمار الجزرة الهيبية فتخطب قائد الجيش وهو في أوج نصره - وقد دنا من الحسين عليه السلام في جماعة من أصحابه والحسين يجود بنفسه -: أي عمر أقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟! فصرف بوجهه عنها ودموعه تسيل على لحيته^(٣)، فقالت: وبحكم أما فيكم مسلم؟ فلم يجبها أحد^(٤)!

نساء الأنصار الشهداء:

ومن الوفاء أن نذكر هنا - وقبل أن نساير الركب النبوي إلى الكوفة والشام - ونكبر الروح المؤمنة والعقلية الواعية التي حملتها ثلثة من نسوة الأنصار الأبرار، وقد عجز عن التحلي بها الكثرة الكاثرة ممن يسمون

(١) مقتل الحسين عليه السلام ص ٣٧٠.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام ص ٣٨١ عن كامل الزيارات ص ٢٦١ ومن جملة الحديث الطويل حديث أم إيمان مع السيدة زينب الذي مرت الإشارة إليه قريباً.

(٣) المصدر السابق ص ٣٤٧ عن كامل ابن الأثير ج ٤ ص ٣٢ والطبري ج ٦ ص ٢٥٩ طبع أول.

(٤) المصدر السابق ص ٣٤٧ عن الإرشاد للشيخ المفيد.

بالرجال.

١- زوجة زهير:

ولها موقفها المشكور ورأيها المحمود في بعث عزيمة زوجها، ولو ثبّطته وتعلقت به لكان لذلك أثر ينعكس في إحجامه وتقهره، بل قالت له: خار الله لك وأسألك أن تذكرني يوم القيامة عند جد الحسين عليه السلام ^(١).

٢- أم عمرو بن جنادة:

رمي رأس ولدها نحو الحسين عليه السلام فأخذته أمه وضربت به رجلاً فقتلته ثم أخذت عمود الخيمة فأرادت القتال فمنعها الحسين عليه السلام.

وقيل إنها أخذت سيفاً وجعلت تقول:

إني عجوزٌ سيدي ضعيفة ^(٢).

ولما قتل زوجها جنادة بن الحرث السلماني هي التي أمرت ولدها عمراً بالنصرة فاستأذن فأجابه الإمام بأنه غلام قتل والده ولعل أمه تكره فقال الغلام: إن أمي هي التي أمرتني ^(٣).

٣- أم وهب النمرية القاسطية:

زوجة عبد الله بن عمير الكلبي: وقفت على مصرع زوجها فقالت: أسأل الله الذي رزقك الجنة أن يصحبني معك فقتلها رستم غلام شمر بعمود ^(٤).

(١) مقتل الحسين عليه السلام ص ٢٠٧، وأشير هنا بتقدير إلى التفاتة الأستاذ علي محمد دخيل في إهدائه كراسته المؤلفة في هذا البطل الشهيد إلى هذه المرأة الفاضلة، وانظر أعيان الشيعة ج ١ ص ٥٩٥ الطبع الجديد.

(٢) إِبصار العين في أنصار الحسين للشيخ السماوي ص ١٥٨.

(٣) المصدر السابق ص ١٥٢.

(٤) إِبصار العين ص ١٢٨، ١٥٨.

وكان عبدالله قد قال لما رأى العساكر تعرض بالنخيلة لتسير إلى حرب الحسين عليه السلام: لقد كنت على جهاد أهل الشرك حريصاً وإني لأرجو أن لا يكون جهاد هؤلاء الذين يغزون ابن بنت نبيهم أقل ثواباً عند الله من جهاد المشركين، فأخبر

وهي أول امرأة قتلت في عسكر الحسين عليه السلام.

٤ - ويظهر من هذا أنه قتل في عسكره عليه السلام عدة نساء^(١).

وتكشف هذه الناحية في هذه القضية الكبيرة التي عزّ فيها النصير عن الإدراك العميق ومدى ما تحمله نجيبات النساء وسخائهنّ ببذل أولادهنّ وأزواجهنّ ورضاهنّ بما قدمه ذوهن في نصرة الحق، وإنه لموقف جدير بالإجلال والإكبار، كافأهنّ الله عليه بالحسنى.

عودة إلى بطلّة الطف؛

ومن مواقف البطولة: الخطابة:

١ - خطبة السيدة زينب بنت أمير المؤمنين:

فعن الوصيِّ بلاغة خُصَّتْ بها أعيتُ بروثِقِها البليغُ الأخطبا
وكان من البلاغة والبراعة الهيمنة ابتداءً على الجمع الحاشد، فتملك
بذلك الموقف، فتسكت الأنفاس والأجراس^(٢)

زوجته فقالت: أصبت أخرج وأخرجني معك، أعيان الشيعة ج ١ ص ٦٠٣
الطبع الجديد.

(١) مقتل الحسين لكاشف الغطاء الشيخ محمد حسين ص ٤٧.

وقال ص ٤٨: وحمل جسده (ولدها) إلى ابن سعد فأمر بقطع رأسه ورمى به إلى
معسكر الحسين فأخذته أمه ومسحت الدم والتراب ورمته به نحو عسكر ابن
سعد وأصابته به صدر قاتله فقتلته ثم توجهت بعمود الخيمة فقتلت نفرين
وجاء إليها الحسين عليه السلام فردها.

(٢) بلاغات النساء لابن طيفور ص ٣٤.

قال الشيخ المجلسي (رحمه الله تعالى) نقلاً عن السيد ابن طاووس: قال بشير بن خزيمة
الأسدي: ونظرت إلى زينب بنت علي عليه السلام يومئذ ولم أر والله خفزة قط أنطق
منها، كأنما تفرغ عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد أومات
إلى الناس أن اسكتوا فارتدت الأنفاس، وسكتت الأجراس... إلخ البحار ج ٤٥
ص ١٠٨.

أقول: تلاحظ هذه الظاهرة اللافتة في حياة الأئمة عليهم السلام فيؤثر عن الإمام الحسين عليه السلام

وتبدأ مفعمة بالإيمان والرضا، مسلمة لله بالقضاء، حامدة على الضراء والخطب الفادح، مصلية على أبيها محمد وآله الطيبين الأخيار، ثم تعاجلهم بالحديث عن واقعهم الفعلي وممارستهم الأنية بيكائهم على من قتلوه وخذلوه، كاشفة عن نفسياتهم الدنيئة، مبدعة في تصوير المجزرة، معرفة شناعة غلطة الدهر في قتلهم سليل النبوة ومعدن الرسالة وسيد شباب أهل الجنة، مؤكلة مرة بعد أخرى أنهم قتلوا بذلك رسول الله - أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم- وما اقترفوه من إبراز كرائم الرسالة، مبرهنة على عظيم جرمهم بما نجم عن ذلك من تبدل أوضاع الكون - أو عجبتم أن أمطرت السماء دماً- موصلة جملها الجريحة بآيات الله في وعيده لهم ونقمته عليهم.

خطبة زينب^(١):

ولقد أوضحت ابنة أمير المؤمنين عليها السلام للناس خبث ابن زياد ولؤمه في خطبتها بعد أن أومأت إلى ذلك الجمع المتراكم، فهدأوا حتى كأن على رؤوسهم الطير، وليس في وسع العدد الكثير أن يسكن ذلك اللفظ أو يرد تلك الضوضاء لولا الهيبة الإلهية والبهاء المحمدي الذي جلل عقيلة آل محمد

ذلك، وكذلك يروى عن الإمام الرضا عليه السلام: لما قتل الفضل صاحب المأمون، وتجمهر جمع على باب المأمون يريدون قتله، بادر المأمون إلى الرضا عليه السلام طالباً منه الخروج إليهم وتفريقهم، فلما ركب الإمام ونظر إليهم وقد اجتمعوا ليحرقوا الباب فصاح بهم، وأوما بيده تفرقوا فتفرقوا، وأقبل الناس يقع بعضهم على بعض وما أشار إلى أحد إلا ركض، ومر ولم يقف له أحد. المصدر السابق ج ٤٩ ص ١٦٩ عن عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٥٩ وص ١٦٤.

وكذلك يلاحظ إسماعيل النبي الأعظم عليه السلام والأئمة والسيدة الزهراء وابنتها السيدة زينب عليها السلام الجموع الغفيرة جداً، وتنص بعض الروايات أنهم كلهم أو جلهم يسمعون الكلام، وأحسب أن هذا هيمنة خاصة تستحق الدراسة.

(١) اعتمدت في نقل نصوص هذه الخطبة الجليلة والخطب الأخرى على ما نقله العلامة الثبت الحجة السيد المقرم في كتابه الجليل (مقتل الحسين) ركوناً إلى تحقيقه وإيراده الفوائد الجممة في تعاليقه ورغبة في الإشادة بمآثر هذا السيد الناشر لأنار أجداده والمحمي الناصر. رحمه الله رحمة واسعة وحشره وإيانا في مستقر رحمته ومقر كرامته.



فيقول الراوي: لما أومات زينب ابنة علي عليها السلام إلى الناس فسكنت الأنفاس والأجراس فعندها اندفعت بخطاها مع طمأنينة نفس وثبات جأش وشجاعة حيدرية فقال (صلوات الله عليها):

الحمد لله والصلوة على أبي محمد وآله الطيبين الأخيار، أما بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون فلا رقات الدمعة، ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، تتخذون إيمانكم دخلاً بينكم، ألا وهل فيكم إلا الصلف النطف^(١) والعجب والكذب والشنف^(٢)، وملق^(٣) الإماء، وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنة^(٤)، أو كقصة على ملحودة^(٥)، ألا بشس ما قلمت لكم أنفسكم أن سخط الله

(١) الصلف: بفتحين الذي يتمدح بما ليس عنده، والنطف: القذف بالفجور.

(٢) الشنف: الميغض بغير الحق.

(٣) الملق: التذلل.

(٤) الغرض التعريف بأن الدمنة وإن زهاً ظاهرها بالنبت إلا أنه لا يفيد الحيوان قوة لأنها مجمع الأوساخ والكثافات السامة القاتلة، فنتاج الدمنة لا يكون طيباً وأهل الكوفة وإن زهاً ظاهرهم بالإسلام إلا أن الصدور انطوت على قلوب مظلمة لا يصدر منها إلا بما يقوم به أهل الجاهلية والإلحاد.

(٥) في رواية اللهوف وابن غما (فضة) بالفاء الموحدة والضاد المعجمة ولم يتضح المراد منه بعد عدم الترجيح على الذهب وغيره. نعم رواية ابن شهر آشوب في المناقب (قصة) بالقاف المثناة والضاد المهملة وهي الجص تتناسب مع الملحودة التي هي القبر ولم ينكر أهل اللغة هذا المعنى ففي الصحاح للجوهري: قصص داره أي جصصها وفي تاج العروس: ج ٤ ص ٤٢٣ تقصيص الدار تجصيصها وكذلك قبر مقصص ومنه الحديث: فمى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن تقصيص القبور وهو بناؤها بالقصة، وفيه ص ٤٢٢ قال القصة هي الجص بلغة الحجاز أو الحجارة من الجص، وعن ابن دريد أن أبا سعيد السيرافي يقول: بكسر القاف وعند غيره بفتحها، وفي الفائق للزمخشري ج ٢ ص ١٧٣ روى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فمى عن تطيين القبور وتقصيصها أي تجصيصها فإن القصة هي الجصة، وفي غريب الحديث لأبي عبيد ج ١ ص ٢٧٧ حيدر أباد: التقصيص الجص يقال: قصصت

عليكم، وفي العذاب أنتم خالدون.

أتبكون وتنتحبون! إي والله فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً، وأنى ترحضون، قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، ومدبره حجتكم، ومنار محجتكم، وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم، وسيد شباب أهل الجنة ألساء ما تزررون. فتعساً ونكساً وبعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعي، وتبت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله ورسوله، وضربت عليكم

القبور والبيوت إذا جصصتها، وفي (لحن العوام) ص ١٤٥ للزبيدي: تقصيص القبور تبيضها بالجص، وفي نيل الأوطار للشوكاني ج ٤ ص ٧٣: القصة بفتح القاف وتشديد الصاد المهملة هي الجص، وفي مسند أحمد ج ٢ صفحة ١٣٧ عن عبد الله بن عمر أن عثمان بن حذاف مسجد النبي ﷺ بالحجارة المنقوشة والقصة، وفي تاريخ المدينة للسهمودي ج ٢ صفحة ١٠٥: كان قبر حمزة مبنياً بالقصة أي مجصص لا خشب عليه وفي البحار ج ١٨ ص ٣٧٤ باب الدفن عن معاني الأخبار قال: تقصيص القبور تخصيصها لأن الجص يقال له: القصة، وفي النهاية لابن الأثير مادة قصص في حديث زينب يا قصة على ملحودة شبهت أجسامهم بالقبور المتخذة من الجص وأنفسهم يجيف الموتى التي تشتمل عليها القبور، والذي أراه أن النكتة في هذه الاستعارة أن القصة بلغة الحجاز الجص والملحودة القبر لكونه ذا لحد فكان القبر يتزين ظاهره ببياض الجص ولكن داخله جيفة قذرة وأهل الكوفة وإن تزين ظاهرهم بالإسلام إلا أن قلوبهم كجيف الموتى بسبب قيامهم بأعمال الجاهلية الوخيمة العاقبة من الغدر وعدم الثبات على المبادئ الصحيحة وقد انفردت (متمة الدعوة الحسينية) بهذه النكات البديعة التي لم يسبقها مهرة البلغاء إليها لأنها ارتضعت در (الصديقة الكبرى) التي أخرجت الفصحاء بخطاها المرتجل يوم أجمع القوم على غضبها حقها مع ما اكتنفها من فوادح تبلبل فكر البليغ فعرفت الحاضرين ومن يأتي من الأجيال عظيم الجنابة وخسران الرضوان الأكبر كما أن سيد الأوصياء نفسه عرف أولئك المتجمهرين على غضب حقه الجمول له من الله سبحانه يوم الغدير ويوم المنزلة ويوم الإعلان بالثقلين في خطبته المعروفة بالوسيلة التي خطبها في مسجد النبي ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ بسبعة أيام وقد فرغ من جمع القرآن كما نص عليه الكليني في روضة الكافي.

الذلة والمسكنة.

ويلكم يا أهل الكوفة، أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم؟ وأي كريمة له أبرزتم؟ وأي دم له سفكتم؟ وأي حرمة له انتهكتم؟ لقد جئتم شيئاً إداً، تكاد السماوات يتفطرن منه، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هداً!

ولقد أتيتم بها خرقاء، شوهاء، كطلاع الأرض^(١)، وملء السماء، أفعجبتهم أن مطرت السماء دماً، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون، فلا يستخفنكم المهل، فإنه لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثار، وإن ربكم لبالمرصاد^(٢).

فقال لها الإمام السجاد عليه السلام: اسكتي يا عمة فأنت بحمد الله عالمة غير معلمة فهمة غير مفهمة^(٣).

فقطعت العقيلة الكلام، وأدهشت ذلك الجمع المغمور بالتمويهات والمطامع، وأحدث كلامها أيقظاً في الأفتدة ولفتة في البصائر، وأخذت خطبتها من القلوب مأخذاً عظيماً وعرفوا عظيم الجناية فلا يدرون ما يصنعون!!

ولا غرو، فقلب أبيها وبيانه ميراثها، تفرغ عن لسانه^(٤)، وإنما هي في

(١) في تهذيب اللغة ج ٣ ص ١٧١ ومقاييس اللغة ج ٣ ص ٤١٩ والمغرب للمطرزي ج ٢ ص ١٧ والفايق ج ١ ص ١٢٥ والنهابة واللسان وتاج العروس كلهم مادة (طلع)، وذكر في اللسان حدث النبي عليه السلام: رأى رجلاً به بذاعة تعلو عنه العين فقال: هذا خير من طلاع الأرض ذهباً إن طلاع الأرض ملؤها حتى يسيل، وفي حديث عمر بن الخطاب عند موته: لو أن لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من مول المطلع وهو يملؤها حتى يطلع عنها ويسيل، وفي الفايق عن الحسن البصري قال: لئن أعلم أني بريء من النفاق أحب إلي من طلاع الأرض ذهباً وهو ملؤها.

(٢) ربنا الخطبة من أمالي الشيخ الطوسي وأمالي ابنه واللهور وابن نما وابن شهر آشوب واحتجاج الطبرسي.

(٣) احتجاج الطبرسي ص ١٦٦ ط النجف.

(٤) بلاغات النساء لابن طيفور ص ٣٤.

خطبتها لأعظم من أي تعليق أو تحليل أو شرح.
ويلاحظ تركيزها هنا على أمور:

- ١ - عظيم ما اقترفوه من ذنب وارتكبوه من فادح الخطأ.
- ٢ - تركيبة أهل الكوفة ونفسياتهم.
- ٣ - عظمة الإمامة وأنها امتداد النبوة وراثته وملكات.

ولقد أسمعت وأبلغت وأوفت حتى قال لها الإمام علي بن الحسين عليه السلام: "اسكتي يا عمة فأنت بحمد الله عالمة غير معلمة فهمة غير مفهمة"^(١).
وكان أول خطاب عام تقوم به بطللة كربلاء وبكل تركيز وثبات، وقد أحدثت به ضجة وتأثيراً.

٢ - خطبة فاطمة بنت الحسين:

وقامت مؤازرة وناصره و متحدثة بليغة -نتاج الحسين وثمرته الطيبة- فأفاضت في القول واستوعبت الحديث في جمع يستغل فيصدع له بالحق وتنشر له المعرفة، فجددت حديث الإمامة بعد استهلاله ببراعة (وأن أولاده ذبحوا بشط الفرات من غير ذحل ولا نترات)^(٢) آخذة بمؤهلاته ومناقبه ومواقفه في ابتداء أمره وانتهائه، ثم ثنت بجعل الله سبحانه أهل بيت نبيه مبتلى وامتحاناً ومميزاً للخبيث من الطيب وكشفت تفاعل الأمة مع إمامها أمير المؤمنين عليه السلام في نفسه وأهل بيته وركزت على عظيم النازلة والمذبحة الرهيبة التي انسلخوا من إنسانيتهم ودينهم وسول لهم الشيطان فيها وأملى لهم.

وأحيت فيهم -لو كان لهم حياة- الإحساس والشعور بالمآثم فارتفعت الأصوات بالبكاء والنحيب، وقالوا: حسبك يا ابنة الطاهرين فقد أحرقت قلوبنا وأنضجت لمحورنا وأضرمت أجوافنا، فسكتت.

وإن حروف الخطبة وجملها لأنطق في التعبير والتصوير، ولنثبت نصها

(١) مقتل الحسين ص ٣٨٨.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرم ص ٣٩٢.

ليتملى القارئ منها وينهل من نبع آل محمد معدن العلم والحجى.
خطبة فاطمة بنت الحسين:

وخطبت فاطمة بنت الحسين عليها السلام (١) فقالت: الحمد لله عدد الرمل
والحصى، وزنة العرش إلى الثرى، أحده وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن

(١) كانت فاطمة بنت الحسين عليها السلام جليلة القدر عظيمة المنزلة وكانت لها المكانة
العالية من الدين وقد شهد بذلك أبوها سيد الشهداء لما جاء إليه الحسن المثنى
يخطب إحدى ابنتيه فقال عليها السلام كما في إسعاف الراغبين مامش نور الأبصار
ص ٢٠٢: إني اختار لك فاطمة فهي أكثر شبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله
أما في الدين فهي تقوم الليل كله وتصوم النهار وفي الجمال تشبه الحور العين.
وفي تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١٢ ص ٤٤٢: روت الحديث عن أبيها وأخيها زين
العابدين وعمتها زينب وابن عباس وأسماء بنت عميس وروى عنها أولادها
عبدالله وإبراهيم وحسين وأم جعفر، بنو الحسن المثنى، وروى عنها أبو المقدم
بوسلطة أمه وروى عنها زهير بن معاوية بوسلطة أمه وفي خلاصة تهذيب الكمال
ص ٤٢٥: خرج أصحاب السنن أحاديثها منهم: الترمذي وأبو داود والنسائي
في مسند علي وابن ماجه القزويني، وقال ابن حجر العسقلاني: وقع ذكرها في
كتاب الجنائز من صحيح البخاري ووثقها ابن حبان، ونص علي وفاهما في سنة
١١٠ واليافعي في مرآة الجنان ج ١ ص ٢٣٤ وابن العماد في شذرات الذهب ج ١
ص ١٣٩، وبناء علي ما يقوله ابن حجر في تهذيب التهذيب: إنها قاربت
التسعين، تكون ولادتها سنة ٣٠ تقريباً ولها يوم الطف ما يقرب من ذلك
وتوفيت قبل أختها سكينه (بسبع) سنين، وفي كامل ابن الأثير ج ٤ ص ٣٥
وتأريخ الطبري ج ٦ ص ٢٦٧: كانت فاطمة أكبر من أختها سكينه وفي كتاب
(تحقيق النصره إلى معالم دار الهجرة) ص ١٨ تأليف أبي بكر بن الحسين بن عمر
المراغي المتوفى سنة ٨١٦ من كرامات فاطمة بنت الحسين أن الوليد بن عبد
الملك لما أمر بإدخال الحجرات في المسجد خرجت فاطمة بنت الحسين إلى الحرة
وبنت داراً لها وأمرت بحفر بئر فظهر فيه جبل فقيل لها، فتوضأت ورشت
بفاضل وضوئها عليه فلم يتصعب عليهم فكانوا يتبركون بمائه ويسموناه
(زمزم)، وفي طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٤٧٤ طبعة صادر: كانت فاطمة بنت
الحسين عليها السلام تسبح بخيوط معقودة، وفي كتابنا (نقد التأريخ المخطوط) ناقشنا
المؤرخين في تزويجها من العثماني، وإن محمد اللبياح خلقتة أيدي الزبيرين.

لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن أولاده ذبحوا
بشط الفرات، من غير ذحل ولا ترات .

اللهم إني أعوذ بك أن افتري عليك، أو أن أقول عليك خلاف ما
أنزلت من أخذ العهود والوصية لعلي بن أبي طالب المغلوب حقه المقتول
من غير ذنب كما قتل ولده بالأمس في بيت من بيوت الله تعالى، فيه معشر
مسلمة بالسنتهم، تعساً لرؤوسهم ما دفعت عنه ضيماً في حياته ولا عند
ماته، حتى قبضه الله تعالى إليه محمود النقيبة، طيب العريكة، معروف
المناقب، مشهور المذاهب، لم تأخذه في الله سبحانه لومة لائم، ولا عدل
عاذل، هديته اللهم للإسلام صغيراً، وحمدت مناقبه كبيراً، ولم يزل ناصحاً
لك ولرسولك، زاهداً في الدنيا غير حريص عليها، راغباً في الآخرة، مجاهداً
لك في سبيلك، رضيته فاخترته وهديته إلى صراط مستقيم.

أما بعد يا أهل الكوفة، يا أهل المكر والغدر والخيلاء، فإننا أهل بيت
ابتلانا الله بكم، وابتلاككم بنا، فجعل بلائنا حسناً، وجعل علمه عندنا
وفهمه لدينا، فنحن عيبة علمه، ووعاء فهمه وحكمته، وحجته على
الأرض في بلاده لعباده، وأكرمنا الله بكرامته، وفضلنا بنبيه محمد ﷺ على
كثير ممن خلق تفضيلاً.

فكذبتموننا وكفرتمونا، ورأيتم قتالنا حلالاً، وأموالنا نهباً، كأننا أولاد
ترك أو كابل كما قتلتم جدنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل
البيت لحقد متقدم، قرت لذلك عيونكم، وفرحت قلوبكم افتراء على الله
ومكراً مكرتم، والله خير الماكرين، فلا تدعونكم أنفسكم إلى الجذل بما
أصبتكم من دمائنا، ونالت أيديكم من أموالنا، فإن ما أصابنا من المصائب
الجليلة، والرزايا العظيمة في كتاب من قبل أن نبرأها، إن ذلك على الله
يسير، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم، والله لا يحب كل
مختال فخور .

تبا لكم فانظروا اللعنة والعذاب، فكأن قد حل بكم، وتواترت من
السماء نقمات، فيسحتكم بعذاب، وبذيق بعضكم بأس بعض، ثم تخلدون

في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا، ألا لعنة الله على الظالمين.

ويلكم، أتدرون أية يد طاعتتنا منكم؟ وأية نفس نزعنا إلى قتالنا؟ أم بأية رجل مشيتم إلينا تبغون محاربتنا؟ قست قلوبكم، وغلظت أكبادكم، وطبع الله على أفئدتكم، وختم على سمعكم وبصركم، وسواك لكم الشيطان وأملى لكم، وجعل على بصركم غشاوة فأنتم لا تهتدون.

تبا لكم يا أهل الكوفة، أي ترات لرسول الله قبلكم، وذحول له لديكم؟ بما عندتم بأخيه علي بن أبي طالب جدي وبينيه وعترته الطيبين الأخيار، وافتخر بذلك مفتخركم:

نحن قتلنا علياً وبني عليٍّ بسيفٍ هنديةٍ ورماح
وسبينا نساءهم سبي ثركٍ ونطحناهم فأبى نطاح

بفك أيها القائل الكثكث والأثلب^(١)، افتخرت بقتل قوم زكاهم الله وطهرهم وأذهب عنهم الرجس فأكظم وأقع كما أفعى أبوك فإنما لكل امرئ ما اكتسب، وما قدمت يداه.

أحسدتمونا ويلاً لكم على ما فضلنا الله تعالى، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

فارتفعت الأصوات بالبكاء والنحيب وقالوا: حسبك يا ابنة الطاهرين فقد أحرقت قلوبنا وأنضجت لمحورنا وأضمرت أجوافنا فسكتت.

خطبة أم كلثوم^(٢):

(١) في تاج العروس: الأثلب بكسر الهمزة واللام وفتحهما والفتح أكثر: الحجر وقيل دقاق الحجارة وقال شمر: الأثلب بلفحة الحجاز الحجارة و بلفحة تميم: التراب وهو دعاء! وفي الحديث: الولد للفراش وللعاهر الأثلب وفيه ص ٦٤٠ الكثكث كجعفر وزبرج دقاق التراب ويقال: التراب عاملة يقال: فيه الكثكث أي التراب.

(٢) أشرنا في عدة مواضع من كتابنا (مقتل الحسين للسيد المقرم) هذا إلى أن زينب العقيلة هي أم كلثوم وهذه الفقرات جزء من كلامها السابق، ونذكر هذا

وقالت أم كلثوم: صه يا أهل الكوفة. تقتلنا رجالكم، وتبكيينا نساؤكم، فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل الخطاب.

يا أهل الكوفة سوءة لكم، مالكم خذلتم حسيناً وقتلتموه وانتهبتم أمواله، وسبيتم نساءه ونكبتموه، فتباً لكم وسحقاً. ويلكم أتدرون أي دواء دهتكم؟ وأي وزر على ظهوركم حملتم؟ وأي دماء سفكتم؟ وأي كريمة أصبتموها؟ وأي صببية أسلمتموها؟ وأي أموال انتهبتموها؟ قتلتم خير الرجال بعد النبي، ونزعت الرحمة من قلوبكم، ألا إن حزب الله هم المفلحون، وحزب الشيطان هم الخاسرون.

فضج الناس بالبكاء ونشروا النساء الشعور وخمشن الوجوه ولطمن الخدود ودعون بالويل والشبور فلم ير ذلك اليوم أكثر باك.

ومن مواقف سيده المواقف زينب أيضاً:

وموقف لابنة علي وفاطمة أروع من سابقه، فهي وإن حاسبتهم عسيراً، ووبختهم كثيراً، إلا أنها في موقفها الآن مع رمز السلطة الجائرة، مع الأمر الناهي جوراً، الحاكم ظلماً وعدواناً، الصلف الوقح، وهو في أوج نشوته بنصره وخيالاته بظفره، وكبريائه في دسته، وقصر حكمه، وأمام جلاوزته.

فلما أدخلت ومعها حرائر النبوة - واذلة الإسلام - المحازت متنكرة غير مكترثة ولا آهة، وعليها جلال النبوة، وهاء الإمامة، فنضح إنأؤه بما فضح وقال شامتاً:

الحمد لله - ولم يكن يعرف الله - الذي فضحككم وقتلكم وأكذب أحلوثتكم. فإذا ببيان أمير المؤمنين ومحاجة الزهراء ومهابة الحسن وإباء الحسين تفرغه عقيلتهم:

الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد، وطهرنا من الرجس تطهيراً، إنما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا.

إذن، لحمة النبوة ومن طهرهم الله في قرآنه منزهون، بعيدون عن كل نقص، لائقون بكل كمال.

وغيرهم - وهذا من البلاغة والبراعة أن كتبت أولاً - وذلك أبلغ من التصريح وإن كان بانطباقه على المخاطب تصريحاً بليغاً. أجل، غيرهم فاسق يفتضح، ويكذب ويفجر.

كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟

وكأنه يرى أن الله انتقم له ولمن والاه من أهل بيت محمد وعترته.

فتجمع له ابنة حيدر ما يخرسه ويلجمه، ويلقمه حجراً، ويثيره حيث لا يملك عقلاً ولا منطقاً إلا السبعية والطيش.

نعم، أخذته من أطرافه وضيقته عليه بكلمات معدودة ونغصت عليه زهوه المزعوم.



فاسمع واعجب:

ما رأيت إلا جميلاً، وهذا غاية الاطمئنان والرضا. كيف لا وهي القائلة: "اللهم تقبل منا هذا القربان"، فحق لها أن تقول في عظيم ما رأت: ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم.

ولم يكن - فيما أحسب - أما تعبر عن آجالهم وانتهاء مدتهم بل تعني أن الله هيا لهم من الشهادة أمرها وأرادهم لها فكتبها عليهم وبذلك انتقلوا قبلك من الدنيا وستنقل أنت منها وتفد على الله وفوداً تجتمع فيه معهم، وعند الله تجتمع الخصوم، فتحاج وتخاصم، ونعم الحكم الله، فانظر لمن الغلبة والحجة والنصر والفلج يوم يخسر فيه المبطلون.

ثم قابلت شماتته وكبريائه بدعاء عليه مقرون بما يحقره في نفسه للدناءة أصله ولؤم عنصره وبما يبصره بذاته ويلمسه، والحشد الحاضر من أوليائه ومن ياتر بأمره من قواده وجنده وحاشيته وبطانته، خيسته وضيعته ومنبته الوضيع.

نكلتك أمك يابن مرجانة.

أثارته فأفقدته صوابه وألجمته حجراً فاستشاط وهمّ بها^(١)، وما عساها أن قالت، لقد دعت عليه بالهلاك ونسبته إلى أمه وتمنى ساعتها أن لم يتكلم بما تكلم، فقد فضحته على رؤوس الأشهاد فلم يجد إلا الشماتة جواباً فقال:

لقد شفى الله قلبي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك، فقالت: «لعمري لقد قتلت كهلي وأبرزت أهلي وقطعت فرعي واجتثت أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت».

أجل، رب كلمة أمضى من وقع الحسام، ورب محاورة تذهب بنشوة النصر وسكر الغلبة والفتح، ولا غرو فإنها من ربيبة رب البيان المدخرة لمثل هذا الموقف والمهياة لمثل هذا المشهد.

ابنة عبد الله بن عفيف الأزدي:
ونسجل هنا كل الإجلال والإكبار لناصر الحق بلسانه ويده ولا بنته المحامية عنه والمشجعة له والقائلة:
«ليتني كنت رجلاً أذب بين يديك هؤلاء الفجرة قاتلي العترة البررة»^(٢).

(١) يقول المجاهد الأكبر الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء: إن ابن زياد وهو من نعرف في الجراءة على الله وانتهاك حرمانه لما فضحته الحوراء زينب عليها السلام وأفلجته وصيرته أحقر من نملة وأقدر من قملة وقالت له: ثكلتك أمك يا ابن مرجانة فاستشاط غضباً من ذكر أمه التي يعرف أنها من ذوات الأعلام وهم أن يضرها فقام له عمرو بن حريث وهو من رؤوس الخوارج وضروسها... الخ، جنة المأوى ص ٨١.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للسيد المكرم ص ٤٠٧.

ومجمل ذلك: إن ابن زياد أمر بالنداء للصلاة جامعة في الجامع الأعظم فرقى المنبر وقال: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي وشيعته فسكت الكل وقام البطل ابن عفيف وقال: يا ابن مرجانة الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه، أتقتلون أبناء النبيين وتكلمون بكلام الصديقين؟! فقاطعه ابن زياد

أجل، لا بد للحق من ناصر، وهذا نصر معجل قام به هذا البطل وأخزي ابن زياد في أول محفل جامع بعد أن نادى في الناس بالصلاة جامعة ليعلن سروره وظفره، وحق به مكره السيء وخذل من حيث نصره، وهكذا يحق الله الحق ويبطل الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

المرأة الصالحة طوعة:

ومن أداء الحق لهذه السيدة الجليلة مثال النبيل والوفاء أن نشيد بشأنها، ونكبر فيها روحها الكريمة، فقد كان موقفها موقفاً فذاً لم يوفق له جلة أهل الكوفة.

لو كان في الكوفة غير مسلم من مسلم ما قطعوه إرباً

فلقد آوت وأضافت ونصرت، وروي عن مسلم قوله:

«قد أدبت ما عليك من البر وأجذت نصيبك من شفاعة رسول الله»^(١).

فبرهنت على أن الإيمان يفعل كل شيء. رحمك الله ورضي عنك وأرضاك وحشرك مع الزهراء وزينب في الدرجات العلى من جنة المأوى.

وأجابه ابن عفيف: أنا المتكلم يا عدو الله، أتقتلون الذرية الطاهرة التي أذهب الله عنهم الرجس وتزعم أنك على دين الإسلام؟! واغوثاه أين أولاد المهاجرين والأنصار لينتقموا من طاغيتك اللعين ابن اللعين على لسان محمد رسول رب العالمين... إلخ.

ويلاحظ الوضوح في المعتقد وما تحمله نفسيات الأشراف عن أهل البيت عليهم السلام وعن من تولوا أمر الإسلام والمسلمين، وإنا لله وإنا إليه راجعون.



موقف الأرواح مع رأس السلطة
خطبة زينب
موقف رافع مع ابنة علي وفاطمة



مركز تحقيقات كامبوترا لعلوم إسلامية

الموقف الأروع مع رأس السلطة

خطبة زينب

موقف رافع مع ابنة علي وفاطمة



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الموقف الأروع مع رأس السلطة:

ويساق آل الله وثقل رسوله والأطياب من عترته سبائيا على أفتاب المطايا لعاصمة الجور والطغيان بحالة تشجي العدو شماتة وتشهيراً وإذلالاً وتحقيراً.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(١).

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٢).

وإذا بابنة علي تقوض عليه عرشه وتغزوه في عقر داره فتذله وتنجله، ولم يفت في عضدها أثر السرى وشماتة الأعداء ووحشية الهمج الرعاع وجاهليتهم، ولم يوهنها ما لا قوه وهم ودائع الرسالة.

كلا، فهي ببيان رب البيان لسان الثورة المعبر وسنانها وسيفها المشهور المنصور.

وهي الآن لا تخاطب جلقاً من جند ابن سعد ولا تؤنب قائد جيش كابن سعد، ولا أمير الكوفة من قبل يزيد.

إنها هنا وفي عاصمة الحكم وقد سبق الإعداد لإعلان فرحة الانتصار على من كان يخشى ويخشى وحده فقط على عدو آل أبي سفيان، فلو غلبهم بسيفه وأبادهم لنهب ملكهم واسمهم ولحيت صحيفتهم من الوجود، وها هم الآن مستبشرون لنصرهم، متخذون هذه الأيام عيداً لهم مبالغاً فيه قدر المستطاع، تنطق آثاره على عموم عاصمتهم وخاصة مجلسه، فيجمع قواده وكبار دولته ومن ملك دينهم ودنياهم، وكلهم يحوطونه وهو ثمل بينهم بنصره وسكره، وأمامه خصمائه أسارى مربقين بالحبال، وسيلهم وقائدهم عليل قد أهكته علته ونحل جسمه سقمه، وبقايا آل محمد بين امرأة ثكلى -

(١) سورة الصف: الآية ٨.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٣٠.

وكلهن نكالي - وصبية يتامى وفتيات لا حمي لها ولا ولي.

أجل، إنما هنا تخطب يزيد مباشرة ودونما واسطة ولا تملك قوة ولا طولاً، ويخطبها وهو بكبريائه وجبروته، لا يخشى رقيباً ولا حسيباً والدنيا دنياه ودينه دنياه، فإذا به يخرج من جوفه خبثه ويجاهر بكفره مرتاحاً إلى أخذه بثأره وانتقامه لكفرة قومه الذين حارهم النبي وقتلهم بسيف علي، وأن الأوان للتشفي من بنت علي وأولاده ودينه ومبادئ محمد النبي فاختار أبيات ابن الزبيرى وزاد عليها:

ليت أشياخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً	ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم	وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا	خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندق إن لم أنتقم	من بني أحمد ما كان فعل ^(١)

مركز تحقيق كويت علوم إسلامي

(١) حياة الإمام الحسين بن علي، للعلامة البهائية الشيخ باقر القرشي ج ٣ ص ٣٧٧ عن أعلام النساء والبداية والنهاية، وهي أبيات مشهورة.

أقول: وقد ذكره الباحث المتتبع الشيخ عباس القمي في (الكنى والألقاب) ج ١ ص ٢٩٣: ابن الزبيرى وأنه أحد شعراء قريش وكان يهجو المسلمين ويحرض عليهم كفار قريش وكان يهجو رسول الله ﷺ ويعظم القول فيه وعن آذاه بالفرت والدم وهرب إلى مكة ثم رجع واعتذر وقبل النبي ﷺ عذره فقال:

إني لمعتذر إليك من الذي أسريت إذ أنا في الضلال أهيم... إلخ

وأقول أيضاً: إن كان ابن الزبيرى ندم ورجع إلى الحق واعتذر فمن تمثل بشعره وزاد عليه فقد تمادى في غيه وانحرافه وتغنى بكفره في شعره، وأورد له أرباب السير ما قاله من شعره أو تمثل به.

لما بدت تلك الحمول وأشرقت

تلك الرؤوس على شفا جيرون

نعب الغراب فقلت: قل أو لا

فلقد قضيت من النبي ديوني

وما أن أتمها - وما كان يمر بوجهه أن يعارض أو يحاور وإنما كان على يقين أن يصفق له ويستعاد حديثه فيأخذه الزهو والغرور - عاجلته ابنة علي وسودت وجهه ودينياه وقلبت عيده مائماً، فتبدأ كما هو ديدنها حامدة ربها، مصلية على رسول الله أبيها وآله ثم تخطبه بقرآن الله قرآن المسلمين - الذين يعدهم مأمومين وهو إمامهم - صدق الله سبحانه حيث يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١).

وهي ابتداء أعلنت كفره أمام الملأ.

وثانياً: عاجلته بكشف زيفه وعظيم حوبه - فيما يحسبه غلبة ونصراً - فخالطته باسمه مجرداً وإن كان لا ينفك عن اقترانه بالعار والشنار، وجرت بساطه وسلطانه الذي تراءى له أنه ملك الدنيا قد أخذ أقطار الأرض وآفاق السماء فاستولى على كل شيء فحسب لنفسه خطراً وشأناً. وحقاً إن قلبي



ولما ادخل عليه الرأس جعل ينكته بقضيب ويتمثل بقول الحصين بن حمام:

أبي قومنا أن ينصفونا فأنصبت قواضب في إيماننا تقطر الدما

نفلق هاماً من رجال أعزّة علينا وهم كانوا أعق وأظلما

راجع مقتل الحسين للمقرم، وحياة الإمام الحسين للقرشي، والإمام الحسين للعلايلي وأمّهات الكتب التاريخية كالكامل ومروج الذهب ونظائرها.

أجل: وكما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي خَبِثَ لَأَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً﴾ فقد حاكى يزيد -

هنا - أمه هنداً يوم مقتل سيد الشهداء حمزة عم رسول الله ﷺ بعد أن صنعت من سوء المثلة وقبح الفعلة ثم علت على صخرة شرفة فصرخت بأعلى صوتها فقالت:

لحنُ جزيناكم بيوم بدرٍ والحربُ بعد الحربِ ذاتُ سعرٍ

ما كان عن عتبة لي من صبرٍ ولا أخسي وعمه وبكري

شفيت نفسي وقضيت نذري شفيت وحشي غليل صدري

فشكرُ وحشي عليّ عمري حتى نرماً أعظمي في قبري

فأجابتها هند بنت أناة بن عبّاد بن المطلب. أحاديث أم المؤمنين عائشة ص ٢١٥.

(١) سورة الروم: الآية ١٠.

ليجف وفكري ليقف في أن يجري ويجول في آفاق هذه الحمم النارية
والصواعق الإلهية التي قذفت بها يزيد.

كلاً، ليس ذلك يا يزيد جدارة ولا استحقاقاً وإنما هو قول الله: ﴿وَلَا
يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ مَّا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا
إِنَّمَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (١).

وهذه كتلك آية إبراز كفره.

وثالثاً: جردته عن صفة الإنسانية والعدالة بتخديره حرائرهِ وإمائه
وسوقه بنات رسول الله سبايا مشهرات ينقلن من بلد إلى بلد إلحاداً في الدين
وكيداً لسيد المرسلين. فخطبته بقولها: أمن العدل يا ابن الطلقاء... إلخ هذا
وقد سبق لجلدهم الرسول أن من على أبي سفيان ومعاوية وقد كانوا أسراءه
يوم الفتح فقال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء (٢).



(١) سورة آل عمران: الآية ١٧٨.

(٢) وأود إيراد ما ذكره الرازي في تفسيره، فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء فاعتقهم
فلذلك سمي أهل مكة الطلقاء ومن ذلك كان علي عليه السلام يقول لمعاوية: أتى
يستوي المولى والمعتق، يعني أعتقناكم حين مكنا الله من رقابكم ولم يقل اذهبوا
فأنتم معتقون، بل قال: الطلقاء لأن المعتق يجوز أن يرد إلى الرق (هكذا في
النسخة ولعل الصحيح لا يجوز) والمطلقة يجوز أن تعاد إلى رق النكاح وكانوا
بعد على الكفر فكان يجوز أن يخونوا فيستباح رقهم مرة أخرى ولأن الطلاق
يخص النسوان وقد ألقوا السلاح وأخذوا المساكن كالنسوان، ولأن المعتق يخلى
سبيله يذهب حيث شاء والمطلقة تجلس في البيت للعدة، وهم أمروا بالجلوس
بمكة كالنسوان، ج ٣٢ ص ١٥٤، تفسير سورة النصر. أقول: قال ابن خلكان:
قال الشيخ نصر الله بن مجلي مشارف الصناعة بالمنزن، وكان من ثقات أهل
السنة: رأيت علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت له: يا أمير المؤمنين تفتحون مكة
فتقولون: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ثم يتم على ولدك الحسين عليه السلام يوم
الطف ما تم؟ فقال: أما سمعت أبيات ابن الصفي في هذا؟ فقلت: لا فقال:
اسمعهَا منه، ثم استيقظت فبادرت إلى دار حيص بيص فخرج إلي فذكرت له
الرؤيا فشهو وأجهش بالبكاء وحلف بالله إن كانت خرجت من فمي أو خطي
إلى أحد وإن كنت نظمتها إلا في ليلتي هذه ثم أنشدني:

رابعاً: وجهت سهماً إلى قلبه فتقول: لا غرابة ولا بدع أن تصنع هكذا ولا يليق بك إلا ذلك: "وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأذكياء ونبت لحمه من دماء الشهداء".

أليست جلدتك هند؟ وماذا صنعت؟ وعن صنعت؟ وماذا صنع جدك أبو سفيان؟ وماذا كان عليه أبوك؟ وماذا أنت عليه الآن وقبل الآن؟

خامساً: ثم أشادت بالصرع الدامي والمآثم الحسي والشهيد الحاضر: "منحنياً على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتك وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشافة بإراقتك دماء ذرية محمد ﷺ ونجوم الأرض من آل عبد المطلب وتهتف بأشياخك زعمت أنك تناديهم".

ثم تختم هذا الفصل بذكر يوم الفصل والعرض على الله المنتقم: "فلتردن وشيكاً موردهم ولتودن أنك شلتت وبكمت ولم تكن قلت ماقلت وفعلت ما فعلت".

وتلجأ إلى الله وهو معها: "اللهم خذ لنا بحقنا وانتقم ممن ظلمنا واحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل همتنا".

وتؤكد له أن نصره هزيمة، وما أصاب بسيفه إلا رأسه وما فرى إلا جلده، وتعمق هذه الحقيقة - وإن لم تجده نفعاً - فإنها تنفع من حضر واستمع مبدعة في التعبير والتصوير: "ولتردن على رسول الله ﷺ بما تحملت من سفك دماء ذريته: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾" (١).

ملكننا فكان العفو منا سجية	فلما ملكتكم سال بالدم ابطح
وحللتهم قتل الأسارى وطلما	غلدونا على الأسرى ثمن ونصفح
فحسبتكم هذا التفاوت بيننا	فكل إناء بالذي فيه ينضح

(الكنى والألقاب) ج ١ ص ٣٣٨.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

إذن لم يقتلوا خارجين على من له الحكم فيحق له قتلهم وإنما قاموا وقاموا وقاتلوا وقتلوا من أجل الله وفي سبيله.

«وحسبك بالله حكماً ومحمد خصيماً وبجبرائيل ظهيراً، وسيعلم من سول لك ومكنك من رقاب المسلمين».

أجل، وفي ذلك الإشارة إلى البعيد والقريب.

ثم تنعى الأقدار والدواهي والخطوب التي ألجأت إلى مخطبته وإلا فهو أحقر وأذل وأصغر من أن يخاطب وليس له من المروعة والرجولة والإنسانية نصيب.

وتعمق مصاب سيد الشهداء، وما أشبعته النفوس الحاقدة والضمائر السود والأيدي الملوثة من لحمه ودمه، وما جرى على أصحابه وأهل بيته. وإنه سيقف له بالخصومة في محكمة العدل الإلهية.

هذا وهي على تمام القناعة وغاية الركون والاطمئنان من أحقيتهم وقضيتهم، وقد صنع هذا السفاح الدنيء ما شاء له لؤمه وخبث عنصره وقد قيل: إذا لم تستح فاصنع ما شئت.

«فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فو الله لا تمحو ذكرنا».

أجل يا ابنة علي، ذكركم وأمركم ووحىكم هو الحق ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(١).

والحق هو الثابت الباقي وإن عصفت به الخطوب.

وهكذا تحمد الله ربها ورب العالمين أولاً وأخيراً وتعلن الرضا وأن ليس هذا القتل - وإن جل - إلا سعادة، وقد قال الإمام الشهيد: «ما أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً».

وتختتم هجومها العنيف الكاسح باللجوء إلى الركن الوثيق، والاعتصام بمن له الحول والطول والقوة والمنعة، ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ

الوكيل^(١).

ومت يزيد ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾.

أجل وأجل، إنها ابنة علي و فاطمة وكفى، وكما عقت قولاً لأبيها بقولي: إن الكلام ليسمج ما إذا قرن بكلام أمير المؤمنين، فكذلك أكرر هذا القول هنا، فإنها تفرغ عن لسان أبيها، ولذا أورد نطقها نصاً:

خطبة زينب:

قال ابن نما وابن طاووس^(٢): لما سمعت زينب بنت علي ^(٣) يزيد يتمثل بأبيات ابن الزبير^(٤):

ليت أشياخي بيدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه بيدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

مركز توثيق كويت علوم إسلامية

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٨.

وقد وفقني الله تعالى لشرح خطبتيها وجملة من خطوبها في (زينب والظالمون).

(٢) ذكرت هذه الخطبة في (بلاغات النساء) صفحة ٢١ ط النجف ومقتل الخوارزمي

ج ٢ ص ٦٤.

(٣) عرفها الخوارزمي في مقتل الحسين أن أمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

(٤) هذه الأبيات نسبها السيد ابن طاووس في اللهوف ص ١٠٢ صيدا إلى ابن

الزبير وليست كلها له فإن الخوارزمي في مقتل الحسين ج ٢ ص ٦٦ وابن أبي

الحديد في شرح النهج ج ٣ ص ٣٨٣ مصر، وابن هشام في السيرة في واقعة أحد

ذكروا ستة عشر بيتا وليس فيها مما ذكره ابن طاووس إلا الأول والثالث وكان

عجز الثالث في روايتهم (وعدلنا ميل بدر فاعتدل) وفي رواية أبي علي القالي في

الأمالي ج ١ ص ١٤٢ والبكري في شرحه ج ١ ص ٣٨٧: (وأقمنا ميل بدر

فاعتدل)، وفي رسالة الجاحظ في بني أمية ضمن مجموعة رسائله: ابن الزبير

قال: ليت أشياخي إلى آخر ثلاثة أبيات كما في اللهوف مع تغيير يسير.

وذكرها البيروني في الآثار الباقية ص ٢٣١ طبعة الأوفست عدا البيت الرابع.

لست من خندق إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل
قالت:

«الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله سبحانه حيث يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّؤَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾»^(١).

«أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض، وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى- أن بنا على الله هواناً، وبك عليه كرامة، وأن ذلك لعظم خطرِكَ عنده فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسرورا، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأمور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، فمهلاً مهلاً، أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؟

أمن العدل يا ابن الطلقاء مخدريك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، تحدو من الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمعازل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس معهن من حماقن حمي ولا من رجالهن ولي، وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأركياء، ونبت لحمه من دماء الشهداء؟ وكيف يستبطن في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن، والإحن والأضغان؟ ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم:

لأهلنا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل

منحنيا على ثنابا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتك وكيف لا تقول ذلك، وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشافة، بإراقتك دماء ذرية محمد ﷺ ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، وتهتف بأشياحك زعمت أنك تنادبهم، فلتردن وشيكاً موردهم ولتودن أنك شللت

وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت.

اللهم خذ لنا بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، واحلل غضبك بمن سفك
دماءنا، وقتل حماتنا.

فو الله ما فريت إلا جلدك، ولا حززت إلا لحمك، ولتردن على
رسول الله ﷺ بما تحملت من سفك دماء ذريته وانتهكت من حرمة في
عترته ولحمته، حيث يجمع الله شملهم، ويلسم شعثهم، يأخذ بحقهم (ولا
تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون).

وحسبك بالله حاكماً، ومحمد ﷺ خصيماً، وبجبرائيل ظهيراً،
وسيعلم من سول لك وممكنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلا
وأيكم شر مكاناً، وأضعف جنداً.

ولئن جرت علي الدواهي مخاطبتك، إني لأستصغر قدرك وأستعظم
تقريبك، واستكثر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرى.

ألا فالعجب كل العجب، لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان
الطلاق، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا، والأفواه تتحلب من لحومنا، وتلك
الجثث الطواهر الزواكي تنتأها العواسل، وتعفرها أمهات الفراعيل، ولئن
اتخذتنا مغنماً، لتجدنا وشيكاً مغرماً، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك وما
ربك بظلام للعبيد، والى الله المشتكى وعليه المعول.

فكد كيدك، واسع سعيك، وناصر جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا،
ولا تميت وحيناً، ولا يرحض عنك عارها، وهل رأيت إلا فند وأيامك إلا
عدد، وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين.

والحمد لله رب العالمين، الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة وآخرنا
بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد
ويحسن علينا الخلافة، انه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فقال يزيد:

يا صيحة محمد من صوائح ما أهون النوح على النوائح

الخربة:

ولقد أحدثت هذه الخطبة هزة في مجلس يزيد وراح الرجل يحدث جلسه بالضلال الذي غمرهم وأنهم في أي واد يعمهون، فلم ير يزيد مناصاً إلا أن يخرج الحرم من المجلس إلى خربة لا تكنهم من حر ولا برد، فأقاموا فيها ينوحون على الحسين عليه السلام (١) ثلاثة أيام (٢).

وفي بعض الأيام خرج السجاد عليه السلام منها يتروح، فلقيه المنهال بن عمر وقال له: كيف أمسيت يا ابن رسول الله؟ قال عليه السلام: أمسينا كمثلي بني إسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، أمست العرب تفتخر على العجم بأن محمداً منها، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمداً منها، وأمسينا معشر أهل بيته مقتولين مشردين، فإننا لله وإننا إليه راجعون (٣).

قال المنهال: وبيننا يكلمني إذ امرأة خرجت خلفه تقول له: إلى أين يا نعم الخلف؟ فتركني وأسرع إليها فسألت عنها قيل: هذه عمته زينب (٤).

وموقف رائع مع ابنة علي وفاطمة عليهما السلام

وتمارس بطولتها في موقف آخر ومشهد مثير وأمام الجمع المملوك ليزيد الطاغية.

يقول الشامي: هب لي الجارية ويعني -ويا لله- فاطمة بنت الحسين

(١) اللهوف ص ٢٠٧ وأمالى الصدوق ص ١٠١ مجلس ٣١.

(٢) مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٣٤. وهذه الخربة أو فقل الحبس كما جاء في ذيل امرأة الزمان لليونيني ج ٤ ص ١٤٦ حوادث سنة ٦٨١ هـ قال: في ليلة الأحد عشر شهر رمضان احترقت سوق اللبادين بدمشق بكاملها وجسر الكتبيين والفوارة وسوق القماش المعروف بسوق عسا الله وسقاية جيرون ووصلت النار إلى درب العجم وسط جيرون وجدار المسجد العمري الذي على درج بدرج الجامع الملاصق لسجن زين العابدين... الخ.

(٣) مثير الأحزان لابن نفا ص ٥٨ ومقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٧٢.

(٤) الأنوار النعمانية ص ٣٤٠.

الشهيد، فلاذت بعمتها مذعورة، فإذا بالبظلة العظيمة وبقوة الحق تنطق بالصدق: كذبت ولؤمت ما ذلك لك ولا لأميرك. فاستشاط غيظاً وحنقاً، فأجابها: كذبت إن ذلك لي ولو شئتُ لفعلتُ، فتطعنه نجلاء: كلاً والله ما جعل ذلك لك إلا أن تخرج عن ملتنا وتدين بغير ديننا.

فحطت من غلوائه وكبريائه ونفخ فيه شيطانه فتمادى في وقاحته وعاود ويا للمقادير وانقلاب الموازين:

«إياي تستقبلين بهذا إنما خرج من الدين أبوك وأخوك». فأمسكت السيدة بالزمام وشفعت في وجهه فسودته: «بدين الله ودين أبي وجددي وأخي اهتديت أنت وأبوك إن كنت مسلماً».

نعم، فقد كانوا مثال الشرك وركنه وحماته ودعائمه وأصله وفرعه، اليسوا هم آل أبي سفيان أظهر من أظهر نفاقاً وخوفاً وطمعاً لفظة التوحيد وما إن وجد منأى ومنتفساً عن الدين أبرز حقيقته؟

﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تُّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾^(١).

وعدّد قائمة الضعة (الشجرة الخبيثة)^(٢)، فهل تجد فيهم غير الصلف

(١) سورة البقرة: الآيات ١٤-١٦.

(٢) قال صاحب الميزان: وفي الجمع روى أبو الجارود عن أبي جعفر عليه السلام أن هذا يعني قوله: كشجرة خبيثة، مثل بني أمية. وقال أيضاً: وقد روى ابن مردويه عن عائشة أنها قالت لمروان بن الحكم: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لأبيك وجدك: إنكم الشجرة الملعونة في القرآن، وأورد عليه السلام عن أصحاب التفاسير كالطبري وغيره عن جملة من الرواة قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾، إن النبي صلى الله عليه وآله رأى بني فلان يزرون على منبره نزو القردة... إلخ، أقول: وقد أورد السيوطي في الدر المنثور روايات مماثلة. فراجع الميزان ج ١٢ ص ٦٣... إلخ، والدر المنثور ج ٤ ص ١٩٤ وكتاب السبعة من السلف باب ما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله في ذم بني أمية عموماً، فقد أورد عن المستدرک وکنز العمال والزنجشري والفخر الرازي وابن حجر وابن عبد ربه.

النطف؟ فأبو سفيان، وهند، ومعاوية، وهذا يزيدهم وشعره شعر ابن الزبير، يتزعمون المسلمين ويتأمرون عليهم ويبطنون بل ويظهرون شركهم.

لئن جرت لفظة التوحيد في فيه فغيره بسوى التوحيد ما فتكا^(١)
أجل، إن كنت مسلماً^(٢).

فلم تكن له من حجة إلا سلاح التكذيب، فأعرضت الحوراء عنه وحسنت الموقف وأهت المحاورة بما يدعم حقها فاسمعتها تخطبه: أنت أمير مسلط تشتم ظالماً وتقهّر بسططانك. فألقمته حجراً وغص بريقه فلم يحمر جواباً وانتصرت ابنة أمير المؤمنين، فعاوده ذلك الأحمق ولم تكن السيدة أبقت له رأياً ولا روية فرده بقوله: وهب الله لك حتفاً قاضياً.

ومن تملك هذا الرصيد من قوة الشخصية والبيان والجنان والإيمان فهي قادرة على الهيمنة وإثبات الذات.
وفعلاً تم لهم إقامة المآتم والعزاء على سيد الشهداء في عاصمة يزيد وقريباً من قصره وداره^(٣).

(١) من قصيدة للسيد جعفر الحلبي، أوردنا جملة من أبياتها في مناسباتنا.

(٢) وهذا عين كتاب الحسين عليه السلام إلى معاوية جواباً لكتابه: أولست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية أنهم على دين علي عليه السلام فكتبت إليه أن اقتل كل من كان على دين علي فقتلهم ومثلهم بأمرك، ودين علي هو دين ابن عمه (صلوات الله عليه) الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك، وبه جلست مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين رحلة الشتاء والصيف، أعيان الشيعة ج ١ ص ٥٨٣ الطبع الجديد.
أقول: نلاحظ في كلمات أهل البيت عليهم السلام ومحاوراتهم مع خصومهم تشابهاً بيناً كما لمسنا ذلك في كلمات الزهراء وابنتها الحوراء وسننبه على مثل هذا في مواطنه إن شاء الله.

(٣) سواء كان ذلك في دار مفردة أو خربة أو سجن فقد تم لهم إقامة العزاء على سيد الشهداء ثلاثة أيام كما شرح ذلك السيد المقدم في مقتل الحسين ص ٤٥٣ في المتن والهامش.

وبعد هذا التطواف مع ركب سبأيا آل محمد فإن ثمت انطباعات تنعكس من واقع الأحداث والمشاهد والأدوار التي شاركت فيها نساء الأنصار وعائلات الحسين نسجل منها:

١- مواقف العقيلة زينب:

أ- تركيزها على الحفاظ على إمام الوقت وحجة الله على الخلق شخصاً وإماماً كما لا حظنا ذلك منها في حمايتها لابن أخيها الإمام يوم العاشر من المحرم، وفي مجلس ابن زياد، وغير ذلك قولاً وعملاً، فحاكت أمها الزهراء في صوغها لعلي وإمامته^(١).

ب- مبادرتها للخطابة في جمع الكوفة والشام ويبدو سبقها للإمام - وإن كانت لا تصدر إلا عن أمره - فهي لسان النهضة وصوت الحسين المدوي ينطق في كربلاء وحشد الكوفة وقصر الإمارة، وقصر الملك في الشام

(١) وقد ذكر أرباب السير والمقاتل حفاظ هذه السيدة لابن أخيها الإمام زين العابدين، وقد أشرنا إلى شيء من ذلك في غضون البحث، وكانت في الحفاظ تحكي أمها الزهراء في حمايتها للإمام علي أمير المؤمنين أيام عنة الخلافة.

يقول السيد محمد كلظم القزويني: ونظرت السيدة فاطمة إلى زوجها أبي الحسن وهو تحت التهديد بالقتل فأقبلت تعدو وتصيح: خلوا عن ابن عمي!! خلوا عن بعلي!! والله لا أكشفن عن رأسي ولاضعن قميص أبي علي رأسي ولأدعون الله عليكم، وقال: وفي رواية العياشي: قالت: يا أبا بكر أتريد أن ترميني من زوجي؟ والله لئن لم تكف عنه لأنشرن شعري ولأشقرن جيبتي ولأتين قبر أبي ولأصيحن إلى ربي!!

ما رجعت السيدة فاطمة إلى البيت إلا وأخذت زوجها معها وأنقذته من تلك الزمرة وخلصته من أخذ البيعة منه ولم يستطع القوم أن يأخذوا البيعة من علي ما دامت الزهراء في قيد الحياة، ولما توفيت السيدة الزهراء استضعفوا علياً وعلموا أن تلك البطلة المقدامة قد ماتت. فاطمة الزهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد ص ٣٣٢... الخ؛ وهو كتاب قيم ونفيس، وقد نظم الشعراء وسجلوا هذه الحمائية.

يقول الشيخ صالح الكواز رحمته الله:

وقال (لا فضل فوه):

وفي كل مكان سواءً مديراً الخطب أو لمحيب الخطوب.

ج- الإبداع الخطابي:

وقد تجلّى في حسن السبك وانتزاعات من القرآن وقوة الجنان وهيمنة على الجمهور وتفنن في التعبير وبراعة في التخلص من حراجة المواقف بعاطفية حارة متينة ومحتفظة مع ذلك بحقها في أحقية دعواها، وحاكت بذلك أمها أيضاً، فتلك تفرغ عن لسان أبيها وهذه كتلك.

فلك أن تتصورها أسيرة مشكولة لا تبقى المصائب لمثلها عقلاً ولا لساناً ولا جناناً، وإذا هي وفي قصر الإمارة أو الحكم تعري الحاكم من الإسلام والعدالة والقيم الإنسانية، وتسخر به وتجعله العوبة أمام حشمة وخدمه وأهله وجلالته ومظاهر سلطته.

د- الهيمنة الخاصة:

في عموم المواقف والمعتزكات والأزمات وكان ذلك من مختصاتها في امتداد الثورة الحسينية.

هـ- وهذه أسرار ودلائل لمقولة الإمام زين العابدين عليه السلام فيها: "أنت بحمد الله عالمة غير معلمة وفهمة غير مفهومة". فأبعاد العلم وآفاقه رحبة، فهي عالمة بالأحكام والعقائد والقرآن وإدارة أمر النهضة، والعمل على بقاء جنودها ونبضها حياً قوياً فعلاً، وهذه شواهد لمقولة الإمام الحسين عليه السلام: "شاء الله أن يراهنّ سبايا"، فجعلت من كل موقف معركة، ومن كل محاجة مجاهدة وتنديداً، ولا غرو فهي المدخرة لذلك والمهيأة للقيام به.

و- وإنه لسر عميق أن يكون في مملكة معاوية ويزيد عرش قدس وجلال تتبواه أسيرة الشام مليكة النساء^(١).

وحتى لو لم يكن هذا المرقد والمشهد مضجعاً طاهراً لها مباركاً بها، فهو أدل على سموها وعظمتها، حيث أنه بمحض شرف النسبة والإضافة تم له

(١) يقول الفيلسوف الشيخ الأصفهاني:

مليكة الدنيا عقيلة النساء
عديلة الخامس من أهل الكسا

هذا العز والشأن، وهكذا ما ينسب لها في مصر، فإنه يرمز أيضاً إلى مدلول عميق وسر خفي^(١).

ولئن كان الشعراء ينعون على معاوية اندحار أمره وموت ذكره في موطن نميه وأمره ويعيرونه بخربة سكر الذباب لها فراح يعربد^(٢)، ويشيدون بقبة علي التي تنلطح السماء علواً متوهجة كالشمس بالذهب الإبريز^(٣).

(١) عني كثير من الباحثين بالبحث عن مدفن السيدة زينب فألفوا كتباً مستقلة وعالجوا الموضوع في المجلات كما جاء في العرفان وغيرها، ومن الباحثين السيد الأمين في الأعيان وغيره من كتبه والشيخ جعفر النقدي في كتابه (زينب الكبرى) والشيخ فرج العمران في (المرقد الزينبي) والشيخ محمد حسين السابقي في (مرقد العقيلة زينب).

ولعل هذا من أوسع وأشمل ما كتب في الموضوع. وأفاض الشعراء في ذلك وفي هذه العاقبة التي لا تبعد عن الحقيقة لو قلنا بأنها تخطيط إلهي وتدبير حكيم بأن تلور عجلة الزمن سريعة فيرتفع لها قبة ومأذن في محل أسرها.

وسأعرض نماذج من الشعر قريباً إن شاء الله.

(٢) وللشاعر المبدع الأستاذ محمد المجنوب هذه الرائعة التي يستهلها بقول:

ابن القصورُ أبا يزيدَ وهوها والصفانُ وزهوها والسوددُ

ومنها:

هذا ضريحك لو بصرت بيؤسه لأسأل مدمعك المصيرُ الأسودُ

كُتِلَ من الترابِ المهينِ بخربة سكر الذبابُ لها فراح يعربدُ

ومنها:

قُم وارمُقِ النجفَ الأغرُ بنظرة يرتدُ طرفك وهو بك أرمدُ

تلك العظامُ أعزُّ ربك قدرها فتكاد لولا خوفُ ربك تُعبدُ

هامش ديوان السيد الحميري ص ١٥٢.

(٣) ويقول الشاعر الكبير العلامة الشيخ عبد المهدي مطر قصيدته العصماء ومطلعها:

ارصيفُ بيابِ عليٍّ أيها الذهبُ واخطفُ بأبصارٍ من سرُّوا ومن غضبوا

فجدير أن ينعى على ولده يزيد أيضاً مصيره وما بآء به^(١).

ومنها:

بَلَّغْ معاويةَ عني مغلغلةً وقلْ له وأخو التبليغِ يُتَدَبُّ
قُمْ وانظُرِ العَدْلَ قد شِيدَتْ عمارتُهُ والجور عندك خِزْيٌ بِيْتُهُ خَرِبُ

ومنها:

سَمَوْكَ زوراً أميرَ المؤمنينَ وهل يرضى بغيرِ (عليٍّ) ذلكَ اللقبُ
هذا هو الرأسُ معقودٌ لهامتهِ ناجُ الخلافةِ فآخساً أيها الذنبُ

دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ج ١ ص ١٢٣.

ولشاعر أهل البيت العلامة الفرطوسي قصيدته العصماء حينما وقف على قبر معاوية:

هنا الرذيلةُ من هندٍ وميسونٍ نعرى فتكسى بأيرادِ الشياطينِ

ومنها:

يا قبرَ أخبثِ خلقِ اللهِ ابنِ ثوبتٍ سوءُ الفضائحِ من همرِ الكواتينِ

ومنها:

يا قائدَ الشركِ (حرباً) وابنَ قائدهِ على محمدَ في (بدرٍ) و(صفينِ)
هذا هو الشامُ مهدُ المالكينَ له من (عبدِ شمسٍ) وهذا سفحُ (جبرونِ)
هذا معاويةُ في الشامِ محتقراً كأنما هو من أبناءِ صهيونِ

ومنها:

قم من حضيفِزِ المسلوي يا معاويةَ وانظُرْ سماءَ العلي من آلِ ياسينِ
هذا (عليٍّ) ومهدُ الحقِّ يحضنُهُ بالخالِداتِ من الغُرِّ الميامينِ

نقلتها من الدر الثمين في التختم باليمين للمرحوم الشيخ الطبسي ص ٥٣.

(١) ونصفي للشيخ الفرطوسي ليمتعننا من رائعته:

وهذه (زينب) بالأمس تحسبها في غوطة الشام من أسرى فلسطين

ومنها:

فأين قبرُ يزيدٍ أهو في كنفِ أو زقُّ صهباءٍ في الحاناتِ مكنونِ
وأورد البحائة الشيخ محمد حسنين السابقي شعراً يتصل بحديثنا نأخذ منه هذين

البيتين اللذين لم ينسبهما لشاعرهما:

أبا يزيد ويا يزيد سليله
قوما انظرا والطرف بك أرمذ
حرم العقيلة زينب في أرضكم
عظة لكل حكيم قوم يرشد
مرقد العقيلة زينب ص ٢٣٠.

وأورد قصيدة للبحثة المتبع العلامة السيد محمد مهدي الخراسان جاء مطلعها:
نيهي جلالاً يا بقاع الراوية
وتطاولي شرفاً بمشوى الزاكية
أدريت من حلت ربك فظهرت
منك الربوع من الكلاب العلوية
ومنها:

كم ذا لقيت من الإساءة والعنا
من صبية ذرئت لنار حامية
ومنها:

قصرت بما الأنساب أقصى فخرها
شيخ كفور أو عجوز زانية
صخر وهند والفروع بأسرها
هذا النجاد وذو الأصول كما هية
ومنها:

فاضرب بطرفك ابن باني مجدها
نار بآية حفرة أو زاوية
وانظر إلى القبر المشيد ضريحه
سامى الضراح علأ بمشوى الزاكية
ذيك حكم الله بأبي عدله
إلا الإطاحة بالعروش الخاوية
وتكون عقي الدار تبقى دائماً
للمتقين وللعنة الهاوية
ومنها:

لكن ربك وهو عدك حاكم
يقضي لتقضي في جوارك ناهية
كم حكمة الله في تقديره
فتبين واضحة وأخرى خافية
فأسيرة الماضي تحطم هيكله
ذر الرماد فماله من باقية
وتقيم قمتها برغم أنوفهم
في أرضهم حيث القطوف الدانية
مرقد العقيلة زينب ص ٢٣٠.

ولعلامة بلادنا - القطيف - الحجة المقدس الشيخ فرج العمران رحمه الله عدة قصائد في السيلة عليه ومن جملتها القصيدة التي أتم نظمها في إحدى زياراته لها وأنشدها في مصلى العلامة الجليل السيد حسين ابن السيد يوسف مكّي في المشهد

وصدق الله حيث يقول: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِمِهِمْ أَنَا دَمَرْتَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١). ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾^(٢). ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٣). ﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾^(٤). ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٥).

ز- دور البقية من بنات محمد وعلي وفاطمة والحسين وبني هاشم.

ح- دور النجيبات من النساء الفضليات من عيالات الأنصار، فقد

الزبيني ومطلعها:

هو الجدُّ فاستسهلْ له ما تَصْعَبَا والأفعنْ مسعاهُ كُنْ متَنَكِّبَا
ومنها:

فكم من نساءٍ أدركتْ حليباته ونالت علا فوق الثريا مطنبا
ويكفيك من بين النساء الطهرَ زينب فأعظم وأكبر في النساء الطهرَ زينبا
ومنها:

وخطبتِ الخنصمَ الألدُ يزيدُها بأحسنِ قولٍ بلِ أحزُّ منِ الطبا
ومنها:

لنا الملكُ في الدنيا لنا الحكمُ في غدٍ سنصليكَ في يومِ القيامةِ هبها
وعرشك هذا سوفَ أملكُ دسته ونعني إلى بيتي الحجيجُ تقربا

الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية ج ١٤ ص ٣٣١.

وبعد فهذا قطرة من فيض رغبتي في تزيين وتشريف هذا الفصل بطيب نشره،
وتخليد هؤلاء الشعراء الناشرين لفضائل أهل البيت الطاهر ومعائب عدوهم
الخنسر.

(١) سورة النمل: آية ٥١.

(٢) سورة النمل: آية ٦٩.

(٣) سورة الأعراف: آية ١٢٨.

(٤) سورة القصص: آية ٣٧.

(٥) سورة القصص: ٨٣.

كان لهؤلاء وأولئك العمل المبرور والجهد المشكور وإن كان - مع الأسف الشديد - لا يتوفر لنا من المصادر المعرفة عن شخصيتهن وجلال أعمالهن القدر الكافي للتعريف بمشاركتهن في النهضة العظيمة سوى ما ذكرناه ثانياً البحث عنهن، مما يبقي ثغرات وفجوات من تاريخهن المشرف المشرق، ولا استبعاد في أن يتعمد بعض المؤرخين إخفاء الحقائق وملايسات أحداث الطف.

وبعد....

فقد تجلّى لنا من هذا السير والسبر مدى ما قدمته المرأة المؤمنة الواعية - إن في صدر الإسلام، وإن في واقعة الطف - وما يمكن لها دائماً أن تقدمه في سبيل خدمة الدين إذا ما كانت بمستوى المسؤولية.



مركز بحوث كميبيوتر علوم إيسدي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مِنْ مَجْلَدِ
مَجْلَدِ
مَجْلَدِ
مَجْلَدِ



مركز تحقيقات كليات علوم إسلامي

نساء لهن شأن بحديث الطف

دعوة مخلصه صادقة

ملحق بقصيدة الشيخ الأوردبادي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

نساء لهن شأن بعديث الطف:

وتاريخ الإسلام، وكما تقدم في صدر هذا الفصل، حفل بجلائل المواقف لذوات العقلية الناضجة والإيمان العميق ومما يتصل وحديث الطف أذكر:

١ - مارية بنت منقذ العبدية:

فقد كانت دارها - في البصرة - مألفاً للشيعة ومنتدى لهم يتبادلون فيها الرأي^(١).

وقد كان سيف بن مالك - أحد شهداء الطف - من جملة من يجتمع في بيتها.

٢ - نساء همدان:

يقول الشيخ محمد مهدي شمس الدين: فقد خلع أهل الكوفة - بعد موت يزيد بن معاوية - ولاية بني أمية وإمارة ابن زياد وأرادوا أن ينصبوا لهم أميراً إلى أن ينظروا في أمرهم، فقال جماعة: عمر بن سعد بن أبي وقاص يصلح لها، فلما هموا بتأميمه أقبل نساء من همدان وغيرهن من نساء كهلان والأنصار وربيعة والنخع حتى دخلن المسجد الجامع صارخات باكيات معولات يندبن الحسين^(٢).

٣ - نساء يبكين على الحسين:

استأجر المختار نساء يبكين على الحسين ويجلسن على باب دار عمر بن سعد فضجر ابن سعد وكلم المختار في رفعهن عن باب داره، فقال المختار: ألا يستحق الحسين البكاء عليه؟^(٣).

(١) أنصار الحسين للشيخ شمس الدين ص ٩٣ نقلاً عن الطبري، وكان سيف بن

مالك العبدية من جملة الرجال الذين يجتمعون في دارها.

(٢) المصدر السابق ص ١٩٨ نقلاً عن مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ٩٣.

(٣) مقتل الحسين للمقرم ص ٢٤٦ عن العقد الفريد، باب نفضة المختار.

وهذا وما سبقه من دلائل الإدراك وسوابق ولواحق واقعة الطف العظيمة.

دعوة مخلصه صادقة:

إذن فللمرأة المسلمة المعاصرة أوسع المجال، وبفضل ما تحلت به من معرفة وإطلاع، في أن تمارس الممارسة الفعالة المثمرة في ضوء تعاليم الشرع وهدية وأهدافه وغاياته، فتصلح نفسها أولاً وسينعكس ذلك على قيامها بتربية أسرتها ومجتمعها، فتركن إلى جانب الحق متسلحة بالعلم والإيمان والتوكل على الله غير واهنة ولا مستكيننة، لأنها أنشى ومن شأنها الضعف والهوان، وترتفع عما تخادع به من مغريات وتضطاد به من شباك وشراك، ومثل هذا الوعي والإدراك يشكل نقطة الانطلاقة الصحيحة نحو الأهداف المنشودة، فالشعور بتحمل العبء والمسؤولية والسعي لتحقيق الوظيفة الدينية بعد التأهل لها عوامل محرّكة نحو الإصلاح والإصلاح.

نعم، يجب أن لا نغفل دور المؤسسات المالكة لأزمة الأمور والمهيمنة عليها، سواء تمثلت في إدارة أجهزة التربية والتعليم وما يتصل بذلك من مجالات الاجتماع والعمل ونحوها أو في المؤسسة الثقافية التي تُسير دفة قضايا المرأة وشؤونها، وبالطبع إن لمثل هذه الجهات الدخل والتأثير في التوجيه نحو الإصلاح والفساد وتلقى عليها كثير أو أكثر التبعات.

كما أننا لاحظنا مدى التأثير الحسن الجميل لعدة من المعاهد الدينية في العراق وإيران وسوريا ولبنان، وكيف أخذت بيد المرأة المسلمة وأفادت وأفادت منها، وإني لأرجو التوفيق لتحقيق الآمال والتطلعات لما يقوم به - في أطرافنا - جملة من طلاب العلوم الدينية في إعداد دروس الفقه والاعتقاد حتى تؤتي ثمارها في القريب العاجل إن شاء الله تعالى.

وأختتم هذا الفصل بنحو ما بدأنه من أن الإسلام والدين الحق أعدّ المرأة لوظائف ومهمات كبار وزودها وعبأها بما ينجح تلكم الأفكار ويجريها على يديها، وقد برهنت المرأة المسلمة الواعية على حسن قيامها بما أنيط بها،

وقرأنا ذلك في صدر الدعوة وأيام ارتحال النبي الأعظم ﷺ إلى الرفيق الأعلى وفي أيام محن أمير المؤمنين عليه السلام وأيام سيد الشهداء (عليه وعليهم السلام)، وكان النصيب الأوفر في امتداد نهضته العظيمة ملقى على عقائل الوحي وعلى بطلة كربلاء وشريكة الحسين بنحو أخص، «لأن ثورة كربلاء، ثورة الحسين، لم تكن ثورة الرجال فقط، كانت ثورة النساء أيضاً، لولا النساء لم تكن كربلاء كالتى نعرفها، لولا جهادهن، ولولا سبيهن ولولا صبرهن لم تكن كربلاء هذه التى نعرفها»^(١).



مركز تقيت كميتر علوم ورسول

(١) الشيخ محمد مهدي شمس الدين، عاشوراء سنة ١٤٠٢هـ - ص ٨٢.

ملحق بقصيدة الشيخ الأوردبادي:

العلامة الأستاذ الميرزا محمد علي الأوردبادي الغروي^(١):

قد عاد مصرٌ للحفيظة مغرباً فسنا ذكاهها واضح لن يغرباً
بمليكة حسياً زكت فيه ولم يعقد عليه غير صنويها الحبا
ومن النبوة في أسرة وجهها بلج كمثل الشمس يجلو الغيها
وتضوع منها للخلافة عبقة تطوى بنفحتها الصحاح والرئي
بجلال أحمد في مهابة حيدر قد أنجبت أم الأئمة زينا
فبمجمع الشرفين بضعة فلطم حصلت على أكرومة عظمت نبا
وسرت مع الدنيا مكارمها كما يسري لها أرجُ الثناء مع الصبا
حشدت مناقبها جحافل فاغتدت من كل منقبة تحشد مقنبا
ولها بمنقطع الفخار منصة كرمت بها حسياً وفاقت منصبا
وربيبة الخدر المقدس زانها علم حوثه حبوة لا مكسبا
وندى كمثل البحر دون نفاذه الـ سيم الخضم ولجته أن ينضبا
وماثر كشر النجوم عداؤها زهواً على كر الليلي ما خبا
ورجاحة في اللب تمزاً بالنهي تقفو وقاراً يستخف الأخشبا
وبآيسة السطهير والقربى لها خطران قد خصاً بأصحاب العبا
وعن الوصي بلاغة خصت بها أعت برونقها البليغ الأخطبا
ما استرسلت إلا وتحسب أنها تستل من غرر الخطابة مقضبا

(١) جرياً على سنن العلامة السيد المكرم في إيراده مختارات من الشعر الحسيني في مناسباته، ورغبة في الإشادة بهذا العلامة العلم الجليل الشيخ الأوردبادي لما له (عطر الله مرقده) من آثار مباركة خدم بها الدين، وحامى بها عن المعتقد، شعراً ونثراً، أوردت هذه القصيدة الزينية.

أو أنها اليزني في يدِ باسلي
 أو أنها تقتاد منها فيلقا
 أو أن في غاب الإمامة لبوة
 أو أنها البحر الخضم تلاطمت
 أو أن من غضب الإله صواعقا
 أو أن حيدرته على صهواتها
 أو أنه ضمته ذروة منبر
 أو أن في اللاوا عقيلة هاشم
 وبجاش ذي لبدٍ وقلبٍ أخي حجى
 وتشطرت هي والحسين بدعوة
 هذا بمشتبك النصول وهذه
 بدم الشهادة إذ أرىق ومنع
 نهضا بأعباء الهدى ما بين من
 مضيا ولابن المصطفى زج القنا
 وتلا الكتاب بموقف راموا به
 ولزنب شهد الحزوم بمثله
 فبصدرها ثقل الإمامة مودع
 وعلى الأسارى من بنات محمد
 وغداة جلق كم لها من وقفة
 في حيث قد عقد الزعانف من بني
 فرمتهم من لفظها بقوارع
 فكان من جمل الكلام بوارقا
 أخلى به ظهرا وأوهى منكبا
 وتسوق من زمر الحقائق موكبا
 لزيورها عنت الوجوه هيبا
 أمواجه علماء حجى بأسا إيا
 لم تلف عنها آل حرب مهربا
 يفني كراديس الضلال ثابسا
 فانار نهجا للشريعة ألحبا
 قد فرقت شمل العمى أيدي سبا
 أولت صروف الدهر ثغرا أشنبا
 حتم القضاء عليهما أن يندبا
 في حيث معترك المكاره في السبا
 أذرى مذار القلب دعما صيبا
 حطم الوشيج وبين محترق الخبا
 عن باحة التذكير أصبح محتبي
 إطفاء نور الله لكن قد أبي
 إذ عمت قفرا وأمت سبسا
 وبنطقها زهت الهداية منها
 من بأسها العلوي منصوب الخبا
 يزور عنها الغي مفلول الشبا
 صخر ورهطهم لفيفا مرهبا
 قد أوقعت هم البلاء المكربا
 وكان منها في المرائر منها

هدأت لها الأنفاسُ قُلَّ بفريسةٍ
 ودهسوا بفاقرةٍ تَبْلُدُ حَوْلًا
 مِنْ عَظْمٍ مَا اجْتَرَحُوا هُنَاكَ فَنَاحِبُ
 وَبَعِينِ جِبَارِ السَّمَا عَمَلٌ لَهَا
 إِذْ زَعَزَعْتَ سُلْطَانَهَا بِظِلَامَةٍ
 وَرَأَتْ السَّرْجِسُ فِي فِثَاقَا^(١)
 هَذَا وَلَكِنَّ الصَّدُورَ بِمَا هَا
 وَعَيُونَ آلِ مُحَمَّدٍ عَبَّرَى لِمَا
 وَنِسَاءَ آلِ أُمَيَّةٍ مَجْبُورَةٌ
 وَإِلَيْكُمْ آلُ السَّنْبِيِّ قَصِيذَةٌ
 وَعَلَيْكُمْ صَلَّى الْمُهَيْمِنُ كَلِمَا^(٢)
 قَدِ أَنْشَبَتْ فِيهَا الضِّيَاغِمُ مَخْلَبَا
 ثَبَتُ الْجَنَانِ لَدَى الْهَزَايِرِ قُلْبَا
 أَوْ حَائِرٌ مَنَعَ الشُّجَا أَنْ يَنْحَبَا
 أَمَلًا لِنُوكَى آلِ حَرْبٍ خِيَبَا
 لِبَنِي عَلِيٍّ جَمْرُهُمَا قَدِ الْهَبَا
 إِنْ الدَّعِيَّ عَنِ الصَّرَاطِ تَنَكَّبَا
 حَرَّى وَصَدَعٌ نَالَهَا لَنْ يُرَابَا
 غَمَزُوا لَهُمْ مِنْ قَبْلُ عَوْدًا أَصْلَبَا
 وَعَقَائِلَ الْمُخْتَارِ تَرْسَفُ فِي السَّبَا
 أَمْضَى عَلَى الْخُصَمَاءِ مِنْ حَدِّ الضَّبَا
 يَشُوؤُ شَذَى عَلَيْكُمْ نَشْرَ الْكَبَا^(٣)

مركز تقيت كميتر علوم اسلامی

(١) هكذا وردت في المصدر.

(٢) زينب الكبرى للشيخ جعفر نقدي ص ١٣٦.

٤

مناقشة عابرة
الموسوعة العربية الميسرة
دائرة المعارف للبستاني



مركز تحقيقات كتابية وترجمة سعودي

مناقشة عابرة

الموسوعة العربية الميسرة

دائرة المعارف للبستاني



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

مناقشة عابرة:

ومن خلال التتبع والملاحظة وقفت على ما يكتبه مؤلفو دوائر المعارف وغيرهم -من غير الشيعة- سنة أو غيرهم، فقرأت فيه الخلط وعدم إحاطتهم وتجليتهم للحقيقة. ومنشأ ذلك ودواعيه كثيرة، منها الركون والاعتماد على ما ينقله الآخرون -وإن كان من أعدائهم- في حين أن واجب البحث النزيه المنصف والأمانة يقضي باستعلام الأفكار من حملتها والقائلين بها.

وللحديث -هنا- مجال رحب، ولكنه ليس من صميم غرضي الآن.

الموسوعة العربية الميسرة:

فاقرأ مثلاً: (الموسوعة العربية الميسرة) المؤلفة برئاسة الأستاذ محمد شفيق غربال ص ٥٣٢ (تعزية) ومقارنتها بمسرحية الآلام. وقوله: إن التأثر قد يبلغ ببعض الممثلين نهايته حتى ليكادون يقتلون أنفسهم، وقوله: وهذا ما دعا الحكومة الإيرانية تحت حكم رضا شاه إلى تحديد ذكرى التعزية، ولكنها أعيدت في عهد مصدق (حوالي ١٩٥٠) وأتبه عابراً على الأمور التالية:

١- عني كثير ممن لم يفهم النهضة الحسينية بتنظيرها بصلب السيد المسيح ^{عليه السلام} كما جاء في كتاب (ثورة الحسين في الفكر المسيحي) لأنطون بارا وعلاقتها بفكرة الخلاص وتحمل الذنوب... إلخ، وهذا فكر لا ترنضيه الإمامية كما هو جلي في اعتقادها.

٢- لم نعهد الانتحار فيمن يشارك في التمثيل، وإن استخدم ضرب الرأس بالسيف (القامة) أو الظهر بالسلاسل.

٣- إن موقف رضا شاه لم يكن باعته ذلك، بل قد بالغ إلى حد كبير حيث منع إجراء هذه المراسيم في ضمن معارضته للدين والمذهب وحملته من علماء وسواهم من المؤمنين، وكم له من جرائم وموبقات فقد كان في عهده المشؤوم الخمر تباع علناً حتى في المدن المقدسة كخراسان وقم،

وبالقرب من المراقد المطهرة، وعزاء سيد الشهداء، وزيارة قبور آل محمد بالعراق وغيره محظورة يعاقب عليها... إلخ^(١).

٤- أدرج كاتب العنوان (تعزية) أن المسرحية تحيي ذكرى مقتل الحسن أيضاً في العاشر من المحرم. أقول: إن لم يكن هذا خطأ مطبعياً فالأمر ليس كذلك، فشهادة الإمام الحسن عليه السلام كانت في السابع من صفر^(٢)، وتحيي شيعته ذكراه في يومها وتعيدها في أيام السنة دونها مراسم تمثل أو مسرحية.

دائرة المعارف للبستاني؛

واقراً (دائرة المعارف للبستاني) ج ١١ ص ٤٤٦ (عاشوراء)، ومما يناقش

فيه:

١- جمع الدموع في قارورة بعد أن يطاف على الحضور بقطنة تمسح بها ثم تعصر في القارورة، وتحفظ للاستشفاء من الأدوات حيث لا ينجع دواء.
٢- حديثه عن رجال الأدوار التمثيلية لرجال يزيد، أن كثيراً ما يدرك القوم بعضهم فيمثلون بهم، ولهذا يجعلونهم في الغالب ممن لا يؤسف عليه كثيراً كالأسير والمحكوم عليه.

وكلاهما غير معهودين عند شيعة إيران -الذين تحدث عنهم- وإن اعتقدوا بفضل البكاء وشأنه، وما قاله عن رجال الأدوار عجيب وغريب، وكم لهؤلاء المؤلفين من أغلاط واشتباهاات يقعون فيها عن سوء فهم أحياناً -إن لم يكن عن تعمد- وعن اعتماد النقل عن غير الأثبات، والأجدر بحملة الفكر ورواد الحقيقة الضبط والتثبت اللائقين بشرف الكتابة والبحث.

والغريب أن يصدر هذا عن مثل البستاني وهو ممن يعرف أصول

(١) طبقات أعلام الشيعة للعلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني ص ١١٦٥ ترجمة الشيخ عبدالكريم الحائري.

(٢) وعلى رواية ثانية أنها في ٢٨ من صفر يوم وفاة رسول الله ﷺ كما هو المتعارف في إيران.

البحث ومن أبدعها التثبت فيما ينقل والصدق فيما ينسب. ومما يؤسف له جداً تفشي هذا الداء كثيراً ومن كثير وفي مختلف المجالات العلمية، ولا سيما إذا كان فيما يلتقي بالأديان والمذاهب.



مركز تحقيقات كميوتير علوم إسلامي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

خاتمة:

أجل، هذا هو الحسين الإمام الأجل والفدّ البطل الذي يسمو ويعلو كلما تقادم الزمن وتمادى العهد، وهو يترقى في مدارج الخلود ويشمخ في أبراج العروج والصعود.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عند ربِّهم يُرزقون﴾ ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلِهِ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾^(١)

مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم إسلامي

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٩-١٧٤.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الفهرس العام لمصادر الكتاب:

القرآن الكرم.

(أ)

- إبصار العين في أنصار الحسين: السماوي، الشيخ محمد، الشيخ طاهر. مطبعة الآداب - النجف الأشرف.
- أحاديث أم المؤمنين عائشة: العسكري، السيد مرتضى. مطبعة الحيدري.
- الاحتجاج: الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، تعليقات السيد محمد باقر الخراسان. مطبعة النعمان - النجف الأشرف - سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- أدب الطف: شبر، السيد جواد. دار المرتضى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- أدب الشيعة (إلى نهاية القرن الثاني عشر الهجري): حميلة، طه عبد الحميد. مطبعة السعادة بمصر، ط ٢، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- الإرشاد: المفيد، محمد بن محمد النعمان. دار الإرشاد الإسلامي - بيروت، تقدم حسين الأعلمي.
- الأزهار الأرجية في الآثار الأرجية: العمران، الشيخ فرج. مطبعة النجف، النجف الأشرف.
- أسد الغابة (في معرفة الصحابة): الشيباني، ابن الأثير محمد بن محمد. منشورات المكتبة الإسلامية.
- أصول الفقه: المظفر، الشيخ محمد رضا. دار التعارف للمطبوعات، ط ٤، سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١ - الأصول العامة للفقه المقارن: الحكيم، السيد محمد تقي. ط ٢، دار الأندلس، سنة ١٩٧٩م.
- ١ - الأضواء (مجلة): النجف الأشرف، العدد الخامس، السنة الثانية ١٣٨١هـ.
- ١ - أعيان الشيعة: الأمين، السيد محسن. تحقيق وإخراج السيد حسن الأمين،

الطبعة الجديدة، دار التعارف للمطبوعات - بيروت، سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١- الأغاني: الأصبهاني، أبو الفرج. دار صعب بيروت.

١- الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن. منشورات جمعية منتدى النشر، النجف الأشرف مطبعة الآداب في النجف سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١- إقناع اللائم على إقامة المآتم: الأمين، السيد محسن. الطبعة الأولى، مطبعة العرفان - صيدا عام ١٣٤٤هـ.

١- الألفين (في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب): الحلبي، العلامة جمال الملة والدين الحسن بن مطهر، تقدم السيد محمد مهدي الخرسان، الطبعة الثانية، مطبعة الحيدرية النجف الأشرف سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

١- الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل: السبحاني، الشيخ جعفر، بقلم الشيخ حسن محمد العاملي. منشورات دار السلام، ط ١، سنة ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١- أمالي الصدوق: القمي، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه. منشورات الأعلمي، ط ٥ سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

١- الإمامة والسياسة: الدينوري، أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، تحقيق الدكتور محمد الزيني.

٢- أنصار الحسين: شمس الدين، محمد مهدي. الدار الإسلامية ط ٢ سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٢- الأنوار النعمانية: الجزائري، السيد نعمة الله. ط ٤ مؤسسة الأعلمي سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٤م.

٢- الإيمان (مجلة): عدد خاص عن الشيخ محمد علي اليعقوبي، مطبعة النجف، سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

(ب)

- ٢- الباب الحادي عشر: الحلبي، العلامة الحسن بن مطهر، بتحشية الشيخ محسن الصدر، ط ٢، نشر كتاب فروشي مصطفىوي ١٣٩٩هـ.
- ٢- بحار الأنوار: المجلسي، الشيخ محمد باقر. مؤسسة الوفاء بيروت، ط ٢، سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٢- البداية والنهاية: ابن كثير، الحافظ إسماعيل بن عمر. ط ٤، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٢- بلاغات النساء: طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر. دار الحدائق - بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.
- ٢- البيان في تفسير القرآن: الخوئي، السيد أبو القاسم. مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ط ٢، سنة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.
- ٢- بين الله والإنسان: مغنية، الشيخ محمد جواد. دار الجواد - بيروت، سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ٢- تاريخ بغداد: البغدادي، الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب. دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٣- تاريخ الطبري: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. ط ٢، دار المعارف بمصر، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم.
- ٣- تاريخ من دفن في العراق من الصحابة: الهاشمي، علي بن الحسين الخطيب.
- ٢- تاريخ اليعقوبي: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر. دار صادر - بيروت، سنة ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م، دار بيروت للطباعة والنشر.
- ٣- تاريخ النياحة: الشهرستاني، السيد صالح. إيران.
- ٣- تحت راية الحق (مجموعة شعرية منتخبة في أهل البيت): دخيل، علي محمد علي. دار المرتضى - بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ٣- تفسير المنار: رضا، السيد محمد رشيد. ط ٤ - مطبعة القاهرة - سنة ١٣٨٠هـ.

٣- تكملة أمل الأمل: الصدر، السيّد حسن، تحقيق السيد أحمد الحسيني. دار الأضواء - بيروت، سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

٣- تلخيص الشافي: الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن، تحقيق وتعليق السيد حسين بحر العلوم. ط ٣، سنة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٣- تمهيد الحسن وقيام الحسين، المصلي، الشيخ عبد العزيز.

٣- تهذيب تاريخ دمشق: ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي. دار المسيرة - بيروت، ط ٢، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(ث)

٤- ثورة الحسين (ظروفها الاجتماعية وأثارها الإنسانية): شمس الدين، الشيخ محمد مهدي.

٤- ثورة الحسين في الوجدان الشعبي: شمس الدين، الشيخ محمد مهدي. الدار الإسلامية، ط ١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.



٤- الجمل: المفيد، محمد بن محمد النعمان، ط ٣، منشورات مكتبة الداوري، قم - إيران.

٤- جنّة المأوى: كاشف الغطاء، الشيخ محمد حسين، تحقيق وتعليق السيد محمد علي الطبطبائي القاضي. ط ٢، مطبعة شفق تبريز ١٣٩٧هـ.

٤- جواهر الكلام (في شرح شرائع الإسلام): النجفي، الشيخ محمد حسن. ط ٧، بيروت ١٣٨١م.

(ح)

٤- حجر وطن: الفقيه، الشيخ محمد تقي. دار العالمية للنشر والتوزيع - بيروت ١٤٠٣هـ.

٤- الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة: البحراني، الشيخ يوسف. ط ٢، دار الأضواء - بيروت، ١٤٠٥هـ.

٤- الحسين والسنة (مجموعة مختارة من مصادر قليلة حول الإمام الحسين):

اختيار وتنظيم الطباطبائي، السيد عبد العزيز. مطبعة مهر - قم.

٤ - الحسين والقرآن: مغنية، الشيخ محمد جواد. دار الثقافة بيروت.

٤ - الإمام الحسين بن علي: دخيل، علي محمد علي. ط ٢، دار التراث الإسلامي
١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٥ - حياة الإمام الحسن: القرشي، الشيخ باقر شريف. ط ٣ مطبعة الآداب،
النجف الأشرف ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م.

٥ - حياة الإمام الحسين: القرشي، الشيخ باقر شريف. ط ٢، دار الكتب العلمية،
قم - إيران ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٥ - حياة الإمام الحسن العسكري: القرشي، الشيخ باقر شريف. ط ١، دار
الأضواء - بيروت ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٥ - حياة الإمام زين العابدين: القرشي، الشيخ باقر شريف. ط ١، دار الأضواء -
بيروت ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.



٥ - الخصائص الحسينية: التستري، الشيخ جعفر. ط ٤، المطبعة الحيدرية -
النجف ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.

٥ - الخطابة والمنبر: المطهري، الشيخ مرتضى. دار الرسول الأكرم ودار التعارف -
بيروت، ترجمة: جعفر الخليلي.

(د)

٥ - دائرة المعارف الإسلامية الشيعية: الأمين، السيد حسن. ط ٢، بيروت
١٣٩٣هـ - ١٣٧٥م.

٥ - دائرة المعارف: البستاني، بطرس. دار المعرفة - بيروت.

٥ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. دار
المعرفة للطباعة والنشر - بيروت.

٥ - الدر النضيد في مرآة السبط الشهيد: الأمين، السيد محسن.

٦ - الدر الثمين في التختيم باليمين: الطبسي، الشيخ محمد رضا. مؤسسة النعمان

- بيروت ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٦- الدرّة النجفية: بحر العلوم، السيد مهدي. مطبعة الأمير قم - إيران ١٤٠٥هـ.

٦- دلائل الصدق: المظفر، الشيخ محمد حسن. ط ٢، منشورات مكتبة بصيرتي، قم - إيران ١٣٩٥هـ.

٦- دلائل الأحكام: الخنيزي، الشيخ أبو الحسن علي. ط ١ بتحقيق نجله الشيخ عبد الله، مطبعة الآداب - النجف الأشرف ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٦- دلائل الإمامة: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم. ط ٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٦- ديوان السيد الحميري: جمع وتحقيق وشرح وتعليق شاكر هادي شكر: منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت، مطبعة سميا - بيروت.

٦- ديوان دعبل بن علي: جمع وتحقيق: عبد المطلب عمران الدجيلي. ط ٢، دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٧٢م.

مركز تحقيق التراث
(ذ)

٦- الذريعة إلى تصانيف الشيعة: الطهراني، الشيخ آغا بزرك. دار الأضواء - بيروت، ط ٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(ر)

٦- رياض المدح والثناء: القلنجي، الشيخ حسين. مطبعة الآداب - النجف الأشرف، ط ٢.

(س)

٦- السبعة من السلف: الفيروزآبادي، السيد مرتضى الحسيني. دار الإرشاد الإسلامي - بيروت.

٧- سفينة البحار: القمي، الشيخ عباس. دار المرتضى - بيروت.

٧- سيرة المصطفى: الحسيني، السيد هاشم معروف. دار القلم بيروت، ط ٣، ١٩٨١م.

٧- سيرتنا وسنتنا سيرة نبينا وسنته: الأمين، الشيخ عبد الحسين. مطبعة الآداب - النجف الأشرف ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.

(ش)

٧- الشافي في الإمامة: الموسوي، الشريف السيد المرتضى علي بن الحسين، تحقيق السيد عبد الزهراء الخطيب. مؤسسة أهل البيت عليه السلام - بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

٧- شرح نهج البلاغة: المدائني، عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية، ط ٢، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

٧- شعراء الحلة: الخاقاني، الشيخ علي. المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، ط ١، ١٣٧٠هـ.

٧- الشهاب الثاقب (منظومة في إثبات الأئمة المعصومين): الطباطبائي، السيد محمد باقر الحجة. المطبعة العلوية - النجف الأشرف ١٣٤٢هـ.

٧- الشيعة في إيران، دراسة تاريخية، من البداية حتى القرن التاسع الهجري: جعفریان، رسول، تعريب: علي هاشم الأميدي. مؤسسة الطبع التابعة للأستانة الرضوية المقدسة - مشهد ١٤٢٠هـ.

(ص)

٧- الصحيح في سيرة النبي الأعظم: العاملي، السيد جعفر مرتضى. قم المقدسة - إيران ١٤٠٣هـ.

٧- صلح الحسن: آل ياسين، الشيخ راضي. مطبعة الزهراء - بغداد ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.

٨- صلح الإمام الحسن (أسبابه ونتائجه): الحسيني، السيد محمد جواد فضل الله. ط ٢، دار الزهراء - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(ط)

٨- طبقات أعلام الشيعة (نقباء البشر): الطهراني، الشيخ آغا بزرك. مطبعة النجف - النجف الأشرف.

(ع)

- ٨ - عاشوراء سنة ١٤٠٢ هـ: شمس الدين، الشيخ محمد مهدي. المطبعة الإسلامية - بيروت، ط ١، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- ٨ - عبقات الأنوار في إمامة الأئمة الأطهار: اللكنهوي، السيد مير حامد حسين، ترجمة السيد علي الحسيني الميلاني. دار الكتاب الإسلامي - بيروت.
- ٨ - عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: القزويني، زكريا. دار الآفاق الجديدة، ط ٤، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- ٨ - عقائد الإمامية: المظفر، الشيخ محمد رضا. مطبعة النعمان - النجف الأشرف ١٩٧٣ م.
- ٨ - عيون أخبار الرضا: القمي، الشيخ الصلوق أبو جعفر محمد بن علي. مؤسسة الأعلمي - بيروت، ط ١، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

(غ)

- ٨ - الغدير في الكتاب والسنة والأدب: الأميني، الشيخ عبد الحسين. مطبعة الحيدري - طهران إيران، ط ٤، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م.

(ف)

- ٨ - فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد: القزويني، السيد محمد كاظم، مطبعة مؤسسة الوفاء، بيروت ط ٤، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- ٨ - الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة: ابن الصباغ، الشيخ علي بن محمد المالكي. مؤسسة الأعلمي - بيروت ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٩ - فضائل الخمسة من الصحاح الستة: الفيروزآبادي، السيد مرتضى الحسيني. مؤسسة الأعلمي - بيروت ط ٤، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- ٩ - فضائل الإمام علي: مغنية، الشيخ محمد جواد. دار التعارف - بيروت ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.

(ق)

- ٩ - قادتنا كيف نعرفهم: الميلاني، السيد محمد هادي. مؤسسة أهل البيت -

بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ.

(ك)

- ٩ - الكامل: ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم. دار الفكر - بيروت
١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ٩ - كامل الزيارات: ابن قولويه، الشيخ أبي القاسم جعفر بن محمد، تعليق الشيخ
عبد الحسين الأميني. المطبعة المرتضوية - النجف الأشرف ١٣٥٦هـ.
- ٩ - كحل البصر في سيرة سيد البشر: القمي، الشيخ عباس. مؤسسة أهل البيت
- بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٩ - كشف الغمة في معرفة الأئمة: الأربلي، أبي الحسن علي بن عيسى. دار
الأضواء - بيروت ط ٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٩ - كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: الحلبي، العلامة الحسن بن مطهر.
مؤسسة الأعلمي - بيروت ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٩ - الكنى والألقاب: القمي، الشيخ عباس. ط ٣. المطبعة الحيدرية - النجف
الأشرف، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

(ل)

- ٩ - اللهوف في قتلى الطفوف: ابن طاووس، السيد علي بن موسى بن جعفر.
مكتبة الأندلس - بيروت.

(م)

- ١٠ - مأساة الحسين بين السائل والجيب: الكاشي، الخطيب الشيخ عبد الوهاب.
دار الزهراء - بيروت. ط ٢، ١٩٧٨م - ١٣٩٨هـ.
- ١٠ - ماضي النجف وحاضرها: آل محبوبة، الشيخ جعفر. دار الأضواء -
بيروت، ط ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ١٠ - المجالس الحسينية: مغنية، الشيخ محمد جواد. ط ١.
- ١٠ - المجالس السنّية في مناقب ومصائب العترة النبوية: الأمين، السيد محسن. دار
التعارف للمطبوعات ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- ١٠ - مجموعة نصوص تاريخية (حول المآثم الحسيني ومواكب العزاء): المصطفى، الشيخ حسين، استخراج وجمع.
- ١٠ - محاضرة (حول الشعر الرثائي في الإمام الحسين): الفضلي، الشيخ عبد الهادي. وقد أضاف عليها مؤخرًا وجعلها مقدمة لموسوعة (شعراء الحسين) للشيخ جعفر الهلالي.
- ١٠ - مداميك عقديّة: الخنيزي، الشيخ عبد الله. دار الكتاب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ١٠ - مرجع الخلاف إلى الخلافة: المعلم، محسن علي المعلم. المؤسسة الفكرية للمطبوعات - بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ١٠ - المرجعات: شرف الدين، السيد عبد الحسين. دار الأندلس - بيروت، ط ١٠، ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.
- ١٠ - مرقد العقيلة زينب: السابق، الشيخ محمد حسين. مؤسسة الأعلمي - بيروت، ط ١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ١١ - مروج الذهب: المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي. مطبعة السعادة بمصر، ط ٤، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ١١ - مستدركات أعيان الشيعة: الأمين، السيد حسن. دار التعارف للمطبوعات - بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- ١١ - مصادر نهج البلاغة وأسانيده: الحسيني، السيد عبد الزهراء الخطيب. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ط ٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- ١١ - مع بطلة كربلاء: مغنية، الشيخ محمد جواد. منشورات المكتبة الأهلية - بيروت، ومكتبة النهضة - بغداد، ط ١، ١٩٦٢م.
- ١١ - مع الحسين في نهضته: حيدر، الشيخ أسد. دار التعارف للمطبوعات - بيروت، ط ٣، ١٣٩٩هـ.
- ١١ - معالم المدرستين: العسكري، السيد مرتضى. مؤسسة النعمان - بيروت ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

- ١١ - معجم الأدباء: الحموي، ياقوت. دار الفكر، ط ٣، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ١١ - معجم رجال الحديث: الخوئي، السيد أبو القاسم. دار الزهراء - بيروت، ط ٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١١ - معجم الشعراء: المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران. دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ١١ - مفاتيح الجنان: القمي، الشيخ عباس. مكتبة الألفين - الكويت، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ١٢ - مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن حسين. نشر دار الكتب العلمية - طهران، ط ٢.
- ١٢ - مقتل الحسين: آل كاشف الغطاء، الشيخ محمد حسين. المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف، ط ١.
- ١٢ - مقتل الحسين: المقرم، السيد عبد الرزاق. مطبعة الآداب - النجف الأشرف، ط ٤، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- ١٢ - مقدمة مرآة العقول في شرح أخبار الرسول: العسكري، السيد مرتضى. مطبعة مرووي - طهران، ط ٢، ١٣٦٣هـ.
- ١٢ - منهاج البراعة: الخوئي، الميرزا حبيب الله. المطبعة الإسلامية - طهران، ١٣٨٦هـ.
- ١٢ - منهاج الصالحين: الخوئي، السيد أبو القاسم. مطبعة الآداب - النجف الأشرف، ط ١، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- ١٢ - منهاج الكرامة (في معرفة الإمامة): الحلي، العلامة الحسن بن مطهر.
- ١٢ - من لا يحضره الفقيه: القمي، أبو جعفر محمد بن علي ابن بابويه. منشورات مؤسسة الأعلمي، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ١٢ - مقاتل الطالبين: الأصفهاني، أبو الفرج. نشر دار المعرفة - بيروت.
- ١٢ - الموسم (مجلة فصلية تصدر في بيروت): رئيس تحريرها محمد سعيد الطريحي.

١٢ - المواقف في علم الكلام: الأيجي، القاضي عبد الرحمن. عالم الكتب - بيروت.

١٢ - الموسوعة العربية الميسرة: مجموعة من المؤلفين والكتاب برئاسة محمد شفيق غربال، دار الشعب بمصر، ط ٢، ١٩٧٢م.

١٢ - الميزان في تفسير القرآن: الطباطبائي، السيد محمد حسين. منشورات الأعلمي - بيروت، ط ٣، ١٣٩٣هـ - ١٩٨٣م.

(ن)

١٢ - نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة: التنوخي، القاضي أبو علي المحسن بن علي، تحقيق عبود الشالجي. دار صادر - بيروت، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

١٢ - النصر والاجتهاد: شرف الدين، السيد عبد الحسين. دار النعمان - النجف الأشرف، ط ٣، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٢ - فحج البلاغة (ضبط وفهرسة): الصالح، الدكتور صبحي. ط ١، ١٩٨٠م، دار الكتاب اللبناني - بيروت.

١٢ - فضة الحسين: الشهرستاني، السيد هبة الدين الحسيني. مطبعة دار التضامن، ط ٥، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

(و)

١٢ - وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: العاملي، الشيخ محمد بن الحسن الحرّ. دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٥، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(هـ)

١٢ - الهادي (مجلة): تصدرها دار التبليغ الإسلامي - إيران قم.

محتويات الكتاب

٣	الحسين ذكرى الحياة
٧	مقدمة الطبعة الثانية
١٧	مقدمة المؤلف
٢١	تقديم: الدكتور عبد الهادي الفضلي:
٣١	إشراقة:
٣٢	ترابط الحوادث:
٣٣	اليوم الأول مجرى التحول:
٣٥	الباب الأول
٣٧	الفصل الأول: حديث الإمامة
٣٩	١- تعريفها:
٣٩	٢- مقدمة جامعة نافعة:
٣٩	أولاً: الإمامة لطف:
٤١	ثانياً: القرآن والحديث:
٤٤	٣- مدرستان في الإمامة:
٤٥	رأي المدرسة الأولى:
٤٨	رأي المدرسة الثانية (الإمامية):
٦٥	الفصل الثاني: مواكبة التاريخ الأسود والواقع المر
٦٧	١- هذا الفصل لماذا؟!
٦٧	٢- امتداد أيدي القائمين على عموم الشؤون الدينية والدنيوية:
٦٧	أ- إقصاء أهل البيت ومن والاهم:
٦٨	ب- أنماط من التفكير والاجتهادات:
٧٠	ج- نفسيات القوم وملكاقتهم:
٧٠	د- تأثير تلك التربية على أوليائهم:
٧١	هـ- استشراف من استشراف للخلافة:

٧٣	الفصل الثالث: عودة الحق إلى أهله:
٧٥	١- كان الله في عونك يا أبا الحسن:
٧٧	٢- خطاب الإمام التاريخي:
٧٧	٣- المنحة:
٧٧	١- حرب الجمل وصفين:
٧٨	٢- عتاة بني أمية:
٧٩	٣- ثقل العدل:
٧٩	٤- ارتياح الحكام لعهد عثمان:
٧٩	٥- البدع تأتي أن ترتفع:
٨٠	٦- تفهقر أمور الأمة:
٨١	٧- مصرع الحق شهيداً:
٨٣	الفصل الرابع: الأمل الباقي للإمام الحسن المجتبي <small>عليه السلام</small> :
٨٥	الأمل الباقي للإمام الحسن المجتبي <small>عليه السلام</small> :
٨٩	الفصل الخامس: عصر الحسين <small>عليه السلام</small> :
٩١	عصر الحسين <small>عليه السلام</small> :
٩٢	١- تأمير يزيد:
٩٧	٢- الجور العام في دنيا الإسلام:
١٠١	الفصل السادس: نتائج وآثار لمدرستي الإمامة:
١٠٣	نتائج وآثار لمدرستي الإمامة:
١٠٣	١- سير الأمة على خطين متوازيين في أمر الإمامة:
١٠٤	٢- ربط الشعراء بين السقيفة و كربلاء:
١٠٩	٣- شواهد على الربط:
١١٢	٤- سنة الصحابة ومذهب الصحابي:
١١٩	الباب الثاني:
١٢١	الفصل الأول: شخصية الإمام الحسين <small>عليه السلام</small> :
١٢٣	عقب السيرة:

الإمامة منتهى الكمالات وصور مشرقة منها:	١٢٤
الفصل الثاني: من فصول السيرة.....	١٢٩
أولاً: اتجاهان في قيام الإمام الحسين:	١٣١
ثانياً: بين الصلح والثورة:	١٣٦
ثالثاً: مجمع الجلال والجمال:	١٣٧
رابعاً: نهج الاستقامة والوضوح:	١٣٧
خامساً: الإنسانية الفذة:	١٤١
سادساً: أئمة الحق وأئمة الجور:	١٤٢
سابعاً: واقع الأمة المر، وواقع الشذاذ البغاة:	١٤٣
رابعاً: تعلقه بالمبدأ الأعلى:	١٤٨
الفصل الثالث: يوم الحسين وأنصاره البنار :	١٥٥
لا يوم كيومك يا أبا عبد الله ^(١) :	١٥٧
وماذا عن عمر بن سعد وأنصاره؟	١٦٠
مصراع الحسين:	١٦٢
الفصل الرابع: عجائب وأسرار حفلت بها قضية الحسين عليه السلام وحياته ..	١٦٥
١- ما قبل الشهادة:	١٦٧
الآيات المأولة بشهادته:	١٦٧
علم الأنبياء بشهادة الإمام عليه السلام ومواساقتهم له:	١٦٧
إخبار أبيه أمير المؤمنين عليه السلام :	١٦٩
خبر رأس الجالوت:	١٧٠
حديث الإمام الحسن عليه السلام :	١٧١
معرفة جملة من الناس بأن عمر بن سعد هو قاتل الإمام عليه السلام :	١٧١
الإمام الحسين عليه السلام كان عالماً بأمره:	١٧٢
٢- ما بعد الشهادة:	١٧٢
انتقام الله من الأعداء القتلة:	١٧٣
كلام الرأس الشريف:	١٧٤

١٧٥	القارورة تفور دماً:
١٧٦	السماء تمطر دماً:
١٧٦	الأرض تفيض دماً:
١٧٦	حوادث كونية أخرى:
١٧٧	الانتقام من قتلة الإمام:
١٧٧	عجائب وآثار أخرى:
١٧٨	ثبت ببعض المصادر وإشادة:
١٨٠	مناقشة الشيخ الحافظ بن كثير:
١٨٣	الفصل الخامس: سر البقاء الخالد
١٨٥	سر الخلود:
١٨٧	مظاهر الخلود:
١٨٨	أولاً: التخليد الإلهي:
١٨٨	الزيارات:
١٩٥	ملحق عن الأربعين:
٢٠١	ومن مظاهر التخليد الإلهي:
٢٠١	كربلاؤه وجملة من شؤونها وأحكامها الشرعية:
٢٠١	١- فضل كربلاء على الكعبة:
٢٠٢	٢- الدعاء تحت قلبه:
٢٠٤	٣- الشفاء في تربته:
٢٠٤	٤- تربته المشرفة أفضل ما يسجد عليه:
٢٠٥	٥- فضل مشهده وجملة من أحكامه:
٢٠٧	٦- موطن من موطن التعبير بين القصر والتمام:
٢٠٨	ثانياً- الخلود في الضمان الحية:
٢٠٨	أ- الشعر:
٢١٢	ب- الكتابة:
٢١٣	ج- التمثيل:
٢١٦	د- الخطابة:
٢١٨	ثالثاً: ملحق عن الكرامات والبركات الحسينية ومن هنا وهناك في عالم الأسرار..

٢١٩.....	١- حول المنبر والقراءة والقراء والحسينية
٢٢١.....	٢- كرامات الحضرة المقدسة والتربة المشرفة:
٢٢٥	الفصل السادس: المنبر الحسيني: عرض واقتراح
٢٢٧.....	المنبر الحسيني:
٢٢٨.....	١- مراحل تدرج المنبر:
٢٣٣.....	٢- تأكيد أهل البيت <small>عليهم السلام</small> على إحياء المآتم وإبقائه حيًا:
٢٤٣.....	٣- النياحة:
٢٤٩.....	٤- المواكب واستعراض بعض صورها عبر التاريخ:
٢٥٦.....	٥- ارتفاع شأن المنبر واستقراره:
٢٦١.....	٦- واقع المنبر القائم:
٢٦٢.....	١- الكرم الهائل:
٢٦٢.....	٢- وفرة المتسبين:
٢٦٥.....	٣- المادة المنبرية: لدى الرجال والنساء:
٢٦٦.....	٧- نظرة في الإصلاح:
٢٦٦.....	١- إصلاح الكرم الهائل:
٢٦٧.....	٢- إصلاح وضع المتسبين:
٢٧٠.....	٣- إصلاح المادة المنبرية:
٢٧٤.....	٨- اقتراح في طريق الإصلاح:
٢٨١.....	ملحق عن بعض كتب السيرة الحسينية وإصلاحها وبعض ما ينفع المنبريين
٢٨٣.....	الباب الثالث
٢٨٥.....	الفصل الأول: دور المرأة في واقعة الطف
٢٨٧.....	مقدمة واستعراض:
٢٨٨.....	أم المؤمنين خديجة (سلام الله عليها):
٢٨٩.....	سمية أم عمار بن ياسر:
٢٩١.....	دور الإمام علي:
٢٩٣.....	مشاركة حرائر الرسالة في النهضة الحسينية:

٢٩٤	ثقل النبوة في كربلاء:
٢٩٦	من مواقف البطولة:
٢٩٦	بطلة كربلاء:
٣٠٠	نساء الأنصار الشهداء:
٣٠٢	عودة إلى بطلة الطف:
٣١٥	الفصل الثاني: وفي الشام:
٣١٧	الموقف الأروع مع رأس السلطة:
٣٣٧	الفصل الثالث: نساء هن شأن بحديث الطف:
٣٣٩	نساء هن شأن بحديث الطف:
٣٤٠	دعوة مخلص صادقة:
٣٤٢	ملحق بقصيدة الشيخ الأوردبادي:
٣٤٥	الفصل الرابع: مناقشات سريعة
٣٤٧	مناقشة عابرة:
٣٤٧	الموسوعة العربية الميسرة:
٣٤٨	دائرة المعارف للبستاني:
٣٥١	خاتمة:
٣٥٣	الفهرس العام لمصادر الكتاب:
٣٦٥	محتويات الكتاب